جامعـــة أم درمان الإســلامية
كلية الدراســات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

"القيمة الأدبية والنقدية في كتاب التذكرة الحمدونية"

لمحمد بن الحسن بن علي بن حمدون

المتوفى سنة ٥٦٢ هـ

دراسة وصفية تحليلية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

إعداد الطالبة : مارلين عوض الله الحسن علي إشراف البروفيسور : صالح آدم بيلو

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على أفضل العالمين؛ رسول الله صلى الله علي وسلم، وعلى آله وصحبه الكرام ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

الحمد لله الذي شرفنا بالإسلام دينا ، وجعل بنت عدنان له لغة ولنا لسانا عربيا مبينا ، كما جعلها اللغة المتمايزة عن جميع لغات العالم بخصوصية لا توجد إلا فيها ، وزرع حبها في قلوب أبنائها فعكفوا على دراستها واستخراج مكنوناتها ، فكانت كائنا حيا يتفاعل مع كل التغييرات التي تطرأ على مجتمعاتها في كل زمان ومكان ، كما كانت وما زالت شامخة أمام هجوم اللغات الأخرى ، وأصبحت صخرة تكسرت عليها أمواج دعاة التغيير التي تنادي بأهمية غيرها من الألسنة . فقد كانت فروعها عامة وأدبها خاصة سر تلك القوة لما فيها من سحر يجذب كل غواص عن صدفاتها في بحر فروعها الكثيرة من شعر بمختلف مدارسه ، ونثر بتعدد أنواعه فخضمها لا ينضب ، ويكفيها فخرا أن الله تعالى جعلها وعاءا لكلامه القديم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وفي هذا علو لمكانتها وسيظل أدبنا العربي وجها مشرقا من وجوه حضارتنا الإسلامية والعربية .

أ/ أسباب اختيار الموضوع وأهميته

* اخترت هذا الكتاب لما له من أهمية وقيمة أدبية بين كتب الأدب، وذلك بما يحوي من مادة ثرة جمعت كل الأنواع الأدبية.

* قلة الدراسات التي تهتم بكتب أدب المحاضرات، ودراسة مادتها.

* أهمية أدب المحاضرات في دنيا الأدب بما يحمل في طيات محاضراته من أخبار تعجز الكتب العلمية عن الإلمام بها .

* تسليط الضوء على مصنف هذا الكتاب الذي يحمل كتبا عديدة داخله.

ب/ أهداف الموضوع

* إبراز القيم الأدبية والنقدية التي ضمنها الحمدوني في كتابه .

* دراسة الأنواع الأدبية التي حواها كتاب التذكرة الحمدونية.

* دراسة حياة أديب له مكانته في دنيا أدب المحاضرات وغير معروف لدى الكثير من الناس.

* التعريف بأدب المحاضرات ، وأنواعه والدواعي التي أدت لتأليفه.

الجهود السابقة

لم يكن الحمدوني من الرواد الأوائل الذين ارتادوا ميدان أدب المحاضرات، إنما كان هناك من قبله الذين هدتهم قرائحهم، وأثمرت جهودهم كتبا مهدت الطريق أمامه. وأول هؤلاء هو الحسن بن سعود اليوسي في كتابه المحاضرات في الأدب واللغة، ومشى على خطاه ابن قتيبة في تأليف كتابه عيون الأخبار ، ومن بعدهما الجاحظ و كتابه المحاسن والأضداد ، وتوالت الكتب تباعا ، فألف ابن عبد ربه عقده الفريد، والتنوخي الذي عطر الطريق بكتابه نشوار المحاضرة، وأبو حيان التوحيدي في كتابيه البصائر والذخائر، والإمتاع والمؤانسة، والراغب في محاورات الأدباء والشعراء، والآبي بكتابه نثر الدر والصابئ بهفواته النادرة ، وابن الجوزي بكتابيه الأذكياء والظراف والمتماجنين.

وأتى الحمدوني ليجد أن الطريق ممهدا أمامه، وعلم المحاضرات قد توافرت كتبه، فأخذ منها ما شاء له ، وألف كتابه التذكرة الحمدونية، معتمدا على هذه الكتب مصادرا لتذكرته.

الصعوبات:

* ضخامة المصنف والمادة الغزيرة التي يحويها.

* قلة الدراسات التي اهتمت بأدب المحاضرات خاصة .

* إقامتي خارج الوطن التي حالت دون المتابعة المستمرة من قبل المشرف أسوة ببقية الطلاب .

منهج البحث :

اتبعت المنهج التاريخي في التعريف بتاريخ التأليف عند العرب ، وخطوات تطوره بما في ذلك كتب المحاضرات ، وكذلك دراسة عصر الشاعر وترجمته ، ودراسة التأثير المتبادل بين كتاب التذكرة الحمدونية والكتب الأخرى ، كما وظف المنهج التحليلي في دراسة الشعر والنثر الذين اشتمل عليهما كتاب التذكرة أما المنهج الوصفي استخدم عند الحاجة له في وصف الجوانب الحسية والمعنوية التي رافقت الشعر والنثر في هذا المصنف .

و. هيكل البحث: يتكون البحث من مقدمة وتمهيد -ليكون مدخلا للدراسة المعنية-وأربعة أبواب وكل باب يشتمل على فصول و مباحث.

هذا ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم وأعان على هذا البحث وأخص بالشكر البروفيسور صالح آدم بيلو الذي لم يبخل بتوجيهاته النيرة ، وشكري كذلك لجامعة أم درمان الإسلامية لقبولها هذا البحث متمثلة في طاقمها التدريسي والإداري .

والشكر موصول لعضوي لجنة المناقشة والحكم الذين تفضلا بقبول هذا الجهد ، والشكر لله أولا وأخيرا الذي أعانني ليخرج البحث بهذه الصورة متمنية أن أكون قد أضفت ولو قليلا إلى مكتبة اللغة العربية وما توفيقي إلا بالله العلي القدير عليه توكلت وإليه أنيب .

الباب الاول

أدب المحاضرات

الفصل الاول

معنى أدب المحاضرات – دواعي تأليفه – فوائده

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى أدب المحاضرات

المبحث الثاني : دواعي تأليف أدب المحاضرت

المبحث الثالث : فوائد أدب المحاضرات

المبحث الأول : معنى أدب المحاضرات

جاء في معنى كلمة محاضرات من خلال كتب اللغة " أن الرجل الحضر هو ذو البيان ، والحاضر القوم إذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم) [١] فذو البيان وقومه الحضور بهذا الشرح هم لبنة هذا العلم .

وفي معنى آخر أن أدب المحاضرات كذلك "من حاضر القوم جالسهم وحادثهم بما يحضره ، ومنه فلان حسن المحاضرة أي حسن الحديث[٢] وإذا حسن الحديث أمتع سامعه وأفاده ، فهو إذن علم المحادثة المفيدة الممتعة سواء كان محادثك كتابا أم شخصا يحاضر بما سمع أو شاهد أو قرأ أو يروي ما حدث له نفسه.

أما في الاصطلاح فقد أخذ صاحب مفتاح السعادة من كل جانب بطرف ، وقد أسهب وفصل تعريفه فهو عنده " علم يحصل منه ملكة إيراد كلام للغير مناسب للمقام من جهة معانيه الوضعية ، أو من جهة تركيبه الخاص " فقد جعله يعتمد في الغالب على كلام الغير مع شرط تناسبه مع المقام الذي فيه ، و كل يأخذ من منهل علم المحاضرات سواء كان متكلما أم سامعا ، أم قارئا لتلك الحكايات كما أنه عين غرضه وهو "تحصيل تلك الملكة " إذ لا يتسنى ذلك لكل متحدث ؛ وهذا بسبب الفائدة التي ينال عليها مختص هذا العلم وهي "الاحتراز عن الخطأ في تطبيق كلام منقول عن الغير على أن يقتضيه مقام التخاطب من جهة معانيه الأصلية ، ومن جهة خصوص ذات التركيب نفسه) [٣] فجعل له بذلك فائدة عظيمة ، ألا وهي الأمانة وحفظ الحقوق الأدبية. وقد فرق بينه وبين علم المعاني،

---

[١] أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور – لسان العرب – دار صادر – بيروت ج٤ – ١٩٥٥ م ص١٩٧

[٢] أبو منصور محمد أحمد الأزهري – تهذيب اللغة – ج٤ –ص١١٥ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠١م

[٣] أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زادة – مفتاح السعادة - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية –حيدر أباد-الدكن الهند ١٩٧٧ط٢ ص٢٠٥ وانظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الشهير بالملا كاتب الحلبي والمعروف بحاجي خليفة – دار الكتب العلمية بيروت لبنان - مجلد ٢ ص١٦٠٩

إذ أن الثاني هو "تطبيق المتكلم كلام على مقتضى الحال، وكلام الغير على خواص لائقة بحاله، أما علم المحاضرات استعمال كلام البلغاء أثناء الكلام في محل مناسب له ، على طريق الحكاية ، وموضوعه وغايته وغرضه ومباديه ظاهرة للمتدبر[1]. أما اليوسي في محاضراته يرى أن " كتب المحاضرات كل كتاب تنوعت مواده وجمع محتواه بين الفائدة والإمتاع ، وهو أحد العلوم التي تتفرع عن علم الأدب العربي[2].

إذن لابد من وجود الحكاية والمتعة في أدب المحاضرات أما الموضوعية والغاية والغرض إذ ظهرت للمتدبر، فإنها تختلف من مؤلف لآخر وسنستقرؤها في المبحث التالي الذي يتناول أسباب تأليف كتب المحاضرات.

---

[1] محمد صديق بن حسن القنوجي – سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية ، موسوعة مصطلحات أبجد العلوم – تقديم وإشراف - رفيق عجم –تحقيق ونقل النص الفارسي –الشيخ الدكتور عبد الله الخالدي – مكتبة لبنان ناشرون – ١٣٠٧هـ - ص ٧٨٣-٧٨٤

[2] ناقص الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف (اليوسي) – المحاضرات في الأدب واللغة – صفحة (ت) دار الفكر العربي بيروت. ط١ ١٩٨٢م

المبحث الثاني : دواعي تأليف المحاضرات

اهتم الكتاب بعلم المحاضرات اهتماما واضحا انعكس على كثرتها وتعددها، وقد تنوعت حسب أغراض المؤلف وذوقه وتخصصه فجاء منها النحوي والبلاغي والاجتماعي وغير ذلك من المجالات الأخرى "فهذا الجاحظ يعني مع الأدب الصرف بالأحداث الاجتماعية في عصره كالشعوبية ونحوها والمبرد يعني أشد عناية في جانب الأدب بمسائل النحو والصرف ..... واتسعت كتب المحاضرات من لهو ومجون، إلى وعظ وزهو وتصرف إلى غير ذلك من الأغراض[١]، وأصبحت مصدر فائدة ومتعة، حرص معظم مؤلفي كتب المحاضرات على توضيح ما حدى بهم لتأليف كتابهم.

وقد تتبعنا ذلك في عدد من كتب المختارات كما يسميها ابن عبد ربه فألفينابعضهم وقد ميز فئة معينة من الناس حباها الله الذكاء ، فعدد المؤلفون مواقفها، وجعلوا لها كتابا يتناسب مع أوصافها" فكتبوا لمعرفة أقدارهم بذكر أحوالهم وتلقيح لباب السامعين إذا كان فيهم استعداد لنيل تلك المرتبة وتأديب المعجب برأيه إذا سمع من تعسر عليه لحاقه[٢]. فبث روح التمايز في هؤلاء الأذكياء، وذكّر أولئك بأن فوق كل ذي علم عليم فيعرف قدره ويتواضع قانعا . وآخر عني بهذه الفئة أيضا قائلا: " وريت بتسمية هذا الكتاب عالما أن قطوفة لم تدن لغير ذوي الأذواق[٣] فقد قصد به الفئة التي تتذوق الأدب وتتمتع بقراءته وتستفيد مما جمع بين دفات كتابه ولابد من توافر موهبة الذكاء ليسنى لهم ذلك .كما دعى داعي الترويح عددا من المؤلفين حملوا على أعناقهم مهمة الترويح عن القارىء المثقل

---

[١] أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي – العقد الفريد – القاهرة _ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – ج١ المقدمة ص هـ ١٤٠٤هـ

[٢] جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي – الأذكياء من الفقهاء والمفسرين والرواة والمحدثين والشعراء والمتأدبين والكتاب والمعلمين وطوائف تتصل للغفلة بسبب متين- مقدمة المؤلف - دار الآفاق الجديدة – بيروت –ط٣ –ص٥ (مقدمة المؤلف).

[٣] أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي المعروف بابن حجة – ثمرات الأوراق – دار الجيل بيروت – ١٤١٦هـ - ص٣ .

بهموم الجد في طلب العلم " فأتى بما يستروح قلب العالم إليه من ثقل الجد ويتروح خاطره بالنظر من دوام الدرس والكد[١] وذلك بما يجد القارىء من حكايات تخفف عنه ضغط ذلك العناء.

وقصد مؤلف آخر الفئة التي تحمل أيامها الهم والحزن وشدة المصاب فجعل لهم كتابا يخفف عنهم وهدفه "انشراح صدور ذوي الألباب ، عندما يدهمهم من شدة ومصاب " نسبة لما عانى المؤلف ذاته من تلك المحن فقد آل على نفسه تقديم ما يخفف به وقع المصاب على القاريء فقال : " إذ كنت قد قاسيت من ذلك في محن دفعت إليها ما يحنو بي على الممتحنين ويحدوني على بذل الجهد في تفريج غموم المكروبين[٢] وغيره كتب للغاية نفسها ولكنه وجد الترويح في ذكر هفوات المشاهير مع الحفاظ عليهم بعدم ذكر أسمائهم حتى لا يروّح عن بعض ويظلم البعض الآخر بما جمع في كتابه فقال : إذا كانت الحكاية المضحكة في رجل مشهور من أهل الدين أو العلم لهفوة صدرت منه ضحك لها الحاضرون ..... فأذكرها لما فيها من الراحة للنفس ولا أسمي الشخص الذي ظهر منه ذلك[٣] فقد حقق هدفه مع الحفاظ على عظمة وحرمة العظماء ووضح إمكانية حدوث الهفوات حتى معهم، فيبث نوع من الثقة في نفس من يتعرض لمثل هذه المواقف .

أحب عدد من المؤلفين التمايز وإظهار قدرة قل أن تتوافر لدى الآخرين؛ مثل أن يجمع النوادر ويلم شعث المتفرق من الحكايات فوصف عمله :" فعملت على جمع ما ندر من ذلك وإن قليلا معلوما وضم ما تفرق منه وإن كان علما مأموما) [٤] أما التنوخي فقد أحب كذلك أن يكون متمايزا في منهج عرض محاضراته حين اختط لنفسه طريقة كان أول من حمل لواءها حين اشترط على نفسه أن يورد أخبارا

---

[١] أبو بكر أحمد بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي – التطفيل – بعناية بسام عبد الوهاب الجابي – دار ابن حزم الجفان والجابي للطباعة والنشر - ص١٤

[٢] أبو علي المحسن بن علي التنوخي – الفرج بعد الشدة – تحقيق عبود الشامجي –دار صادر بيروت – ١٩٧٨م - ص٥٤- ٥٥

[٣] محي الدين محمد بن علي المعروف بابن عربي – محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار دار صادر ، بيروت – ١٩٩٩ م ص٥

[٤] أبو الحسن محمد بن هلال الصابي – غرس النعمة – الهفوات النادرة – حققه وعلق عليه صالح الأشتر - دار الأوزارعي - ١٩٦٠م ص٤

لم يسبق لها " وأظنها ما سبقت إلى ما كتب مثله[١] وأكد ذلك أكثر من مرة حافظا لنفسه حقها في حيازة قصب السبق في ذلك :"وإن كنت اتجنب بجهدي أن أثبت فيها شيئا قد كتب قبلي أو تنبه على الفائدة في إثباته سواي إلا الشعر[٢].. فتحس متعته وهو يقوم بهذا العمل الجليل وحرصه على أن يكون متمايزا عن غيره . أما اليوسي فقد كان هدفه إفادة القارئ، وإثراء معجمه اللغوي والأدبي بشرح ما هو في حاجة لذلك وهذا في جملة الفوائد التي يجنيها المتلقي من كتابه المحاضرات:" لا أجد شيئا في حاجة لشرح إلا أوضحته ، ولا أذكر نادرة فيها معنى طريف الا شرحته ولا لطيفا الا وشحته .ذلك هو لباب الكتاب وفائدة الخطاب) [٣]. فقد كان ذلك من الأهمية بمكان في مخطط هدفه من القيام بهذا العمل الكبير حتي جعله لباب كتابه وفائدة محاضراته، وهدف آخر هو توثيق مايحفظ أو تفصيله من أجل أن يخلد في ذاكرة الكتب التي لا تنسى .

وقد قام البعض الآخر بدور الباحث والمصلح الاجتماعي حيث عمل جاهدا علي إبراز الجوانب غير الحسنة جاعلا من مؤلفه مرآة تعكس التصرفات المنبوذة مثل البخل و البطالة والعيش في المجتمع طفيليا،مثل كتابي التطفيل لأحمد بن ثابت البغدادي والبخلاء للجاحظ . وهناك من وثق أيضا ولكن بأسلوب مختلف وذلك لمن أراد اثبات الأخبار منسوبة صحيحة لمؤلفيها بالإضافه لذكر الناقص منها بأن يأخذ مادته من فيه العالم بها ويثبتها فى مؤلفه توثيقا لها، والسبب في ذلك هو الهدف الأساسي من جمع الكتاب فقال عنه : "الذي بعثني على تأليفه أن رئيسا من رؤسائنا كلفني جمعه له ، وعرفني أنه بلغه أن الكتاب المنسوب إلى اسحق قليل الفائدة وأنه شاك في نسبه . وأورد أخبارا تثبت عدم صحة نسبة الأغاني لمؤلفيها بالإضافة ذكر الطرائق[٤] فكان لابد له أن يستجيب لهذا الطلب

---

[١] أبو القاسم علي بن عبد المحسن التنوخي – نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة – دار صادر – بيروت – ١٩٦٩م ص٣٥

[٢] الهفوات النادرة - غرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابىء_ الهفوات النادرة من المعقلين الملحوظين ، والسقطات الباردة من المغفلين المحظوظين و انظر معجم الأدباء - ياقوت الحموي ، ت أحمد أحمد فريد رفاعي – القاهرة ١٩٣٦–ج٦- ص٢٥١

[٣] الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف (اليوسي) – المحاضرات في الأدب واللغة – ص١٠

[٤] أبو الفرج الاصفهاني – الأغاني _ مج ١ تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء – دار الثقافة – بيروت ١٩٥٧م – ص ١٦و١٧

خاصة أن الرؤساء في ذلك الوقت كانوا كثيري الاهتمام بالإغاني وما يتعلق بها من حيث قائلها وملحنها ومعانيها .

هدف آخرون لتنقيح تلك الأخبار التي ترد في أضابير كتبهم، جاهدين في تقديم المفيد ، ومنزهين مؤلفاتهم من سفاسف الأخبار"صح العزم بعد التنقيح والاستشاره على نقل جميع مافي ديوان السماع ، ورسم ما أحاطت به الرواية واشتملت عليه الدراية ... مع توخي قصار ذلك دون طويله ،وسمينه غير غثه ونادره دون فاشيه ، بديعه دون معتاده ،ورفيعه دون سفاسفه)[1] فكانت أخباره ذخائر فعلا تفيد من يبحث عنها ، ولم يترك راية التوثيق فذكر كل المصادر التي أخذ عنها بمختلف أنواعها.

أما قاعدة وبضدها تتضح الأشياء كانت واضحة في التزام البعض بإخراج كتاب كامل يقوم علي التضاد؛ فيلقي الضوء على جانبي الظواهر التي أوردها متمايزا عن غيره بهذا الأسلوب . و بعض المؤلفين قام بالتأليف استجابة لطلب رئيس أو وزير، أو محاورة مع صديق في جلسه أنس أدبية ولدت لديه فكرة جمع كل ما كان محور حديثهم ليمتع به الآخرين ويكثر به من عدد أصدقاء يحادثهم عبر القرون والسنين من خلال ما كتب ونسق . ومنهم من عمد لأهم نواحي الحياة ، بمناقشة الجوانب الدينيه بأسلوب سهل يعلم الإنسان عن القضايا المهمة في حياته وهدفه في ذلك (إجمام خواطر الناظرين في الكشاف عن حقائق التنزيل وترويح قلوبهم المتعبة بإجالة الفكر في استخراج ودايع علمه وخباياه)[2]. ولما لا فقد يتعلم الإنسان من قصة ما بما تحمل من متعة وتشويق، ويخرج منها حقائق تنزيله ، أكثر مما يجني من ذلك من الكتب الدينية الأخرى هوذلك ما نجده في

[1] انظر البصائر والذخائر - أبو حيان التوحيدي –تحقيق د. وداد القاضي – دار صادر بيروت ١٩٨٤م – ص٢-٣

[2] أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد أحمد الخوارزمي الزمخشري – ربيع الأبرار ونصوص الأخبار – تحقيق سليم النعيمي – بغداد - ١٩٨٢ م –ص٥

كتاب ربيع الأبرار وأدب الدنيا والدين الذي جمع فيه من مختلف الموضوعات التي تفيد المرء في دينه كما تفيده في دنياه .

وهناك العديد من كتب المحاضرات التي طالتها يد الضياع وحفظت عناوينها صفحات كتاب كشف الظنون، مثل كتاب فصل الخطاب في المحاضرات للحافظ الزاهد محمد ابن محمد الحافظي المتوفي سنة٨٢٢ هـ وهو عبارة عن أربعة وعشرين مجلدا[١]. وكتاب مؤنس التوحيد ونزهة المستفيد في المحاضرات لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفي ٤٢٩ هـ[٢] وريحانة الأدب لأبي الحسن علي بن موسى العمادي الأندلسي المتوفي ٦٧٣هـ[٣] وربما هناك العديد من هذه الكتب ألف عبر السنين وكانت الأيام له بالمرصاد.

[١] كشف الظنون مج٢ص١٢٦٠

[٢] المرجع لسابق نفسه مج٢ ص١٩١١

[٣] المرجع السابق نفسه مج١ص٩٤٠

المبحث الثالث : فوائد أدب المحاضرات

يجني المتلقي الكثير من ثمار أدب المحاضرات الذي (أصاب ازدهارا في المجتمعات الإسلاميه في القرن الرابع) [١] ذلك القرن الذي شهد فيه الكثير من جوانب الحياة تطورا وازدهارا وتباينا بين طبقات مجتمعاتها الغنيه والفقيرة "ففي الحكاية والسمر مؤانسة وإمتاع ، وفيهما تنفيس عما كان المجتمع يعانيه من كبت ومراره وحرمان وفيهما عرض لجوانب حياة الناس من جميع الطبقات من ساكني القصور الي الساعين وراء لقمة العيش الشحيحه من ساكني الأكواخ) [٢] فتحفظ في طياتها ملامح تلك المجتمعات عبر القرون. " وبهذا كان الناس من جميع الطبقات يجدون في أدب الأسمار ما يروق لهم أن يقرؤوه ويشغلوا أنفسهم بتناقله، ولعنايتهم بهذه الكتب خلال العصور المتوالية؛ تكثر نسخها ويتاح لها أن تقاوم قوارع الدهر وتستعصي علي الضياع) [٣] فتثري المكتبة العربية أدبا ليصبح تراثا غنيا يجد فيه القارئ ضالته عبر الحقب الزمنية المختلفة ، وكثيراً ماتكون كتب المحاضرات هي أحد مصادر المعلومات المهمة لأن بعض الكتب من هذا النوع حوي أقساما متعددة من كتب جار عليها الدهر وابتلعها الضياع ، فأصبحت كتب المحاضرات الشاهد الوحيد على ذلك العصر وما حدث فيه والمصدر الفريد لتلك الكتب بما فيها من أخبار تاريخية تروي أحداثا واقعية ومشاهد تكاد تكون حية ، ويصعب ذكرها في كتب التاريخ لسبب أو لآخر فهي بالإضافة لذلك أخبار تحمل الكثير من الجوانب الصادقة لتلك العصور.

كما نجد في هذه الكتب رصيدا من الشواهد الشعرية المختارة ويوجد في مضامينها خير ماروي من الكتب الضخمة الموجودة في ذلك العصر " لاستدرار

---

[١] غرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابىء_ الهفوات النادرة من المعقلين الملحوظين ، والسقطات الباردة من المغفلين المحظوظين _ ص٣

[٢] المرجع السابق نفسه ص٣

[٣] المرجع السابق نفسه ص٣

المال من الخلفاء لأنهم لايعطوا إلا إذا أعجبوا بشئ)[1] ليس هذا فحسب ؛ إنما هي سيرة ذاتية لأصحابها أو من يتحدثون عنه أحيانا ، حيث يقدم الكتّاب تجاربهم، فيستفيد منها الغير . وبالمحاضرة يسجل المؤلف رأيه بصراحة ووضوح خاصة في تلك الأزمان التي يصعب أحيانا التصريح بكل ما يجول في الخاطر ، فالبعض قد كمم أفواه ذوي العقول ، وممن يلقي العامة لهم بالا ، فيجد هؤلاء متنفسا في تلك الأسمار ، لتجد طريقها لصفحات كتب المحاضرات فيجني القارئ في أي عصر كان الترويح، والمتعه، والعبر ، والتأدب، والتثقيف والسلوى. ومن خلال رواياتهم نستقرئ مناهج الكتب وأساليب الكتابة في عصر المؤلف، وكذلك درجته من العلم ونوعية المصادر التي استقي منها المادة الشفاهية والسماعية والمقروءة والمكتوبة ، وعن طريقها نجد أخبار العصر الذي عاشه المؤلف ، وصفات مجتمعه وطريقة معيشتهم والعلم الكثير والفنون المختلفة التي كانت سائدة في ذلك الوقت ؛ وبذا تجمع كتب المحاضرات مالم تجمعه كتب التاريخ والمغازي والسير وربما دواوين الشعر ، وتقدم كتب المحاضرات الأفعال والحكم والحكايات من قبل عصر المؤلف ، أو من عاصرهم لتكون ذخيرة علمية لمن بعدهم .

كذلك تكتسب من خلال هذه الكتب ملكة إيراد كلام الغير ، حتى يكون الشخص المكتسب لتلك الملكة هو الغير الذي يروي عنه ، بما يقدم من أخبار قد سمعها أو قرأها بأسلوب يمكن من يقرأه ويتفهمه السير على خطاه".

كذلك إبراز النواحي الايجابية والأخلاق الحميدة لما في ذلك من حفظ حقوق الغير وتخليد أفعالهم لما له أطيب الأثر في نفس قارئه . وغير ذلك من فوائد أدب المحاضرات . وقد تعددت أنماط تلك الكتب ، واختلفت أساليب مؤلفيها، وسيأتي ذلك في الفصل التالي .

---

[1] العقد الفريد -المقدمة ص(هـ)

الفصل الثانى

أنماط التأليف فى أدب المحاضرات

ويتضمن خمسة مباحث :

المبحث المبحث الأول: التآليف بالموضوعات

المبحث الثانى: التأليف بالشخصيات

المبحث الثالث: التأليف بالتضاد

المبحث الرابع: المحاضرات الدينية

المبحث الخامس: مختصرات المحاضرات

أنماط التأليف فى أدب المحاضرات

انقسمت كتب المحاضرات من حيث أنماط تأليفها إلى أربعة أنماط شمل معظمها التأليف بالموضوعات ويليه من حيث حيث الكم التأليف بالشخصيات ثم التأليف بالتضاد وأقلها كتب المحاضرات الدينية، وإذا اتفقت هذه المصنفات في المادة فقد اختلفت في مناهجها وأهداف تأليفها من كتاب لآخر ، وهذا ما سنناقشه في هذا الفصل .

المبحث الأول :. التأليف بالموضوعات :

يتناول هذا النمط العديد من الموضوعات المختلفة التي عرضت معظم نواحي الحياة في تلك العصور تعكسها العناوين التي تدل علي هذا النوع من الكتب وهي :.

كتاب المحاضرات في الأدب واللغة للحسن بن مسعود بن محمد بن علي المكنى بأبي علي وأبي السعود وأبي المواهب فهو فقيه لغوي ، وأصولي وأخباري وشاعر له الكثير من المؤلفات . توفي عام اثنين ومئة هجرية وقد كان نهجه في كتابه واضحا ومختلفا عن بقية كتب المحاضرات حيث بدأه بدعاء قصير وأبيات شعرية من المادة نفسها وختم كالعادة بالصلاة على النبي وتبع ذلك بسبب تسميتة الكتاب بهذا الاسم فقال: (سميته المحاضرات ليوافق اسمه مسماه عند ذكره معماه وفي المثل خير العلم ما حوضر به) [١] ثم وضح مادة كتابه وأسلوبه في عرض تلك المادة من شرح لمفردات الكتاب وطرف وقصائد " لا أذكر نادرة فيها معنى شريف إلا شرحته ولا لطيف الا وشحته " ثم ذكر الأمور التي حملته على ذكر الأخبار من تفادي البطالة ، وتخليد المحفوظ وتسميته) [٢] وتابع مادة كتابه بشيء من الترتيب ويستشهد بأشعار مختارة، ويفصل بين كل باب وآخر بعبارة لله الأمر من قبل ومن بعد .

---

[١] الحسن بن مسعود بن محمد بن يوسف (اليوسي) – المحاضرات في الأدب واللغة ، دار الفكر العربي بيروت .ص١٠

[٢] المرجع السابق نفسه ..... الصفحة نفسها

كتاب الديباج لأبي عبيدة بن معمر بن المثنى المكنى بابن الحائك، وابن الصباغ،من شيوخه: أدهم العبدي، وإسماعيل البصري. ومن تلامذته إبراهيم بن سفيان الزيادي وسهل بن محمد السجستاني اختلف في وفاته بين عامي ٢٤٩هـ و٢٠٩هـ ورجح العلماء الثاني منهما .

كانت معظم كتبه عن أيام العرب وأخبارهم وأشعارهم، بالإضافة للكتب الدينية. من موضوعات كتابه هذا: أشعر الشعراء في الجاهلية، وعن حلماء العرب ودهاة العرب ، اتبع أسلوب المثنى فكتب عن المرتدان ، والأقرعان، والحليفان وغير ذلك من الموضوعات جاءت عناوينها مثنى.

ويليه كتاب **عيون الأخبار** لأبي محمد بن مسلم بن قتيبة الملقب بالدينوري وبالمرزوي من علماء الحديث وأئمة اللغة والرواية وشيوخ الأدب توفي سنة ست وسبعين ومائتين[١] له الكثير من المؤلفات أهمها عيون الأخبار الذي صنفه في عشرة كتب صغيرة يختص كل منها بموضوع مستقل عن بقية الموضوعات الأخرى.

ويلي هذا المصنف كتاب آخر تمايز عن بقية الكتب في تصنيفه وطريقة عرض مادته وهو **العقد الفريد** رتب ابن عبد ربه المتوفي سنة ٣٢٧هـ مصنفه في خمسة وعشرين كتابا حمل كل واحد منها اسم جوهرة لأنه تخيرها من جواهر الأدب (ألفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان ..... وإنما لي فيه تأليف الأخبار وفضل الاختيار وحسن الاختصار)[٢] ويفتتح كل كتاب بمقدمة ويتبع كل باب بما ينشئه من شعر وهويشيع في الكتاب آراءه في نقد ما ينقل)[٣] وهذا ما لم يوجد في معظم الكتب الأخرى كما أنه حذف الأسانيد من أكثر الأخبار طلبا للتخفيف والايجاز وهربا من التثقيل والتطويل أما ما جمعه من أخبار وأشعار فقد شرح منهجه في ذلك قائلا:(كافيا شافيا جامعا لأكثر

---

[١] انظر عيون الأخبار – لأبي محمد بم مسلم بن قتيبة – دار الكتب المصرية-ج٣-ص١٢

[٢] العقد الفريد –ج١- ص٥

[٣] المرجع السابق نفسه - مقدمة المحقق ص*اي*

المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة، وحليت كل كتاب بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها) [١].

وقد رتب الاثني عشر كتابا الأولى بأسماء الجواهر ، ثم جعل كتابا آخرا سماه الواسطة ليبدأ بعده مكررا الجواهر الأخرى بأسماء الجواهر مع إضافة كلمة الثانية حتى تلتقي الجوهرة الأولى مع الثانية) [٢] فجاء الكتاب متفردا في اسمه متفردا في ترتيبه متفردا في الأشعار التي كتبت فيه حيث لم يضم في مادة كتابه إلا من الأشعار التي تخصه .

أما القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي المتوفي سنة ٣٨٤ هـ الذي ولد في بيت فقه وعلم . قد ألف كتاب **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، كما ألف كتاب الفرج بعد الشدة ، وقد اختلف فيهما منهجه حيث بدأ كتاب نشوار المحاضرة بمقدمة ذكر فيها مصادر قصصه وأخباره ، وأسباب جمعها موردا أنواعها الكثيرة من قصص الملوك والكتاب إلى العامة بمختلف طبقاتهم وحرفهم وظروفهم، ولكن تمايز عن غيره بأنه ياتي بأخبار لم يسبق لها (وأني وإن كنت أتجنب بجهدي أن أثبت فيها شيئا قد كتب قبلي أو تنبه على الفائدة لإثباته سواي إلا الشعر) [٣] كما جعله في أحد عشر مجلدا غير مصنفة(حتى لا تبرد أو تستثقل) على حد قوله في مقدمة الكتاب ، وقد ذيل هذا الكتاب غرس النعمة –مؤلف الهفوات النادرة – بكتاب سماه كتاب الربيع ولكنه ضمن الضياع) [٤].

أما كتابه الآخر الفرج بعد الشدة فقد بدأه بمقدمة شرح فيها سبب تأليفه لهذا الكتاب وهو أن يساعد من أهمه أمر على اجتياز محنته والصبر عليها عندما يعلم عمن كان قبله فتقوى شكيمته (أرجو به انشراح صدور ذوي الألباب، عندما

---

[١] إبن عبده ربه – العقد الفريد- ج١ ص٤

[٢] المرجع السابق نفسه ص٥و٦(بتصرف)

[٣] أبي علي المحسن بن علي التنوخي – نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة -..... ص٣٥

[٤] ت النادرة - ص٢٧

يدهمهم من شدة ومصاب إذ كنت قد قاسيت من ذلك في محن دفعت إليها ما يحنوبي على الممتحنين ويحدوني على بذل الجهد في تفريج غموم المكروبين)[١] فيخفف عنه ويقوي ثقته بنفسه .

كما ذكر الكتب التي أخذ منها قصصه وأخباره وزاد عليها بمجهوده مما أدى لتحفيزه بما وجد من قصص جمة تحمل شدة ثم فرج (كان هذا من أسباب نشاطي لتأليف كتاب يحتوي على هذا الفن على أكثر مما جمعه القوم) [٢] ووضح عزمه على شرح ما يصعب من معاني المفردات خلال عرضه للمادة المختارة كما أوضح طريقة مختلفة عن تصنيف من سبقه وتنويع أكثر في الأخبار حتى يعجب بكتابه وذكر كذلك سبب تسمية الكتاب قائلا: "تيمنا لقارئه بهذا الفال " وقد نقح المادة التي كتبت و" اقتصر على أحسن وأصح وأملح ما وجد من مادة وشعر في أسلوب مختصر بعيد عن الحشو[٣] ويظهر تواضعه في طلب الصفح عما يعثر به من تقصير أو خطأ، وقد قسمه إلى أربعة عشر بابا بدأها بما له علاقة بموضوع الكتاب من القرآن الكريم ، وختمه بشعر اختاره في أكثر المعاني التي تناسب ما تقدم من الأمثال والأخبار؛ علما أن هذه الأبواب غير متماثلة في حجم المادة المقدمة . ورغم ذلك فقد أضاف كتابا آخرا للمكتب العربية ومصنفا كبيرا بمنهج مختلف، و في موضوع واحد . وقد قيل عن منهجه (أنه في مشواره رائد لطريقة جديدة في تدوين الأخبار والحكايات المستطرفة أملأها من خاطره وحكى فيها أخبار من عرفهم أو عاصرهم في حياته من طبقة الوزراء والقضاة وكبار رجال الدولة من الكتاب والعمال)[٤].

---

[١] أبي علي المحسن بن علي التنوخي – الفرج بعد الشدة – ص ٥٤

[٢] المرجع السابق نفسه – ص ٥٥

[٣] المرجع السابق نفسه الصفحة نفسها

[٤] الهفوات النادرة – التنوخي - ص٢٨

ويلي هؤلاء المؤلفين أبو حيان التوحيدي المتوفي عام ٤٠٠ هـ في كتابيه الامتاع والمؤانسة والبصائر والذخائر مع اختلاف منهجه في كليهما حيث يأتي كتاب الامتاع والمؤانسة في ثلاثة أجزاء قسمها جميعا إلى عدة ليالي بلغت أربعين ليلة غيرمتماثلة في عدد الموضوعات ويبني كل ليلة على السؤال الذي يوجه من قبل الوزير أبا عبد الله العارض الذي كان ينادمه، وكل ليلة تجمع موضوعات شتى بدون ترتيب أو تبويب، وينهي كل ليلة بطرفة من الطرف لذا كان جمعا لأخبار السياسة والأدب والمجتمع والدين والحيوان والأدعية وغير ذلك كثير. إذ تحدث في الجزء الأول عن الْخَلق والْخُلق وأحوال الإنسان بالإضافة لما يتعلق بحياة الحيوان، ثم تحدث عن الجبر والقدر، وتناول من الفلسفة ، وكلام الأنبياء ومن التاريخ مثل حديثه عن كسرى ومملكته. كما كتب عن المجون ، وتناول النحو والصرف ، ولم يترك كلام الصحابة، والحكم والاحاديث النبوية والأقوال المأثورة ، فجاء فعلا يحمل اسمه حيث يمتع ويؤنس ويعلم ويثقف.

أما كتابه **البصائر والذخائر** انتقى مادته وفق شروط معينة هي التنقيح لكل ما يختاره من حيث الطول والقيمة والندرة والابداع (صح العزم بعد التنقيح والاستشارة على نقل جميع ما في ديوان السماع ، ورسم ما أحاطت به الرواية ، واشتملت عليه الدراية مع توخي قصاره دون طويله ، وسمينه دون غثه ، ونادره دون فاشيه ، وبديعه دون معتاده ، ورفيعه دون سفاسفه) [١] وقام بتوثيق كل ذلك بذكر المصادر التي أخذ منها سواء كان من الكتب أم اللقاءات الحية، بدءا بالقرآن والسنة واستعمال العقل والمشاهدات) [٢]

وأتى هذا الكتاب في عشرة أجزاء ، ولكنها خبرية لذا جاءت دون ترتيب أو تبويب لأن طبيعة الكتاب تقوم على ذلك.

---

[١] الوزير الكاتب أبوسعد منصور بن الحسن الآبي – نثر الدر – تحقيق محمد علي قرنة وآخرين – القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م ص ١٢ و١٣ و١٤ (بتصرف)

[٢] أبو حيان التوحيدي – البصائر والذخائر - ص١٠

وألف الحسين بن محمد بن المفضل الملقب بالراغب المتوفي ٤٠٢هـ كتابه محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء وجعله في أربعة أجزاء وقسم كل جزء إلى حدود وفصول وقد بلغت جملة حدوده خمسة وعشرين حدا في مختلف الموضوعات .تناول في كتابه الطب والمرض ، والصناعات والمكاسب والأخوانيات وماله علاقة بأمور الزواج والطلاق وما يتبع هذه الأمور من قضايا، كما تحدث عن الملابس والفرش وغير ذلك كثير من المادة المفيدة.

كتاب نثر الدرـ للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي المتوفي سنة ٤٢١ هـ قسم كتابه إلى ستة أجزاء يشتمل كل منها على عدد من الأبواب غير المتكافئة العدد، و قسم السادس منها إلى قسمين تشتمل على ستة عشر بابا، خصص فصولا للهزل والمجون في كل باب إلا باب القرآن الكريم)[١] وقد جاء الكتاب خاليا من من الخطب والقصائد الطوال، بل مجموعة أقوال طريفة وغير مترابطة)[٢] وجاءت أبواب هذا المصنف متباينة في مادتها، مختلفة في طريقة عرضها حيث صدر بعض منها بمقدمات، وبعض منها سلسل مادته حسب الحروف الأبجدية ؛ مثل أن يذكر وصايا تبدأ جميعها بحرف الألف وبعدها تبدأ بحرف الباء وهكذا وأورد قبل خاتمة الكتاب مختارات شعرية دون أن تتخللها أخبار وختم بذكر جماعة من شيوخ العلم والتصوف التقى بهم في حياته فجاء كتابه كما ذكر: (عجيب في بابه ، غريب في ترتيبه وأسلوبه)[٣].

ابن عبد البر القرطبي االمتوفي سنة ٤٦٣ هـ. تتلمذ على أيدي الكثير من الشيوخ يقارب عددهم الأربعين شيخا. لازم بعضهم ملازمة طويلة وبعضهم تلقى عنه فترة من الوقت، وذلك بسبب الفتنة البربرية التي حملته على الهجرة من بلده قرطبة.

---

[١] الوزير الكاتب أبو سعد منصور بن الحسن الآبي – نثر الدر – ص ١٢ و١٣ و١٤ (بتصرف)

[٢] المرجع السابق نفسه – ص٩

[٣] المرجع السابق نفسه – مقدمة المؤلف

كانت معظم مؤلفاته دينية، ولكنه ألف كتابه في هذا الفن باسم **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس** قسمه إلى قسمين وكل قسم إلى عدد من الأبواب بلغت مائة واثنين وثلاثين بابا ضمت الكثير من موضوعات الدين والدنيا مثل الظلم والجور ، والعفو والتجاوز ، والطاعات والمعاصي ، الملح وما به النفس ترتاح، وأجوبة الحمقى ومراجعة السخفاء، وما يخص الأخلاق مثل: الكرم والسؤدد وغيرها من الموضوعات المتباينة.

يلي هذه الكتب كتاب **لباب الآداب**، لأسامة بن مرشد بن مقلد بن منقذ.....يعرب بن قحطان توفي سنة ٥٨٤هـ له الكثير من الكنى مثل أبو المظفر وأبو الفوارس أبو أسامة ويلقب بمؤيد الدولة مجد الدين ، كان فارسا وكاتبا وشاعرا . له العديد من المؤلفات بلغت ثمانية عشر مؤلفا من ضمنها ديوان شعره، و كتابه المذكور أعلاه رتبه في عدة أبواب وفصول جمع فيها الكثير من الموضوعات المختلفة .منها الوصايا، واشتمل على ما يخص الأمانة ، والكرم، والتواضع وحفظ التجارب وغيرها أما باب البلاغة ضمنه ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم وغيرها من الموضوعات وباب الحكمة اشتمل على حكم مجموعة من أقوال الحكماء ونوادرهم، كما تضمن بعض من كلام سليمان عليه السلام ، وعدد آخر من الموضوعات المتباينة، ولكنه لم يذكر سببا لتأليف كتابه كما فعل الآخرون.

أما صاحب كشف الظنون فقد أشار إلى أنه اختصره من كتابه نزهة الأدب ورتبه على أربعة فصول اشتمل الأول منها على خمسة أبواب والثاني على عشرة أبواب والثالث على ثلاثة عشر بابا)[1].

[1] كشف الظنون – ج٢ ص١٩٢٧

محاضـرة الأبـرار ومسـامرة الأخيـار ، لمحـي الـدين محمـد بـن علـى المعـروف بـابن عربـي المتـوفي ٦٣٨ هـ أخـذه مـن نحـو ثمـان وثلاثـين كتابـا فـي ضـروب مـن الآداب والمـواعظ والأمثـال والحكايـات النـادرة والأخبـار السـائرة ، أمـا منهجـه فقـد قـال: (نزهـت كتـابي هـذا عـن كـل هجـاء ومثلبـة وضـمنته كـل ثنـاء ومنقبـة وإذا كانـت الحكايـة المضـحكة فـي رجـل معتبـر مشـهور مـن أهـل الـدين أو العلـم لهفـوة صـدرت منـه ضـحك لهـا الحاضـرون ..... فأذكرهـا لمـا فيهـا مـن الراحـة للـنفس ولا أسـمي الشـخص الـذي ظهـر منـه ذلـك وكـذلك أيضـا سـكت فـي كتـابي عمـا شـجر بـين الصـحابة رضـي الله تعـالى عـنهم لمـا يتطـرق للنفـوس الضـعيفة وأهـل الأهـواء مـن التـرجيح حتـى لا أذكـر الغيبـة)[1]، وقـد كـان هـذا تعظيمـا لمكانـة الصـحابة رضـوان الله عليهم أجمعين .

ومـن الكتـب المتـأخرة **كتـاب ثمـرات الأوراق** لأبـي بكـر بـن علـي بـن عبـد الله التقـي الحمـوي المعـروف بـابن حجـة لقـب بـالأزراري نسـبة لعملـه فـي هـذا المجـال لديـه العديـد من الكتب والرسائل منها المخطوط والمطبوع. توفي سنة ٨٣٧هـ.

جمـع فـي كتابـه الكثيـر مـن المـادة المتنوعـة مـن مواقـف دينيـة وتاريخيـة وغيرهـا مـن الموضـوعات ولكـل منهـا عنـوان بـدون تبويـب أو تصـنيف رغـم أنـه يضـع بعضـها تحـت اسـم فصـل. كمـا أنـه قصـد بمختاراتـه هـذه ذواقـة الأدب عنـدما تحـدث عـن سـبب تسـمية كتابـه:(فـإني وريـت بتسـمية هـذا الكتـاب بثمـار الأوراق، عالمـا أن قطوفـه لـم تـدن لغيـر ذوي الأذواق)[2] فهـو يعلـم تمامـا قيمـة مـا كتـب وجمـع وصـنف؛ لـذا جعلـه خاصا لأهل الأدب وذواقته .

---

[1] محمد بن علي المعروف بابن عربي محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار- دار صادر بيروت – ص٥

[2] تقي الدين أبي بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي – ثمرات الأوراق - دار الجيل – بيروت لبنان – ص٣

كتـاب المخـلاة ، لمحمـد بـن حسـين بـن عبـد الصـمد بـن محمـد الجبعـي العـاملي الحـارثي الهمـداني ، لقـب ببهـاء الـدين وعـرف بالبهـاء العـاملي ، بـدأ أخـذ العلـوم العربيـة والفقـه والحـديث والتفسـير عـن والـده، ثـم تنقـل كثيـرا للبحـث عـن العلـم لـه العديد من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة من بينها المخلاة توفي سنة ١٠٣١هـ

جمـع العـاملي فـي كتابـه القـرآن الكـريم وتفسـيره ، والأحاديـث النبويـة والنـوادر والأقـوال والحكـم والاشـعار والمـواعظ ومعـاني المفـردات وكـل ذلـك بـدون تبويـب أو ترتيب أو فهرسة محققا بذلك المعنى الذي اختاره عنوانا لكتابه .

المبحث الثاني: كتب التأليف بالشخصيات

أما هذا النمط فقد ركز علي الشخصيات وصفاتها وبعض سلوكياتها في تلك الحقبة الزمنية، ولكن هذه المؤلفات صارت صالحة لكل زمان حيث أن تصرفات هذه النوعيات من البشر موجودة في كل الأوقات وهي:.

كتاب الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد وينتهي نسبه إلى عبد مناف القرشي الأموي المتوفي سنة ٣٥٦ هـ . جمع في كتابه ما أمكنه من الأغاني قديمها وحديثها بالنسبة لعصره ووثقه من حيث المؤلف وصانع اللحن... وكذلك كل الأخبار التي تتعلق بالمؤلف والصوت) [١] وما وجد من أخبار تخص اللحن فكان كتابا أشبه بكتب التراجم من حيث التعريف بالمؤلفين والمغنين ومن ناحية أخرى فهو كتاب محاضرات لما يجمع بين صفحاته من من أخبارهم وحكاياتهم، ومصدر قيم لهواة الألحان بما يحوي من ألحان تعادل النوتة الموسيقية في عصرنا الحديث.

اتبع أبو الفرج منهجا انفرد به كما تفرد بمادته وهو أنه صدر كتابه بذكر الأصوات الثلاثة الأولى ثم المائة صوت المختارة ثم أعقبها بذكر الأخبار "ولم يرتبه – على حد قوله – أبوابا على طرائق الغناء أوعلى طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم .... فليس المغذى من الكتاب ترتيب الطبقات إنما المغذى فيه ما ضمنه من ذكر الأغاني بأخبارها وليس هذا ما يضر بها) [٢] وصف كيفية ترتيب المصنف والتزم به فلم يجانب الصواب عند تنفيذ خطته.

كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ، لأبي القاسم علي بن الحسين بن عبد المنعم التنوخي (٣٨٤ هـ) بدأ مصنفه بمقدمة قصيرة ذكر فيها سبب التأليف، ثم

---

[١] أبو الفرج الأصفهاني – الأغاني – دار الثقافة - بيروت لبنان مج١ ص ١٢

[٢] المرجع السابق نفسه - ص ١٤

أعقبه بحكاية مجهولة القائل ، وتتوالى الحكايات تباعا من أمهات الكتب كالأغاني ، والعقد الفريد ، وغيرها ولم يتبع في ذلك منهجا معينا، ولكنه حوى قصصا عن الكرم والشهامة من العصور المختلفة، وأورد الكثير من الوقائع عن عدد من الصحابة والتابعين كانت أقرب للخيال.

ويعقبه أبو بكر أحمد بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي المتوفي ٤٦٣هـ بكتابه **التطفيل** الذي نحى فيه منحى آخرا فقد أعقب المقدمة بمعنى التطفيل اللغوي، وأول من نسب إليه التطفيل ، واسم الطفيلي في الجاهلية . وبعد ذلك صنف عدة أبواب وألحقها بموضوعات أخرى دون أن يخرج من حقل كتابه ، ولم ينس أشعار الطفيليين . وقد وصف كل ذلك قائلا: (جمعت لك في هذا الكتاب من ذكر التطفيل ومعناه ، وأول من نسب إليه وعرف به ، وبيان حكمه وحمده وذمه، وأخبار أهله الموسومين به ، ما يستروح له قلب العلم به من ثقل الجد، ويتروح خاطره بالنظر من دوام الدرس والكد) [1]. فطرافة مواقف الطفيليين وتسمياتهم المضحكة للأطعمة؛ تخفف عن سامعها ما يشعر به من ضيق الحياة وتعب الجد كما ذكر صاحب الكتاب ، فيتخلص بالضحك مما يشعر ويسقطه بعيدا عنه فيحس بالراحة .

بعده ألف **كتاب البخلاء** وقسمه إلى ستة أجزاء وكل جزء إلى فصول، وبدأ كل فصل بدعاء ثم بمن روي أو سمع عنه وختم كذلك بدعاء ، وقد احتوى كتابه على الأحاديث النبوية التي جاءت في ذم عادة البخل والبخلاء وأحوالهم ، وضمنه كذلك الأشعار التي تخللت حكاياته عن البخلاء .

كتاب الهفوات النادره من المعقلين الملحوظين والسقطات البادرة من المغفلين المحظوظين. لغرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابئ المتوفي سنة ٤٨٠هـ

[1] أبو بكر أحمد بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي – التطفيل ط١ ١٤٢٠هـ – ص٤٤

بدأ غرس النعمة كتابه بما حدث معه من هفوات وقال: " وجمعت معها من طريف الاتفاقات طرفا استطرفناها وحديثا استغربناه واتفق أن لحقني منه ما صدق العجب والاستطراف ، فعملت على جمع ما ندر من ذلك وإن كان قليلا معلوما وضم ما تفرق منه وإن كان علما مأموما وأضفت إليه قطعة من أخبار المغفلين المحظوظين والجهال المرزوقين؛ إحماضا لقاويه وتنبيها على قدر نعمة الله تعالى عنده وفيه " [1] ومما سبق عن تعريفه بالمنهج الذي اتبعه في مقدمة كتابه، فقد بدأه بما خصه هو، ثم أورد الهفوات والسقطات تباعا دون ترتيب مكاني أو زماني. والمؤلف أمين في ما ينقل موثقا كل خبر بذكر مصدره، والهفوات التي جمعها عبارة عن حكايات تزيد على الأربعمائة، وينتهي الكتاب بالهفوة الخامسة بعد الأربعمائة دون خاتمة من المؤلف. وتختلف أخباره طولا وقصرا، فبعضها يطول فيه نفس المصنف حتى يبلغ الصفحات العشر فما دونها، وبعضها يضيق فيه النفس حتى لا يكاد يتجاوز السطرين أو الثلاثة[2] وهذا مما تكرر في معظم كتب المحاضرات فمن الصعب أن تتساوى الحكايات في الطول والقصر وهذا شيء طبيعي .

كتاب أخبار الحمقى والمغفلين ، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله ابن الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي المتوفي سنة٥٩٧هـ صنف كتابه هذا في أربعة وعشرين بابا تناولت كلها ما يتعلق بالحمقى والمغفلين.

أما كتابه **أخبار الظراف والمتماجنين** ؛ بدأه بفصل في معنى الظرف والمجون ثم قسمه إلى ثلاثة أبواب وقسم الأول منها إلى خمسة فصول . من المعجم دارت

---

[1] غرس النعمة الحسن بن محمد الصابيء – الهفوات النادرة - ص٤

[2] انظر المرجع السابق نفسه ص ٣٥و٣٦

حكاياتها حول المجون وتخللتها الأشعار الماجنة المصاحبة للمواقف التي تحمل نفس الصفة.

أما كتابه **الأذكياء من الفقهاء والمفسرين والرواة والمحدثين والشعراء والمتأدبين والكتاب والمعلمين والتجار والمنتسبين وطوائف تتصل للغفلة بسبب متين** لجمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي البغدادي وقد ذكر ابن الجوزي عن تنظيم كتابه بأنه قسم إلى أبواب بلغت ثلاثة وثلاثين بابا، فجاءت غير متماثلة في حجم المادة، ولم يسر فيها على نهج واحد. فمنها ما سماه بابا ولكنه قصير جدا ، ومنها ما جعله في قسمين رغم قلة مادته كالباب الرابع مثلا. ومنها ما ألحقه بفقرات قصيرة وجعلها تحت عنوان فصل كالباب الثاني. فكانت بذلك بعض أبوابه أقرب للفصول، وبعض فصوله عبارة عن فقراتأشبه بالملاحق.

المبحث الثالث:التأليف بالتضاد

هذا النمط الذي حمل قاعدة وبضدها تتضح الأشياء .في كتابي المحاسن والأضداد و المحاسن والمساوئ.

كتاب **المحاسن والأضداد** كان أول الكتب التي ألفت في هذا النوع من الموضوعات. كتبه أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ، الكناني الليثي البصري ، المتوفي عام ٢٥٥هـ ترك زهاء ثلاثمائة وستين مصنفا في مختلف العلوم ، ولكنها في جملة الكتب الضائعة إلا القليل منهامثل الحيوان والبيان والتبيين.

بدأ الجاحظ كتابه بمقدمة، وقسمه إلى عدد كبير من الفصول وكان منهجه في معظم المصنف ؛ أن يذكر محاسن الموضوع المطروح كاملة، ثم يعقبها بالأضداد مثل أن يتحدث عن العدل ويعقبها بالجور ولكنه غير ملتزم تماما بذلك إذ أورد أحيانا محاسنا متتابعة دون ذكر أضدادها. كما أن بعض فصوله قصص وحكايات دون ذكر محاسن أو مساوئ ولكنه رائد هذا النهج من الكتب، وكان ملهما لغيره في هذه الناحية.

تلاه الإمام البيهقي المتوفى عام ٣٢٠هـ الذي اعتمد في كتابه على التضاد فيعمد إلى الموضوع ثم يليه بضده مثل محاسن ومساوئ طلب الرزق، ومحاسن ومساوئ التطير، ومحاسن ومساوئ المشورة ومحاسن ومساوئ المسامرة وأرفق ذلك ببعض أبيات الشعر عندما يجد هناك حاجة للشواهد الشعرية، وبذل جهده لتناول أكبر قدر ممكن من القضايا التي تدور حولها حياة الناس، إلا ما تعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم.فلا مجال لأن يتناول هذه المادة كما تناول الموضوعات السابقة.

المبحث الرابع:المحاضرات الدينية

كتاب أدب الدنيا والدين لأبي الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي البصري المتوفى ٤٥٠ هـ له الكثير من المؤلفات التي صنفت في ثلاث مجموعات هي كتب التفسير وكتب السياسة وكتب الأدب التي ينتمي لها هذا الكتاب واسمه البغية العليا في أدب الدين والدنيا. رتب كتابه في خمسة أبواب وكل باب عبارة عن عدة فصول تضمنت آداب الدين والدنيا والعلم والنفس والعقل ومن عناوينها فضل العلم وذم الهوى، وأدب العلم، وأدب الدين وأدب الدنيا وأدب النفس وغيرها.وقد جمع بذلك بين الأمور الدينية و الأمور الدنيوية المرتبطة بالدين .

ومعه في المجال نفسه كتاب الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي درس على يد الأصفهاني وأبي سعيد الشقاني والنيسابوري وغيرهم، كان شاعرا جمع شهره في ديوان الأدباء أو بستان العقلاء له الكثير من المصنفات منها هذا المصنف الذي ألفه من أجل الكشف عن حقائق التنزيل وخباياه ليريح به القارئ. صنفه في جزأين وعدة أبواب . جاءت موضوعات الجزء الأول في مايختص بالملائكة ومنها ما جاء حول الإخاء والمحبة ، والصحبة . أما الجزء الثاني كانت موضوعاته حول العادات الحسنة والقبيحة ، مثل الذم والهجو والضعف ، ومنها ما خصصه في معاشرة الناس وملاقاتهم ، ثم ألحقه بالسفر والوداع والبعد وما يتعلق بها ، وتناول أيضا ما يخص الشباب والشيخوخة، وغيرها من هذه الموضوعات التي تحقق هدفه من تأليف الكتاب وهذا النمط هو أقل كتب المحاضرات من حيث الكم .

اختلفت عناوين هذه الكتب وتقاربت أفكارها واتفقت مناهجها حينا واختلفت حينا آخر ؛ فقد اهتم معظم مؤلفيها بشرح تسميتها وتوضيح أسباب تلك التسمية، وذكر

دواعي تأليف مصنفاتهم ؛ من خلال مقدماتهم التي حوى بعضها شرح المنهج الذي سيتبعه الكاتب في عرض لبنات أفكاره (محاضراته). أما الترتيب والتبويب اتفق عدد منهم في جعله أبوابا، أو أجزاء، أو أقساما، أو حدودا أو كتبا، وهذه التقسيمات متكافئة في معظم الكتب، وإن اختلفت التسميات.

وكثير غير هذه الكتب التي ذكرناها نالته يد الضياع ولم يبق منة إلا الاسم شاهدا على أفكار ضاعت ورؤى اندثرت وجهود تبعثرت مثل (السكردان، لأحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد التلمساني المعروف بأبي حجلة نزيل دمشق قدم إلى الحج فلم يرجع ومهر في الأدب ونظم الكثير ونثر وأجاد) [١] وقد ذكر صاحب كشف الظنون أنه اشتمل على مقدمة وسبع أبواب جمع فيه ما يتعلق بإقليم مصر والسلاطين) [٢] وكتاب ريحانة الأدب في المحاضرات ، لأبي الحسن علي بن موسى العمادي الأندلسي المتوفي سنة ٦٧٣هـ جمع فيه بين عيون الأخبار ومستحسنات الأشعار ، و كتاب رونق المجالس ، لأبي حفص عمر بن عبد الله السمرقندي جعله مشتملا على اثنين وعشرين بابا يحتوي كل باب على عشر حكايات) [٣]. فقد كانت هذه الجهود الطيبة التي قام بها صاحب كشف الظنون هي ما حفظت هذه الكتب التي بقيت عناوين دون المحتوى الذي حمل جهودا وأفكارا ورؤى وخطط مؤلفيها، وحكايات ربما لم تتضمنها الكتب الموجودة الآن.

أما كتاب التذكرة الحمدونية لابن حمدون – موضوع الدراسة – فسيأتي ذكره مفصلا فهذا المصنف – كما سنري لاحقا– عدة كتب تحت عنوان واحد .فقد جمع بين دفتي كتابه الموضوعات والشخصيات، والتضاد والأمور الدينية

---

[١] مفتاح السعادة - ص٢٠٩

[٢] كشف الظنون - مج١_ص٩٣٤

[٣] كشف الظنون مج١- ص٩٤٠

والموضـوعات الترويحيـة. مقـدما بـذلك للقـارئ كـل أنـواع أدب المحاضـرات فـي كتـاب واحـد، وغيـره سـلك طريقـا آخـرا هـو اختصـار كتـب المحاضـرات وهـذا مـا سنعرضـه فـي المبحث التالي.

المبحث الخامس: مختصرات المحاضرات

لم تتوقف كتب المحاضرات بجهود مؤلفيها، إنما تتابعت تلك الجهود في عصور تلت، وقام البعض بمعالجة كتب المختارات لهدف أو لآخر، واجتهد في اختصارها لخدمة المتلقي. وقد كان النصيب الأوفر من تلك الجهود لكتاب الأغاني الذي وجدنا له أكثر من مختصر وتكاد أهداف المختصرين لهذا المصنف تتشابه لذا تقاربت أساليب اختصارهم . وقد ذكرهم صاحب كشف الظنون. "فأول من اختصره هو الوزير بن علي بن الحسين المتوفى سنة٤١٨هـ كما اختصره في مجلد واحد أبو القاسم عبد الله المعروف بابن باقيا الكاتب الحلمي المتوفى٤٨٥ هـ"[١].

وما وجدناه هو كتاب مختصر ابن واصل الحموي المتوفى سنة٦٧٩هـ وأسماه تجريد الأغاني من ذكر المثالث والمثاني ، فقد كان كتاب الأغاني الأصلي كتابا ضخما يحوي ستة عشر مجلدا، تضمنت الكثير من الأصوات والنغمات والمصطلحات الموسيقية وأسماء الشعراء والمغنين الذين استخدموها في ذلك العصر ، وغير ذلك من الموضوعات لذا كثرت مختصراته "نسبة لطوله،وكثرة أسانيده، وكثرة أسماء الأصوات والألحان، وكثرة ما فيه من التكرار والاستطراد، وصعوبة فهم الأصوات والألحان، فقراءة مختصرة لكتاب الأغاني خير من أن يجهل الكتاب ،ويجهل مختصره، ويجهل الأدب العربي كله[٢]. وهذا الهدف قد يخدم معظم القراء ، وييسر من عملية الاطلاع عليه والمحافظة على الإلمام به فهو تراث عظيم ، وتسجيل لبراءة ما وصل إليه أهل هذا العلم في ذلك الوقت.

---

[١] كشف الظنون – مج ٢ – ص٩٤٣

[٢] ابن واصل الحموي – تجريد الأغاني – مطبعة مصر ١٩٥٥م– المقدمة ص (ب-ح)و ص٣ (بتصرف)

وقد كان الهدف من التجريد واضحا، " لأن مؤلفه قد شانه بذكر الأصوات.....ومما لافائدة في ذكره) [1] فلابد من تنقيح تلك الأصوات والأنغام والإيقاعات التي يراها أهل العلم حشوًا لا سائغ منه. خاصة أن الأزمان تختلف وأن الفنون تتطور. ويصبح ما يراه الأول تفصيلا وتوضيحا قد يجده التالي حشوا، وما يجده أحدهم تثبيتا يعتبره غيره تكرارا "إذ كان المباشرون لهذه الصناعة في زمننا هذا إنما يعرفونها عملا لا علما، وغيرهم لا ينتفعون بشئ ما ذكر ولا يحيطون به فهما[2] فقد نوه المؤلف لفرق مهم جدا بين النظر للموسيقى في الماضي والحاضر، فقد تعاملوا معها باعتبارها عملا، فجاء الكتاب وصفا دقيقا يعين على ممارسة هذه الصنعة لمن أراد ، وله القدرة على فهم مصطلحات عصره. كما علم بنظره الثاقب أن هذا الجهد على دقته لن يفيد غير من وجه له، فكان لابد من التنقيح والتصفية التي وصفها الحموي بقوله: "فاقتصر علي غرر فوائده ودرر خرا ئده وإضافة فوائد أخر تتعلق به ، وشرح بعض المستغلق من ألفاظه[3]. ويصبح بذلك ليس مجرد اختصارفحسب، إنما تنقيح أبقى على الفوائد فقط، وشرح ما صعب منها ، وإضافة ما يراه مفيدا وله علاقة بالموضوع من أجل إفادة القارئ، وصنع بذلك كتابا أشبه بالأغاني من خلال هذا العمل الذي قام به.

ومختصر آخر قام بتأليفه أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، سماه مختار الأغاني في الأخبار والتهاني. هذا المؤلف عالج الكتاب بأسلوب مختلف عن تجريد الأغاني بالرغم من الاعتماد عليه، " فقد نسق التراجم علي حروف الهجاء، وحذف الأسانيد.... والأخبار المعتادة وأسقط بعض

---

[1] ابن واصل الحموي – تجريد الأغاني – ص٤

[2] المرجع السابق نفسه – ص٤

[3] المرجع السابق نفسه ص ٤

القصائد والأخبار، وزاد أخبارا استحسنها)[1] فأضاف إليه بذلك شيئا من الحداثة، ومما يحتاجه القارئ اليوم كالترتيب علي حروف الهجاء، فيجد القارئ ضالته بسرعة في عصر السرعة. كذلك ما يهم القارئ اليوم المعلومة أكثر من سندها، والأسانيد وإن كان فيها نوع من التوثيق والقوة؛ غير أن حذفها فيه أيضا نوع من التخفيف لمن لا يهمه أمر الإسناد علي قدر ما يهمه أمرالمسند.

وهناك مختصرات أخري مثل كتاب الأمير عز الملك محمد بن عبد الله بن احمد الخراني المسيحي الكاتب المتوفي سنة ٤٢٠هـ. ومختصر القاضي جمال الدين محمد بن سالم المعروف بابن سالم الحموي المتوفي ٤٨٥ هـ.

والجدير بالذكر؛ أن الجهود لم تقف بالنسبة لهذا الكتاب ذاته على الاختصار إنما هناك من قام بمعالجته عن طريق شرح مصطلحاته الموسيقية ، كما أورد شروح الباحثين للنغمات التي استخدمت ، وربطها بالتوزيع الموسيقي في الوقت الحاضر. ألا وهو ابن المنجم في رسالته في الموسيقى وكشف رموز كتاب الأغاني .

ومن الكتب التي تم اختصارها أيضا كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، "إذ رتب علي ثلاث وعشرين مقالة أوله الحمد أولا وآخرا ، اختصره محمود بن محمد بن الأروام (الأردام).

وكذلك مختصر محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر حيث رتب علي قسمين:الأول في فصول الأوائل مرتبة علي سبعة وثلاثين فصلا والثاني في فصول الأواخر وفيه أربعة فصول)[2].

---

[1] ابي الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري – مختار الأغاني في الاخبار والتهاني - ص (هـ) ت- زهير الشاويش – المكتب الاسلامي للطباعة – ١٩٦٤م

[2] كشف الظنون –مج٢-ً ص١٦١٠

كتاب روض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار، اختصر من الأصل ربيع الأبرار ونصوص الأخبار. وقد وجد المؤلف أن علم المحاضرات علم مفيد ووجد من مصنفاته هذا الكتاب، ولكنه في حاجة للاختصار، واستخلاص المفيد منه " لما كان علم المحاضرات علما نافعا من العلوم العربية.... وقد صنف فيه كتاب ربيع الأبرار إلا أنه بحر زاخر لا تدرك غايته استخرجت منه نخب فوائد علي وجه الاختصار ليس هذا فحسب، إنما زاد عليه ما وجده بالتأكيد مفيدا إذا ما وضعه في هذا الموضع، ثم قام بترتيبه، فذلك جهد يحمد. وقد اختصره آخر وغير اسمه لأنوار الربيع[1] واختصر كذلك كتاب السكردان تحت اسم منتحب السكردان، ورتب علي خمسة أبواب جاء في قصة سيدنا يوسف وموسى وسير ملوك مصر....الخ وفي آخر كل باب خاتمة وهي سبع حكايات) [2] وللأسف لم نعثر علي المختصر أو الأصل إلا ما ذكر في كتاب كشف الظنون.

[1] كشف الظنون – مج٢ – ص ٤٩٩

[2] المرجع السابق نفسه – الصفحة نفسها

الفصل الثالث

أدب المحاضرات بين المشرق والمغرب

أدب المحاضرات بين المشرق والمغرب

بالطبع لم يكن كتاب التذكرة من الكتب الأوائل في تأليف علم المحاضرات فقد سبقته جهود في المشرق العربي فهذا الجانب – العراق وفارس خراسان – توافرت له الكثير من العوامل التي ساعدت حركة التأليف ، "فهو غني بالحضارة خصب المعرفة عريق الفلسفة له تراث محترم من المدنيات والعمران والفنون والآداب[١] غير ذلك من الأمور التي أدت لميلاد الكثير من الأدباء والمؤلفات التي استفاد منها الحمدوني واستفاد منه من أتى بعده من المتأخرين .

ولكن لاتساع رقعة بلاد المشرق" واهتمام الحكام بالعلم وتقريب العلماء جعل العربية وآدابها لغة رائجة السوق ممسوحة بمسحة فارسية كذلك العوامل السياسية ساهمت في أن جعلت للأدب عواصم متفرقة دون أن تقف في سبيله حواجز سياسية ولا موانع بيئية ، واستطاع أدبها أن يخلق كتلة واحدة متلائمة الطباع ولا يكاد يختلف شاعر عن شاعر أو كاتب عن آخر) [٢] لذا تعددت المصنفات وأقبل الكثيرون عليها بالقراءة والاطلاع وبدأ الأمراء والوزراء بطلب المزيد من الكتب، وصرف الأموال في اغتنائها سواء من أهل المشرق أم المغرب .

ومن هؤلاء(أبو الفضل العباسي بن سليمان الذي انفق عمره في طلب العلم وماله في الكتب وأن اجتهاده حمله على أن يرتحل للمشرق) [٣] فطلب من يؤلف له كتابا يكتفي به عن جميع الكتب ، فكان ميلاد كتاب **(زهر الآداب وثمر الألباب)** ، لأبي اسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني المتوفي عام ٤٥٣هـ فما هذا الكتاب وماذا يعني بالنسبة للمشارقة ؟ وما المنهج الذي أتبعه المصنف؟ ليضيف لمكتبة الأدب العربي علما لايستهان به .

---

[١] ابراهيم علي أبو الخشب – تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني – الهيئة المرية للكتاب – فرع الاسكندرية – ط١ ١٩٩٨م - ص٤٣

[٢] المرجع السابق نفسه ص٤٣ (بتصرف)

[٣] أبو اسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني – زهر الآداب وثمر الألباب – دار الجيل للنشر والتوزيع – بيروت لبنان – ط٤ – ١٩٧٢م ص٣٥

هذا الكتاب جامع لأنواع عديدة من الآداب ويكفي الهدف الذي جمع من أجله ؛ وهو أن يستغنى به عن جملة الكتب التي ألفت من قبله ، وهذا حري به أن يجد القارئ فيه ضالته لذا قال عنه المتقدمون : "بأنه جمع كل غريبة[1] فهو وصف صادق للمصنف ، كما أنه كتاب جمع فيه بين جناحي الأدب: النثر والشعر ، وجمع فيه الأجوبة الدامغة والتشبيهات الرائعة الدقيقة و اختراعات الكتاب الغريبة ، ولم يترك الأمثال والأوصاف ، وضمنه الجد والهزل ليمتع القارئ ويفيده من كتاب واحد. ويريحه من البحث عن ذلك في كتب متفرقة. أما أساليب الكتابة فيما اختار – على حد قوله – أنه جمع فيها بين الجزالة والرقة ، ولم يجعله على شاكلة واحدة فترك بعضه مرسلا والبعض الآخر مسترسلا وفي ذلك هدف سام ؛ ألا وهو الإفادة مع عدم التقصير والتطويل ليسلم من آفتي الملل والخلل. ومن يجمع الغرائب، فلا يفوته ما تعارف عنه، فجاء كتابه ثمرة جهود مضنية لمؤلفها؛ مفيدة لقارئها. وهذا يجعله يعني الكثير للمشارقة عامة، وقراء الأدب في العصور الأخرى خاصة ، كما أنه راعى العديد من الأشياء التي تمتع وتفيد المتلقي فأثبتها فيه .

وإذا أمعنا النظر في ما حوى الكتاب من الصفات أعلاه نجدها أنها هي المنهج الذي اتبعه الحصري في تقديم مصنفه. فقد بدأه من الهدف الذي عمل من أجله حيث سئل أن يجمع مختار الغرائب ، ويضيف لها من كلام المتقدمين وما قاربه وقارنه وشابهه وماثله. فقد وصف منهجه ذلك وصفا دقيقا فقال: "إنه كتاب يتصرف الناظر فيه من نثره إلى شعره ومن مطبوعه إلى مساجلته ومن خطابه المبهت إلى جوابه المسكت وتشبيهاته المصيبة إلى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة إلى أمثاله السائرة ، وجده المعجب إلى هزله المطرب ، وجزله الرائع إلى رقيقه البارع ، وقد نزعت فيما جمعت عن ترتيب

[1] أبو اسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني – زهر الآداب وثمر الألباب – دار الجيل للنشر والتوزيع – بيروت لبنان – ص١٥

البيوت وعن إبعاد الشكل عن شكله وإفراد الشيء عن مثله فجعلت بعضه مسلسلا وتركت بعضه مرسلا ليحصل محرر النقد بقدر السرد وقد أخذ بطرفي التأليف واشتمل على حاشيتي التصنيف وقد نعني المعنى فألحق الشكل بنظائره أعلق الأول بآخره منه بقية أفرقها في سائره ليسلم من التطويل الممل والتقصير المخل وتظهر في التجميع إفادة الاجتماع وفي التفريق لذاذة الإمتاع فيكمل منه ما يونق القلوب والأسماع[١] وعن إخراج وترتيب مادته وفقا لهذا المنهج فإنه اهتم ببراعة المطلع و حسن الختام ، كما أنه عني عناية خاصة بالكلام عن الصحابة ، ويبدأ كلامه ويعيده عن البلاغة والبلغاء ويذكر فيه كثيرا من الآداب الاجتماعية التي كان يحمدها الناس في عهده مثل معاملة الملوك ....وغيرها وصان الحصري كتابه عن المجون وذلك في قوله عن بعض من ورد ذكرهم في كتابه :" وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره فصنت الكتاب عن ذكره) [٢] فهذا ما يونق القلوب، ويحفظ هيبة المؤلف والكتاب إذا تحقق.

ولكن للمحقق رأي في ذلك وهو :" أن الحصري بحرصه على الأخلاق قد ضيع علينا ما اعرض عنه من الآثار الأدبية وكنا في حاجة لأن نعرف كل ما ترك الأولون) [٣] فهو يخالف الحصري الرأي في الابتعاد عن المجون بصورة قاطعة ، ويريده أن يأتي بها . ولكنا نرى أنه عرف عما ترك الأولون من أشعار المجون؛ عندما ذكر عدم التزام الحصري بهذا المنهج ووجد بعضها في الكتاب "ولكنه غلب على أمره لأن كتابه لم يخل من المجون بل ومن فاحش المجون وللقارئ أن يتبع ما وقع[٤] ونلمح هنا بعض التناقض في حديث المحقق . ويرى المحقق كذلك أن الحصري قدم كتابا لا يحفل بترتيب المسائل ولا بتبويب الموضوعات إنما يتصرف من الجد إلى الهزل ومن الأوصاف إلى التشبيهات ومن الشعر إلى النثر، ومن المطبوع إلى المصنوع) [٥] وهذا فعلا ما وجدناه عند الاطلاع على الكتاب

---

[١] أبو اسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني – زهر الآداب وثمر الألباب – دار الجيل للنشر والتوزيع – بيروت لبنان – ص٣٤

[٢] المرجع السابق نفسه – ص٣٦ (بتصرف)

[٣] المرجع السابق نفسه – ص١٦

[٤] انظر المرجع السابق نفسه – ص١٧

[٥] أبو اسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني – زهر الآداب وثمر الألباب – دار الجيل للنشر والتوزيع – بيروت لبنان – ص١٥

من الأشعار الماجنة إلى أسلوب الترتيب، وقد كان المحقق محقا فيما ذكر في هذه الناحية .

أما كتاب التذكرة الحمدونية وعلاقته بكتب المشرق ممثلة في الكتاب أعلاه ، فإنه حمل بصمات صاحبه ووضح فيه جهد الترتيب، ولكن شخصية الحمدوني جاءت باهتة في اختياراته فإنه اختلف بالطبع عن الحصري في ذلك كما اختلف في الهدف. إذ أنه لجأ للكتب كأصدقاء مخلصين عندما افتقد ذلك في دنيا البشر ، ورمى الحصري من كتابه إفادة القارئ من كل أصناف الأدب في مؤلف واحد بعد أن طلب منه .إذن الوضع النفسي الذي ألف فيه الكتابان مختلف ،كما أن تذكرة الحمدوني لم تحفل بالغرائب ، إنما جمع كل ما رآه مناسبا ، ولكن كان كتاب زهرا لآداب مصدرا من مصادر الحمدوني التي استفاد منها كما استفاد منه الآخرون) [١].

واستفاد الحمدوني كذلك من مواصفات ذلك الكتاب وأسلوب كتابته الذي كان شائعا في المشرق مثل:" طابع الدقة في الخيال والعمق والتفكير والتسلسل في المعاني[٢]. وبهذا يكون لكتاب التذكرة علاقة بكتب المشارقة كما سيكون له علاقة أخرى بكتب المغاربة ، وبالتأكيد اطلع على كل ما ما له علاقة بالمغرب وأخذ منها.

ففي المغرب – مصر والشام والجزيرة والثغور – رغم تعدد الدول واتساع المساحة فقد تشابه تاريخ تلك الدول بعضها البعض فكانت الكتابة هنا على عكس المشرق إذ " لم يفسد لسانها التدخل غير العربي ، ولم يسارع الفساد إلى اللسان العربي في المغرب وكانت من أهم سمات الكتابة لديهم الترسل والسجع والصناعة اللفظية) [٣]. ورغم أن المساحات شاسعة والبلدان متعددة فقد، تشابهت تلك الصفات لوحدة الأدب "وأصبح الأدب لسهولة الترحال لا إقليمية له وصار من يبحث عن العلم أو الرزق غير مقيدين بمكان واحد؛ مما ساهم وساعد في جعل

---

[١] انظر التذكرة الحمدونية -تصنيف ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد علي – تحقيق إحسان عباس وبكر عباس دار صادر -بيروت ج٤ص١١٥

[٢] تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني – ص٥٦

[٣] تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني – ص١٥٤

الطريق بين بغداد وقرطبة لا يغيب عنه ضوء العلم ولا تنقطع عنه قدم العلماء وتأثر الأدب في الأندلس بأدب المشرق وأدبائه فهؤلاء المؤلفون يحذون حذو المشارقة في التأليف الأدبي) [١] وأصبح من يقرأ هذه الكتب لا يجد البون شاسعا بين الجهتين ، ورغم بعد المسافات فقد غلب طموح العلماء والأدباء عليها وقربوا بين الدول أدبيا .

فظهرت الكثير من كتب المغاربة مثل مطمح الأنفس ، ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس للفتح ابن حاقان والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام وأخيرا نفح الطيب للمقرىء وهذه جميعها تعني بأدب الأندلس ، وما يهمنا من ناحية أخرى كتب نقلت أدب المشارقة للغرب أمثال الأمالي لأبي على القالي الذي تخرج في مدرسته ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد.

وهذا الكتاب " قد ألفه ابن عبد ربه محاكيا ابن قتيبة في عيون الأخبار ، كما ألف ابن بسام كتابه الذخيرة محاكيا الثعالبي في يتيمة الدهر) [٢] . وهذا دليل على أن الكتب سفراء لا يهدأ لهم بال بين المشرق والمغرب ، وعلاقات أدبية قوية بين القراء المؤلفين، وبين من سبقهم مما جعل صاحب التذكرة الحمدونية يستفاد منه كثيرا أسوة بمن غيره من الكتاب. باعتباره مصدرا غربيا مهما من مصادر الأدب العربي.

ولما ألفه وذاع صيته ووصل للصاحب العباد وقرأه قال عنه (هذه بضاعتنا ردت إلينا ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم، وإنما هو يشتمل على أخبار بلادنا، لا حاجة لنا فيه) [٣] وهذا لأنه عني بأدب المشرق. ولكن ماذا قال صاحب العقد عن عقده ؟ ولماذا ألف كتابا يعنى ببلد ليس بلده ويساهم في نشر أدب غير أدب وطنه وهوأكثر حاجة للنشر ؟

---

[١] محمد عبد المنعم خفاجى – الآداب العربية في العصر العباسي الثاني– ص٢٠٧

[٢] السابق نفسه – ص ٢٠٧

[٣] ابن عبد ربه - العقد الفريد– ص٨

فقد أسلفنا أن ليس هناك إقليمية للأدب في ذلك الوقت ، كما أن هذه مدرسة من المدرستين اللتين كانتا في الأندلس وقد عنيت كل منهما بأدب لتعرف إحداهما أدب الأندلس لأهله ، والأخرى لتعرف أهل الأندلس على أدب الشرق[١] لذا اهتم ابن عبد ربه بنقل أدب المشرق لبلده ولم يكن موجها لأهل المشرق ، ولم يقف عند هذا الحد فحسب إنما كان له دور في إبراز أدب بلده وقد شرح ذلك ضمن منهجه .

وقد وصف منهجه :" جعلته كتابا شافيا كافيا جامعا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها، وقرنت غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظا من المنظوم والمنثور[٢]. فالواضح أنه لم يقف على أخبار الشرق فقط إنما ألحقها بأشعاره الخاصة وهذا من النادر في كتب المحاضرات أن يكون المصنف شاعرا. وقد كان هدفه أن يعلم في شخصه عن المغاربة بأن لهم باع من الشعر كما لهم قدرة على التصنيف أسوة بالمشارقة؛ لذا قدم شعره هذا معارضا به الكثير من شعر المشارقة في الموضوعات المختلفة أما عن الأخبار فإنه(يوردها بدون إسناد في أكثر الأحيان) [٣].

وتأثر بابن قتيبة في ترتيبه وتبويبه ومشتملات أبوابه ولكنه غمطه حقه في التصريح بما أخذ منه، وسوى ذلك فالكتاب كله صدى لشخصيته فهو أديب حسن الذوق في الاختيار ، ويعرض التاريخ ممزوجا بالأدب، ويقدم كل باب بمقدمة من إنشائه كما أنه يضع أشعاره ونقده) [٤] وهذا ما فعله الحمدوني في افتتاحيات

---

[١] المرجع السابق نفسه – ص٨

[٢] المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها

[٣] ابن عبد ربه - العقد الفريد- ص٨

[٤] العقد الفريد – ابن عبد ربه – ص٨

أبوابـه فقـد بـدأها جميعـا بمقـدمات مـن إنشـائه ، وظهـرت قدرتـه علـى الكتابـة والتـأليف مـن خـلال تلـك المقـدمات . فكـان التـذكرة الحمدونيـة مزيجـا مـن أدب الشـرق والغـرب ودلـيلا بينـا علـى سـعة إطـلاع كاتبـه ، وهـذه الكتـب علـى سـبيل المثـال لا الحصـر، و كيفية ترتيب تذكرة ابن حمدون هذا ما سنعرفه في الباب الثاني .

الباب الثاني

عصر الحمدوني _ ترجمته _ ترتيب الكتاب وتبويبه

الفصل الأول: عصر الحمدوني وترجمته

ويتضمن مبحثين :

المبحث الأول: عصر الحمدوني

المبحث الثاني: ترجمة الحمدوني

الفصل الثاني: مصادر الحمدوني في التذكرة الحمدونية

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: المصادر غير المصرح بها

المبحث الثاني:المصادر المصرح بها

المبحث الثالث : مصادر الحمدوني الخاصة

الفصل الثالث: تبويب الكتاب وترتيبه

الفصل الرابع : منهج الحمدوني وأسلوبه في الكتابة الأدبية

الفصل الخامس: أثر كتاب التذكرة في كتب المحاضرات السابقة

الفصل السادس: أثر كتاب التذكرة في كتب الدب والمحاضرات اللاحقة

الفصل السابع : التذكرة الحمدونية وصناعة الدواوين المفقودة

الفصل الأول: عصر الحمدوني وترجمته

ويتضمن مبحثين :

المبحث الأول: عصر الحمدوني

المبحث الثاني: ترجمة الحمدوني

المبحث الأول

عصر الحمدوني :

يتضمن هذا المبحث الناحية السياسية، والاجتماعية والعلمية وغيرها من النواحي التي شكلت العوامل التي بلورت ملامح العصر العباسي .

أولا: الحياة السياسية:

شهدت أيام الحمدوني في ظل الدولة العباسية حالة من عدم الاستقرار السياسي والأمني إذ كثرت الحروب والفتن مثل هجوم الفرنج وقتلهم الكثير من الناس" أو الفتن الداخلية والمشاكل التي واجهت الجبهة الداخلية مثل فتنة السنة والروافض وذلك في ولاية المستظهر بالله[1] وعرف الروافض بهذا الاسم لأنهم رفضوا أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب . ولم يسلم الأمر حتى بين أبناء الأسرة الواحدة فشهدت الساحة الحربية موقعة عظيمة بين السلطان محمود ومسعود ابني محمد، ولم تشفع لهما أواصر الأخوة التي ربطت بينهما فقد عميت الفتن أعينهما عن ذلك. كما كثر خلع وقتل الخلفاء بشكل متوال "فقتل الخليفة المسترشد بالله وولي ابنه الراشد ، وسرعان ما خلع، وولي مكانه ابن عمه المقتفي[2] وحدث مثل هذا أيضا مع المقتدر" لما خلع ونصب أخوه القاهر أبو منصور ، وقبض عليه وحبس في خزانة فشغب رجاله ولجوا في الشغب ، ودلهم على المقتدر في حبسه خادمه ، –وكسروا عليه الباب ، فأخذوه على أعناقهم ، ووضعوه على السرير وسلموا أخاه إليه ،فعاد ملكه من يومه "[3] وصار للدولة خليفتين في يوم واحد. وهكذا دواليك ، وطبيعي أن يطمع العنصر غير العربي في تلك الظروف ليأخذ نصيبه في صنع تلك الفوضى السياسية " فاستولوا علي البلاد وقسموها دولا[4]. هذه

---

[1] القاضي الشيخ محمد بن أحمد بن كنعان – تاريخ الدولة العباسية وما وافقها من ممالك – القسم الثاني – خلاصة تاريخ بن كثير – مؤسسة المعارف للطباعة والنشر – بيروت لبنان – ١٩٦٥م ص٢١ (بتصرف)

[2] المرجع السابق نفسه – ص38،39

[3] التذكرة الحمدونية تصنيف ان حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي ت احسان عباس وبكر عباس ج٨ دار صادر بيروت ص٦٨

[4] التذكرة الحمدونية ج٨ – ص51

صورة مصغرة مما كان يحدث في تلك الأيام، ومرآة تعكس مدى ضعف الممالك الإسلامية "حتى قسمت بين تلك العصبيات الثلاث التركية ، والفارسية والعربية ولا تكاد تخلو سنة من حروب وفتن بينهم، وأحيانا ينضم بعضهم إلي بعض[1] ليشكلوا حلفا يسند أعضاؤه بعضهم البعض فهدفهم واحد هو استرجاع أمجادهم التي دثرت تحت غبار الخيول الإسلامية . "وهذا حرك أطماع الروم وجعلهم ينتهزون فرصة اشتباك أمراء المسلمين للإغارة علي الثغور الإسلامية والتنكيل بهم)[2]. وأبت الطبيعة إلا أن تعلن رفضها لما يحدث، وأن تعبر عن غضبها بسيل من القتل والدمار فأحدثت" زلزلة عظيمة ببغداد، ووقع بأرض الموصل مطر عظيم فسقط بعضه نارا تأجج فأحرقت دورا كثيرة[3] وكذلك الأمراض لم تكن في دور المتفرج إنما وجدت فرصتها "عندما حاصر السلطان محمد بن محمود بغداد وحاربه المقتفي...أصاب الناس بعد ذلك القتال مرض شديد ،وموت ذريع..واستمر ذلك مدة شهرين ، والجمعة لا تقام لعذر القتل أو الموت[4]، فإنه أمر عظيم عطلت من أجله شعيرة مهمة من شعائر الدين الإسلامي وأفقدت الأمة الأمن الذي يفترض أن تنعم به ، وهذه العوامل مجتمعة أثرت في تصرفات القائمين على أمر الدولة كما رسمت ملامح ذلك العصر لمؤرخيه ، وكانت مادة غزيرة للأدباء والشعراء.

وفي التذكرة أورد الحمدوني الكثير من الأخبار التي توضح الحالة السياسية التي كانت تمر بها البلاد حقبة بعد الأخرى فتجد قصصا تحمل في طياتها الرعب الذي كان يعيشه العامة ، ومن ذلك ما ذكره ابن حمدون على لسان المدائني أن توبة العنبري قال :أكرهني يوسف بن عمر على العمل ثم أخذني وقيدني وحبسني حتى لم يبق في رأسي شعرة سوداء فأتاني آت في منامي فقال يا توبة أطالوا حبسك؟ فقلت:أجل، فقال: سل الله تعالي العفو والعافية في الدنيا والآخرة ثلاثا: فاستيقظت وكتبتها ثم توضأت وصليت ما شاء الله ثم جعلت أدعو بها حتى وجبت صلاة الصبح فصليتها فجاء حرسي فقال:أين توبة العنبري فحملني في أقيادي

---

[1] أحمد أمين – ظهر الإسلام – دار الناشر - بيروت لبنان – ص٢٤

[2] المرجع السابق نفسه –ص٢٤

[3] تاريخ الدولة العباسية وما وافقها من ممالك - ص35

[4] المرجع السابق نفسه ص٥٤

وأدخلني عليه وأنا أتكلم بهن فلما رآني أمر بإطلاقي، قال: وعلمتها وأنا في السجن رجلا فقال:لم أدع إلى عذاب فقلتها إلا خلي عني، فدعي بي يوما إلي العذاب، فجعلت أتذكرها فلم أذكرها حتى جلدت مائة سوط ،ثم ذكرتها فقلتها فخلي عني[1]

دلالة مظاهر الرعب في الحياة السياسية والخوف الذي كان يعيشه الناس واضحة جلية في هذه القصة بدءا من الإكراه على العمل، ومن ثم الأخذ والحبس لدرجة تحويل شعر المتحدث عن لونه الأسود من هول ما يفعل به. وكذلك وصف الحال التي كان عليها من الحبس والقيود، وأضف إلي ذلك العذاب المتكرر " لم أدع إلي عذاب"ودعي بي يوما إلي العذاب"صدرت من شخصين مختلفين، والجلد مائة سوط_ ولولا ذكر الدعاء لاستمر الضرب_ فاكتملت كل أنواع العذاب الجسدي منها والنفسي، وهذه علي سبيل المثال لا الحصر، حيث نجد غير هذه القصة ما حمل نوعا آخرا من الخوف وعدم السكينة كالهرب من الحكام وغير ذلك . وإذا دققنا في الأسباب التي أدت بهم إلي ذلك نجد أنها تصرفات قسرية مثل الإكراه علي العمل ، أو تسليم مصادرات لم يمتلكوها من الأصل ولا قدرة لهم بالطبع على تسليمها، مثل ما حدث عندما صلب الوزير سعد الملك أبي المحاسن الابي ، وقبض على أتباعه ومن ضمنهم أبو اسماعيل الكاتب المنشيء فعرض على العذاب حتى يسلم عشرين ألف دينار أو يموت تحت العقوبة، فحلف أنه لا يقدر على أكثر من أربعة آلاف دينار وذكر مكانهاولم يقتنع بكلامه فبكى"[2].

حتى النساء اكتسبن هذه القسوة ، "فهذه فاطمة بنت أحمد الهزارمردي الكردي زوجة أبي ثعلب ابن حمدان ، اتهمت غلاما لها من الموصل فحبسته في قلعتهاثم رأت أن تقتله ، ولم ينجيه إلأ الهرب بعد مغامرة كادت تؤدي بحياته ، حتى وصل الموصل، والتقى زوجها الذي كان هناك فعصمه من زوجته وأحسن إليه"[3].

---

[1] التذكرة الحمدونية – ج٨- ص٦٢-٦٣

[2] المصدر السابق ص٦٩

[3] التذكرة الحمدونية ص٦٤

فأي هوان هذا، وأي ظلم؟! أن يصادر من الخلق ما لا يملكونه،ويعذبوا ، وتضيع هيبتهم هذا أديب لم يستطع التعبير غير البكاء.وذاك لم يجد بدا من الهرب ففعل، ومن عصمه؟! زوجها، مما يعني أنه بريء. وغيرهما أكرهوا على عمل لا يطيقونه، فهذه التي تحمل في طياتها الرعب والخوف ، وتؤمي غيرها لفرح موت أحد الظلمة أو شماتة في من دارت عليه كأس الحبس والتعذيب وهو الذي كان يمسك بها ويسقي غيره أنواعا من العذاب)[1] يبدو أنه لم يكن هناك أحد يشعر بالأمان.

إذا كانت الحياة كما سلف علي أسوا ما يكون (حتي أصبح علي كل بلد ملك ذو عرش وصولجان هذه الحالة القلقة كانت لا جرم نذيرا بمصير البلاد إلي الانحطاط ويئس المصير)[2]. وإذا كان هذا الجانب السلبي نتيجة حتمية لما حدث، فما انعكاس ذلك علي النواحي الأخرى للدولة العباسية كالحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من جوانب الحياة.

ثانيا: الحياة الاجتماعية:

من اللمحة السياسية يتضح لنا النسيج الاجتماعي المتنوع الذي تكونت منه الدولة العباسية "فإذا أوردتهم المطامع السياسية فقد صهرتهم البوتقة الاجتماعية وأدت لتكون مجتمع من أتراك وعرب وفرس وروم وزنج وغيرهم وما يستلزم ذلك من عصبيات وهذه العصبيات المذهبية والطائفية كانت تموج بها المملكة الإسلامية تتعاون حينا وتتفاعل حينا، وتؤثر في السياسة والدين وفي العلم.... وكان لها أثر واضح في الحياة الاجتماعية)[3] ولا يمكن بالطبع فصل الحياة السياسية من غيرها ولكن تفككها وهلع الناس، وكثرة القتل وعدم الاستقرار كانت له فوائد جمة أثرت في الجوانب الأخرى، حيث اتجهت طبقات المجتمع بمختلف ثقافاتها وتقاليدها

---

[1] المصدر السابق – ج٨ – ص٦٤ وما بعدها
[2] ظهر الإسلام – أحمد أمين – ص60
[3] ظهر الإسلام - ص٦١

للبحث عن الراحة في أشياء أخرى " في مجالس الشرب التي انتشرت ، وأسرف أهلها في الاستعداد لها من أزهار وفاكهة وصحاف وأنوار...وغير هذا كثير من طرق الاستعداد للحظات الشرب ، وتبعا لذلك وجدت بيوت النخاسين يبيعون فيها القيان، وأحيانا تقام فيها حفلات الرقص والغناء)[1] فتنسى ساعات الألم بتلك اللحظات، فلم يخل بيت من هؤلاء القيان، يقمن بالغناء والطرب وينقلن ثقافاتهن المختلفة لهذه الأماكن، وتجمع هذه الحفلات كل الطبقات غنيها وفقيرها كما سيأتي توضيحه.

كذلك انتشرت التسلية والألعاب فظهر لعب النرد والشطرنج وغير ذلك من جوانب التسلية ، كما بحث الشعب عن طرق أخري للترفيه فحلوا عيشهم بالأعياد الكثيرة تقام بين حين وحين وانتهزوا هذه الفرص ليتمتعوا بملاذ الحياة، لايمنعم من ذلك ما إذا كانت هذه الأعياد نصرانية الأصل ، أو فارسية الأصل ، فيكاد كل دير يقام لقديسه عيد ميلاد يستمتعون فيه بشرب النبيذ المعتق والنساء والعزف ونحو ذلك.)[2] ومما لاشك فيه أن هذه الاحتفالات والأعياد وغيرها من الجوانب الاجتماعية النشطة لها أثرها في ناحية المرأة هذا العنصر الهام في الحركة الدائبة التي تموج بها تلك الأيام.

اختلاف الأجناس وأوجه النشاط، كل ذلك يعتمد علي المرأة بكثرة الأجناس المختلفة، فغزون البيوت بما كان يعرضه النخاسون منهن في أسواق الرقيق)[3] فغزو البيوت له الكثير من الآثار من ضخ الثقافات المختلفة باختلاف الأجناس، أو اللغات التي يتحدثنها من غير العربية، والأشعارالغناء الذي لم يعرفه العرب بهذه الصورة، والتأثير في النسل العربي وغيره.

وللمرأة والحياة الاجتماعية وأوجه التسلية عميق الأثر في الناحية المالية، فكما للمجتمع من طبقات كذلك للناحية المالية طبقات،" فأثرت في الناحية المالية أما مباشرة في بيوت النخاسين حيث تقام الحفلات ويصب أولاد الأغنياء أموالهم، ويبتز فيها الشابات

---

[1] المرجع السابق نفسه – ٢٢٩ (بتصرف)

[2] المرجع السابق نفسه – ص- ٢٣٠ (بتصرف)

[3] المرجع السابق نفسه – ص٦٢

المغنيات أموال الأغنياء[1] أو عن طريق آخر وهو طريق الحكم والسياسة؛ إذ كثرت الضرائب وأخذت أشكالا عدة لما احتاج الخلفاء إلي المال، فلم يتوانوا عن الضرائب حتى علي المغنيات وعلي الحوانيت، وعلي السفن وغير ذلك مما يجدوا فيه إمكانية لفرض الضرائب ؛ ليسرفوا ويصرفوا علي مجالات حياتهم، وقد ظهرت تلك الأمور في كتاباتهم وقصصهم وأشعارهم .

إذ وصفوا تقريبا كل أنواع الأطعمة التي كانوا يتناولونها وكذلك الشرب بأنواعه، ووصفوا القدور التي كانت تطبخ فيها أطايب الطعام، وكذلك الطعام الذي يعد للضيوف المفاجئين، مما يدل علي استعدادهم في كل لحظة. وهذا بدوره دليل على الراحة التي كان يتمتع بها الناس بعيدا عن المناوشات السياسية في ذلك الوقت. ومن وصف تلك القدور؛ أمية بن أبي الصلت على سبيل المثال من (الكامل المجزؤ):

وقدورُهُ بفنائه *** للضيف مترعة زواخر
كأنهن بما شجيـ *** ن وما حمين به ضرائر
زبدٌ وقرقرة كقر *** قرة الفحول إذا تخاطر)[2]

وصف المكان الواسع الذي فيه القدور، والكمية الكبيرة من الطعام التي وسعتها فهي مليئة بالطعام (مترعة، وزاخرة) كما ذكر غليان هذه القدور والزبد الذي نتج عن ذلك. أما الشاعر جحدر بن ربيعة الكلبي قد أعطى فكرة واضحة عن حجم هذه القدور والكمية التي تسعها فقال: (من الطويل) :

وقدرٍ كجوف الليل أنعمتُ غليَها *** ترى الفيلَ فيها طافيا لم يفصّل[3]

فذكر لونها الأسود من كثرة تعرضها لألسنة اللهب ، وتسع لفيل بدون أن تفصل أجزاؤه ليثبت لنا مساحة القدر الواسعة فلو فصل فسيحتاج لمساحة أقل، وذكر أنه طافي بمعنى ما زال هناك متسع ، ولو أن بالأمر نوع من المبالغة ولكن الصورة واضحة عن حجم القدر.

ومن الأطعمة وصفوا السمك والدجاج واللحوم والرؤوس وأسماء ما يصنع منها، وغير ذلك من الشعر والنثر. ومن ذلك قول ابن الرومي من (البسيط)

---

[1] المرجع السابق نفسه– ص٦٢
[2] التذكرة الحمدونية – ج٥- ص- ٤٢٥ وانظر التشبيهات- لابن أبي عوف – تحقيق عبد المعين خان –كمبردج ١٩٥٠- ص٢٧٥
[3] التذكرة الحمدونية ج٥-ص٤٢٣

وبنات دجلـةَ فـي فنائكُمُ *** ماسورةٌ في كل معتركِ
بيضٌ كأمثال السبائكِ بل *** مشحونةٌ بالشحم كالعُككِ
تُفْرَي بأمثال الدروع وأحـ *** يانا بمثل نوافذ الشِّكاكِ
تغنـي عن الزيّات قاليها *** وتبخر الشـوين بالودكِ
حسنت مناظرها وساعدها *** طعم كحل معاقد التككِ[1]

فقد وصف المقلي منها والمشوي وكذلك الطعم وسهولة أكله مما يدل علي حسن الصنيع وجودة النوع بكثرة شحمها الذي يغني عن استعمال الزيوت. وأخذت الفواكه نصيبها أيضا من الوصف فقال الأعرج الخثعمي (من الرجز):-

طاب له مأكَلُهُ ومشـرَبُهُ *** حديقةٌ فيها ثمارُ تُعجبُهُ
يكثر فيها موزُهُ ورطَـبهُ *** يلقاه منها حين يجني أطيبُه[2]

ولم يورد الحمدوني من وصفهم للفاكهة غير الموز والعنب،فلا ندري هذا ما توفر لدى الحمدوني من أشعارأم ما استحضره في تلك اللحظة أم هذا مما وجد إقبالا من الشعراء؟! كما وصفوا الخباز ولم يجهلوا أدوات الطبخ كالكانون والفحم والأثافي، وجمع المصنف أشعارا كثيرة في هذه الناحية . كذلك وثقوا لأسماء الأطعمة شعرا فذكر ابن الرومي مثلا ما يسمى لوزينج :-

فقال وهو يستهدي هذا النوع من الطعام (من السريع):

لا يخطـئني منك لوزينجٌ *** إذا بدأ اعجبَ أو عجبّا

حتى قوله :

مستكشف الحشـو ولكنه *** أرق جلدا من نسيم الصَّبا
يخال من رقة خرشـائه *** شارك في الأجنحة الجندبا

[1] وانظر ديوان ابن الرومي – تحقيق د. حسين نصار- دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٨٣ ص١٥٦٣ التذكرة الحمدونية – ج٥- ص٤٢٠
[2] المصدر السابق نفسه – ج٥-ص٤٢٣

لو أنه صُوّر في خبـزه *** ثغرا لكان الواضح الأشنبا)[1]

ومـن أوصـافه أنـه نـوع يتكـون مـن البـيض والـدهن والحشـو وغيـر ذلـك، ممـا يفـتح الشـهية لـولا التشـبيه بالجنـدب. فهـو مقـزز بعـض الشـيء، وقـد وصـفه فـي عشـرة أبيـات مـن الشـعر ذكـر فيهـا إقبـال مـن يأكـل بشـهية، كمـا وصـف غليانـه ودورانـه فـي القـدر، ومنظـر الـدهن الـذي يكـون شـكلا لولبيـا، وقـد اسـتعمل الكثيـر مـن التشـبيهات فـي القصيدة . وكلهما مستوحاة من البيئة التي يعيشها.

ولـم يفـتهم أن يصـفوا متنـاولي تلـك الأطعمـة وكيفيـة أكلهـم والأوانـي التـي يـأكلون ويشربون فيها.

فقال ابن المعتز (من الطويل) :-

كأن أكفَّ القـومِ في جنباته *** قطاً لم يُنفِّره عن الماء سارح[2]

شـبه أكـف القـوم ، وهـم يتنـاولون الطعـام بـذلك الطـائر الـذي يـأتي جماعـات لشـرب المـاء ، وهـي فـي حالـة اطمئنـان واسـتمتاع تـام ، فيطيـر بعضـها مرتفعـا ليهـبط الـبعض الآخر للشرب.

كذلك وصفهم ابن الرومي :-

إلا يلاقوك فتلقـي بهم *** أكل يتامى ما لهم كاسـب

من كل شحذان الحشـا بائسٍ *** يأكل ما لا يحسـب الحاسب

فكاه كالعصرين من دهـره *** كلاهـما في شأنه دائب[3]

تشـبيه ولـو أنـه غريـب بعـض الشـيء ، ولكنـه أعطـى إيحـاءً بالانسـجام ، والحركـة المتواصلة في أكل الطعام.

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٥ ص٤٢٣

[2] المصدر السابق نفسه ص٤١٩

[3] الصفحة السابقة نفسها

وكذلك وصف البحتري معدة الآكلين بأنها مثل حجر الرحى فقال(من الخفيف):

معـدةٌ أوّلية كرحى البز *** ر تَلَقَّى حبا وتُلقي دقيقا[1]

وهنا تشبيه آخر لشاعر آخر حيث شبه جهاز الهضم المركزي بأنه رحى قادرة على طحن ما يلقى إليها من طعام.

وغير ما ذكرنا كثير من الأوصاف، وكلها تدل علي طيب الطعام والنفس معا.

ثالثا: الناحية الأدبية والعقلية والدينية:-

أثر تكوين المجتمع بعناصره المختلفة- السالفة الذكر- كذلك في هذه الناحية ليترك أثرا إيجابيا آخرا للقلق السياسي الذي عايشته تلك الطبقات "فلئن عدت الناحية السياسية ضعيفة، فإنه لا يعد ضعفا من الناحية العلمية، فالمملكة الإسلامية في القرن الرابع الهجري كانت أعلي شأنا في العلم من القرون التي قبلها ، ولئن كانت الثمار السياسية قد تساقطت في القرن الرابع ؛ فالثمار العلمية قد نضجت فيه. والسبب في ذلك أن الإمارات المختلفة كانت تتبارى في تجميل موطنها بالعلماء والأدباء، وتتفاخر بهم. ثانيا: انفصال الإمارات عن الدولة العباسية جعلها مستقلة في مالها لا ترسله إلي بغداد بل تغدقه علي أهلها)[2] فجلب العلماء يكون له مردوده الأدبي والعلمي ،وما يغدقه الخلفاء عليهم لهدف أو لآخر يؤدي لنوع من التنافس الشريف المثمر ، فتتباين الثقافات وتؤتي أكلها متنوعا. فنجد الفرس والهنود وغيرهم يتعلمون اللغة العربية ويؤثرون فيها بما يضخونه من علمهم وحضاراتهم ،أضف إلى ذلك لغاتهم التي يعلمون ويتعلمون بها وفي جهات أخرى من البلاد" وثنيوا حران والسوريانيون يغرقون البلاد بالثقافة

---

[1] الصفحة السابقة نفسها

[2] ظهر الإسلام – أحمد أمين –ص ٢١٧

اليونانيـة)[1] فكثـرت الثقافـات و تنوعـت بتنـوع الأجنـاس فـي طبقـات المجتمـع، وللخلفـاء دور فعـال فـي دفـع تلـك العجلـة ، فهـم يشـجعون بطـبعهم ولحـاجتهم وامتـداد ثقافـاتهم الطـب والتنجـيم، فسـاهموا بـذلك فـي صـنع دولـة كانـت منـارا مـن العلـم المتنـوع ، وصـارت عاصـمتهم مهـد لتلـك الحضـارات المتمازجـة فـأين الـدين والأدب مـن كـل ذلـك؟ أمـا الـدين فقـد أفـاد مـن تزايـد عـدد الفقهـاء ووالمناقشـة والجـدل بيـنهم. فـأنتجوا النظريـات المختلفـة وخلـدوا الكتـب الكثيـرة، وكـان اخـتلافهم فائـدة للطبقـات العديـدة، والأجنـاس المتباينـة، والأصـول الدينيـة المتنوعـة. فكـل ذلـك يـؤدي إلـي كثـرة القضـايا الفقهية التي كانت مادة ثرية لجهود الفقهاء.

وكـذلك تـأثر العلـم "بمـا كـان يحملـه النصـارى والفـرس والهنـود مـن علـوم قـدمائهم مثـل الآبـاء والأجـداد بتقـديم تلـك الـذخائر باللغـة العربيـة إلـي الأمـة الإسـلامية ممـا مكـن النـاطقين باللسـان العربـي أن يأخـذ كـل مـنهم مـن حظـه[2] فـتعلم بعضـهم تلـك اللغـات وأصـبحت اللغـة العربيـة مرسـل ومتلقـي. فظهـر علـم الترجمـة ونقلـت أمهـات الكتـب مـن والـي العربيـة .وكـل ذلـك سيصـب بشـكل تلقـائي فـي نهـر الأدب العربـي؛ الـذي نمـا وازدهـر فـي هـذا العصـر، وانقسـم الأدب إلـي قسـمين نثـر وشـعر، وقـد قسـم النثـر إلـي قسـمين واضـحين السـلطانيات، وهـي المكاتبـات الرسـمية والإخوانيـات)[3] فطالمـا أكثـر النـاس مـن المناسـبات؛ فسـيقوم الأدب بـدور المشـاركة والتوثيـق، سـواء كـان بالمراسـلات بمختلـف أنواعهـا كمـا سـبق ذكـره أو بالوصـف شـعرا مثـل وصـف ابـن الرومـي للاعـب شـطرنج مـاهر أو خبـاز وغيـرهم . وكـذلك الأوصـاف الأخـرى سـواء كـان للمـرأة، أو للنـواحي العمرانيـة، أو الأزهـار أو الخمـر، وغيـر ذلـك مـن مظـاهر تلـك الأيـام. وكمـا أسـرفوا علـي حيـاتهم أسـرف الأدبـاء فـي كلامهـم ووضـحت معـالم هـذا

---

[1] المرجع السابق نفسه ص ٢٢٣

[2] ظهر الإسلام – أحمد أمين ص٦٢

[3] المرجع السابق نفسه - ص ٢٧٤

الفـن العـاكس لتلـك النهضــة الشــاملة، فأخـذ أسـلوب الأدب شـكله النهـائي، ووضــحت سـماته وحمـل بصـمات التطـور الـذي شـهده العصـر فـي تلـك الحقبـة، كالصـناعة اللفظيــة والتنميــق وغيرهما.ووجــدت هــذه الصــنعة الفنيــة والتــزيين بالصــور الخياليــة الكثيـرة؛ لدرجـة الإسـراف علـى الجملـة الواحـدة التـي تـزدحم بصـنوف المحسـنات البديعيـة والبيانيـة ممـا لا تخفـى علـي قـارئ للنتـاج الأدبـي فـي العصـر العباسـي. ومـا قـدمناه مـن أشـعار عـن جوانـب الترفيـه؛ شـاهد علـي ذلـك العصـر وذلـك الإسـراف فـي شـتى صـنوف الحيـاة ابتـداءً بمناسـباتهم ووتيـرة حيـاتهم و انتهـاءً بالشـعر الـذي وثـق كـل ذلك وخلده لنا في متون كتبهم .

كانـت هـذه البيئـة بملامحهـا العديـدة هـي التـي ولـد وترعـرع ابـن حمـدون، ورضـع حـب القـراءة والعلـم ، والعلمـاء والكتـب هـو وأفـراد عائلتـه، فمـن هـذه الأسـرة القارئـة المتعلمة؟ ومن هو ابن حمدون ؟ هذا ما سنعرفه في الصفحات التالية .

المبحث الثاني

ترجمة الحمدوني

هو محمد بن أبي سعد بن محمد بن علي بن حمدون كانت ولادته في رجب عام٤٩٥هـ في خلافة المستظهر بالله(٤٨٧-٥١٢)[١] ولم تذكر المصادر الأخرى في أي شهر ولد. ليست له علاقة بأسرة إبراهيم بن إسماعيل (حمدون) نديم المتوكل ومن بعده من الخلفاء – على حد قول ابنه عندما سئل عن علاقتهم بهذه الأسرة، ونسب أسرته إلى أسرة الحمدانيين[٢]، وما يهمنا هنا أنه ليس من أسرة الندماء وقد انفرد ياقوت الحموي بالحديث عن هذه العلاقة في كتابه معجم الأدباء.

صفاته :

جمع الكثير من الصفات الأدبية الحميدة "كانت له فصاحة، أديب وشاعر وكاتب ومؤرخ وذا معرفة تامة بالأدب". هذه الصفات جمة هيأته ليكون مؤلفا له مكانة في عالم الأدب[٣] . أما صفاته الخلقية فقد كان" كريم الأخلاق ،وحسن العشرة[٤] ويتمتع بالطموح والعمل عليه "فهو كلف باقتناء الحمد وابتناء المجد...وفيه فضل ونبل وله علي أهل الأدب ظل وكان فاضلا[٥]، فلا عجب في ذلك فقد اتفقت المصادر على أنه " من بيت مشهور بالرياسة والفضل هو وأبوه وأخواه أبو نصر وأبو المظفر. كان والدهم من شيوخ الكتاب والعارفين بقواعد الصرف والحسب وله تصنيف في معرفة الأعمال وعمر طويلا وتوفي السبت عاشر جمادي الأول٥٤٦هـ في خلافة المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ)[٦] "1"، أما أخوه الذي يكبره هو أبو

---

[١]أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان – مج٤- وفيات الأعيان – أنباء وأبناء الزمان ت إحسان عباس دار صادر بيروت – ١٩٧١م ص٣٠٨

[٢]التذكرة الحمدونية ج١ ص٥ انظر معجم الأدباء - ياقوت الحموي– ت أحمد فريد رفاعي دار المأمون بيروت – ١٩٠٧م ص ٢٠٤

[٣]محمد شاكر بن أحمد الكتبي – فوات الوفيات والذيل عليها – ت- د. إحسان عباس ج٢ – ١٩٥٥و١٩٥٦م - ص٣٧٨ دار صادر بيروت

[٤]عماد الدين الأصفهاني الكاتب – خريدة العصر وجريدة العصر – القسم العراقي –ج١- مطبوعات المجمع العلمي العراقي –ص١٨٤وانظر دائرة المعارف الإسلامية ص١٤٤ ص ٧٥

[٥]المرجع السابق نفسه الصفحة نفسها –وانظر دائرة المعارف الإسلامية – يصدرها باللغة العربية عبد الحميد يونس وآخرون راجعها د. محمد مهدي علام مج١ص١٤٤ الهيئة العامة لشئون المطابع المصرية القاهرة المطابع الاميرية

[٦]وفيات الأعيان – ابن خلكان ج٤ ص٣٨١

نصر محمد بن الحسن الملقب بغرس الدولة –ونلاحظ تطابق الأسماء واختلاف الكنى– و كان من العمال ومن يعتقد فيه أهل الخير والصلاح ويرغب في صحبته وحمل الكثير من قدرات أخيه أبي المعالي (فكان له ترسل وشعر وكتب في الديوان من سنة (٥١٣– ٥٤٥هـ). ومن آثاره كتاب رسائل وتاريخ الحوادث ولد عام ٤٨٨هـ، وتوفي عام ٥٤٥هـ.أي بعد والدهما بعام واحد فقط وقد أورد له المؤلف رسالتين فقط من رسائله سيأتي ذكرهما لاحقا.وقد ذكر إحسان عباس أنه كان يمليها ارتجالا لذا لم يثبت كثيرا منها في الكتب والمصادر.أما أخوه أبو المظفر لم تذكر المصادر عنه شيئا فلعله لم يكن مثل أخويه ووالده ولم يترك بصمة واضحة يذكر بها.أما ابنه الحسن أبو سعد (٥٤٧–٦٠٨ هـ) فقد كان مولعا بالقراءة والإطلاع ، كيف لا وهو قد رضعها من ثدي أسرة عشقت العلم وكان له في أبيه قدوة حسنة، فأخذ عنه حب الكتب ، وقد وصف صاحب معجم الأدباء ، ما كان له من أمهات الكتب ما لم يكن لأحد غيره ، كذلك تقلد عددا من الوظائف كالنظر في البيرماستان العضدي ، وغير ذلك ، ولكن جار عليه زمانه ، فباع هذه الكنوز العلمية لينفق على نفسه ، كما أنه ورث عن أبيه تصنيف الكتب ولكنه لم يجرؤ على إظهارها ، خوفا من أن يعيد التاريخ نفسه ، ويجد ما وجد والده كانت وفاته عام ٦٠٨ هـ ودفن بمقبرة موسى بن جعفر ببغداد[1]، فعلا كانت أسرة توارثت راية العلم والتصنيف والإطلاع من الجد للحفيد ..

أعماله:

عمل أبو المعالي في عدة وظائف منها (كان عارض العسكر المقتفوي)[2] وهي درجة من درجات الترقي الوظيفي ، ولكن لم تذكر له المصادر وظيفة قبلها، ثم

"1"وفيات الأعيان – ابن خلكان ج٤ ص٣٨١

[1]معجم الأدباء – ج٩ ص١٨٥ وما بعدها (بتصرف)

[2]خريدة القصر – ج١ص١٨٤ وعنه وفيات الأعيان وفوات الوفيات

"عاصر عهد المستنجد واختص به ونادمه فولاه عدة مناصب في بلاط الخليفة، ولذلك لقب بكافي الكفاة[1] وهذا أحد تلك المناصب وذكرت معظم المصادر هذا اللقب ما عدا صاحب الخريدة قد لقبه بكافي الدولة ونظنه أصوب خاصة أنه الأقرب لعصره وقد عاصره والتقاه "وولي ديوان الزمام كما كان كاتب الإنشاء[2]. وكلها وظائف دقيقة. تدل على مهنية عالية، وأمانة وصدق ، وتميز بصفات القيادة .

وقد كان الحمدوني نشطا، لا يتهاون في طلب العلم ؛ قد جالس العلماء ، "فسمع من أبي القاسم إسماعيل بن الفضل الجرجاني وغيره وذلك في سنة ٥١٠ ومثل ما أخذ عن هؤلاء العلماء ، فقد أفاد بعلمه إذا روي عنه ابنه أبو سعد الحسن ،وأحمد بن طارق الكركي،وأحمد أبي البقاء العاقولي[3] ولم يذكر كثير من المصادر هذا الجانب من حياة الحمدوني إذ كانت المعلومات مكررة ومنقولة من مصدر لآخر. فربما لم ينتبه، وكان واحدا من ضمن الموظفين ، إلى بعد أن حدث له ما حدث في ظل سياسة دولته العشوائية لم يشعر فيها أحد بالأمان حتى المقربين من الحكام ويكفي هو مثلا.

آثاره:

من تلك الصفات التي كررتها عنه معظم كتب المراجع، فحري به أن يكون له ما يخلد اسمه بين الكتاب والمؤلفين، فكانت له مكانته في علم المحاضرات من خلال كتابه التذكرة الذي لا يعد كتابا واحدا فحسب؛ إنما مجموعة من الكتب المتنوعة "فهو مجموعة من الأبحاث اللغوية والتاريخية والأدب والنوادر والأشعار[4] وسيرد الحديث عنه مفصلا.

كما له عدد من المقطوعات النظمية سمعها منه صاحب الخريدة بقيت شاهدا علي تلك الملكة ، منها واحدة في مروحة الخيش:

---

[1] عمر رضا كحالة – معجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية – مؤسسة الرسالة بيروت – ص٢٣٥

[2] المرجع السابق نفسه الصفحة نفسها

[3] مفتاح السعادة ص٢٠٦

[4] انظر دائرة المعارف الإسلامية ص١٤٤

ومرسلةٌ معقولةٌ دون قصدها *** مقيدةٌ تجري حبيس طليقها

تمر خفيف الريح وهي مقيمة *** وتسري وقد سدت عليها طريقها

لها من سليمان النبي وراثة *** وقد ضربت إلي النبيط عروقها

إذا صدق النوء السماكي أمحلت *** وتمطر والجوزاء ذاك حريقها

تحيتها إحدي الطبائع إنها *** لذلك كانت كل روح صديقها

وقال:

يا خفيف الرأس والعقل معا *** وثقيل الروح أيضا والبدن

تدّعي أنك مثلي طيب؟ *** طيب أنت ولكن بلبن

مقطوعة ثالثة في المدح:-

وحاشا معاليك أن تستزاد *** وحاشا نوالك أن يقتضى

ولكنما أستزيد الحظوظ *** وإن أمرتني النهي بالرضا[1]

توجد في صفحات التذكرة الحمدونية أبيات شعرية تحمل الروح الفكاهية نفسها الموجودة في الأبيات أعلاه ، وذكرت من ضمن أحد فصول النوادر، تتحدث عن ذبح شاة لمن يدعى سعيد فقال فيها:(من الخفيف)

ما أرى إن ذبحتُ شاة سعيد *** حاصلا في يدي غير الإهاب

ليس إلا عظامها لو تراها *** قلت هذي أرزانٌ في جراب)[2]

وقد نسبت للحمدوني ، ولم يوضح إن كان هو الحمدوني نفسه صاحب التذكرة أم لا

---

[1] عماد الدين الأصبهاني – خريدة القصر – ص١٨٩

[2] التذكرة جـ٥ص٤٣٤

وأهم أثر هو كتاب التذكرة الذي بقي دليلا يعكس قدرات هذا المؤلف ،كان سببا في وضع حدا لحياته الحافلة بالأعمال إذ "وقف المستنجد علي كتابه فوجد فيه حكايات توهم غضاضة من الدولة فأخذ من دسته وحبس إلي أن رمس[1]وقد أضاف صاحب شذرات الذهب أن هذه الحكايات "ذكرها نقلا من التاريخ توهم غضاضة، ويعتقد للتعرض بالقدح فيها غراضة فأخذ من دست منصبه وحبس ولم يزل في نصبه إلي أن رمس وذلك في أوائل سنة٥٠٢هـ[2] بتوضيحه لمصدر الحكايات ؛ يبرئ ساحة ابن حمدون من هذه التهمة، ويضيف إمكانية القدح فيها فتنة بينه وبين الخليفة ، وما أكثر الفتن والحقد والحسد من المقربين للخلفاء في ذلك العصر.و أضاف أيضا أنه بقي في نصبه وتعبه النفسي حتى وفاته، وذكر هذا الحدث في أوائل عام ٥٠٢هـ، وأغلب الظن أن هناك خطأ ما.فلم تذكر المصادر أنه بقي ستين عاما في الحبس.

اتفقت المصادر كلها على سنة وفاته . ،كما لم نجد تاريخا محددا لهذه الحادثة .عدا ابن الدبيثي الذي وضح أنه تسلم مهام صاحب ديوان الزمام في ٥٥٨هـ[3] وذكر إحسان عباس " لعله بقي فيها ثلاث سنوات ، وتغيرت نفس الخليفة عليه[4] وهذا هو الأقرب للصواب .محددا لهذا الحدث. أما دائرة المعارف الإسلامية فقد أرجأت سبب هذه الأزمة لصراحة ابن حمدون" ولي عدة مناصب، ولقب من أجل ذلك بكافي الكفاة ولكن صراحته أثارت عداوة الخليفة المستنجد الذي ألقى به في السجن عام ٥٦٢هـ " وتوفي بعد ذلك بقليل[5] وهذا يحمل نوعا من الصحة ، إذ لا يجد قارئ الكتاب شيئا واضحا عن دولة المستنجد. وقد ذكرته معظم كتب

---

[1]المرجع السابق نفسه ج١ ص١٨٤

[2]شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابو الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي –دار الكتب العلمية – القاهرة ١٣٥٠ ج٣ ص٢٠٦

[3]تاريخ ابن الدبيثي – ذيل تاريخ مدينة السلام – تحقيق بشار عواد معروف – بغداد ١٩٧٩ ج١ ص٢٠٥

[4]انظر التذكرة الحمدونية ج١ ص٧

[5]دائرة المعارف الإسلامية مج ١ص١٤٤

التراجم مثل التكملة في وفيات النقلة للمنذري والوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ، وتاريخ ابن الدبيثي ومعجم الأدباء وغيرها ولكن كانت المعلومات متشابه ومنقولة بعضها عن بعض إلا اختلافا طفيفا في يوم وفاته التي كانت يوم الثلاثاء ١١ ذي العقدة عام ٥٦٢هـ على حسب ما ورد في قول صاحب مفتاح السعادة الذي ذكر أنه دفن يوم الأربعاء بمقابر قريش ببغداد[١] وهناك اتفاق على هذا التاريخ دون اليوم مع ابن الدبيثي، وفي أوائل هذا العام دون تحديد في أي شهر كان . كما ورد في قول العماد وابن خلكان " أما الذهبي قد ذكر تاريخ وفاته يوم الأربعاء من عام ٦٠٨ هـ عندما ذكر حوادث هذا العام (" فيها توفي ابن حمدون أبو سعد الحسن بن محمد ابن الحسن ابن حمدون صاحب التذكرة وكاتب ديوان الإنشاء [٢] وهنا اختلط البقر عليه؛ إذ نسب التذكرة لأبي سعد وكتب تاريخ وفاته صحيحة كما سبق ذكره . دفن بمقابر قريش ببغداد يوم الأربعاء وهنا خلط واضح بينه وبين ابنه. كما ذكر: "أن قبره في مشهد الإمام موسي بن جعفر بن علي بالكاظمية[٣] نفس المقبرة التي دفن فيها ابنه . ويظن المرء أن هناك اختلاف في المكان ولكن الكاظمية أحد أحياء بغداد . وأغلب الظن أن الصواب ما ذكره صاحب مفتاح السعادة. وقد أخبرني بعض العراقيين بأن له ضريح يزار هذا والله اعلم

ولم تذكر بعض المصادر عنه شيئا مثل الدرر الكامنة . لابن حجر العسقلاني، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لشمس الدين أبي المظفر الشهير بسبط ابن الجوزي.

---

[١] مفتاح السعادة ص٢٠٦

[٢] مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي ٧٤٨هـ – العبر في تاريخ من عبر – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ج٣ ص١٤٨

[٣] من موقع الانترنت : www.rafat.net

الفصل الثاني: مصادر الحمدوني في التذكرة الحمدونية

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: المصادر غير المصرح بها

المبحث الثاني:المصادر المصرح بها

المبحث الثالث : مصادر الحمدوني الخاصة

الفصل الثاني

مصادر الحمدوني في التذكرة الحمدونية

يتضمن هذا الفصل المصادر التي استقى منها الحمدوني مادة كتابه ودرج في جمع وترتيب مادته على توثيق المصادر التي أخذ منها تلك المادة، سواء كانت قرآنا أم حديثا أم شعرا أم نثرا من حكم وخطب ووصايا ومواعظ وأمثال وقصص وغيرها فهي عبارة عن خمسة مصادر صرح بها وسيأتي تفصيلها. ولكن من ناحية أخرى أورد تلك الأنواع الأدبية من مصادر دون أن يصرح بها، وأكثر من ذلك مكتفيا فقط بكلمة قيل أو قال قائل أو قال الشاعر أو قيل لبعضهم وغير هذا من الكلمات المجهولة التي لا يذكر بعدها القائل الحقيقي،فكانت مادة كتابه من ثلاثة أنواع من المصادر بالإضافة لمصادره الخاصة من السماعات والمشاهدات.

المبحث الأول

المصادر غير المصرح بها :

منها ما أتى به في المستحسن من الأقوال: من ذلك قال بعض الأدباء : "عشر فيهن الكمال : كرم الحسب وشدة العقل وصحة البدن والسخاء والمال والرفق والتواضع والشجاعة وحفظ القرآن[1] جميعها صفات حسنة وفيها ما يمكن للإنسان أن يجده لنفسه مثل صحة البدن – وإن وجدت – بها كمال بقية الصفات التي ذكرت فإن اعتلت وسقط تاجها عن رأس المرء ،وجد نفسه مشغولا بها عن البحث عن المال ليجود به ، وعن التواضع والشجاعة ليسمو بهما حتى عن القرآن ليبحث فيه عن الإحساس بالراحة النفسية والأمان، ولن يبحث عن الكمال فهو لله تعالى وحده . فقد فكر هذا الأديب بعمق وأعطى كلمات قيمة مفيدة لقارئها، ولكن من هو ؟ هذا ما لم يذكره الحمدوني .

[1] انظر التذكرة الحمدونية ج٢ ص٢٢٤- ٢٢٥

ومما يجعل للإنسان ذكر حميد بين الناس وجد الحمدوني ما كتبه مكتفيا بقيل : "من أحب المحمدة من الناس بغير مرزئة فليلقهم ببشر حسن[١] هذا ما علمنا إياه أسلامنا الحنيف فتبسمنا في وجه أخوتنا صدقة ننتفع بها رغم قلتها وجاء نفس المعنى بكلمات مفصلة تحمل روح ديننا ولكن لا نعلم من هو صاحب هذه الكلمات؟ .

وفي التعامل مع الدنيا والتمتع بها مع الحيطة والحذر قيل لبعضهم أسأت الظن : فقال:" إن الدنيا لما امتلأت مكاره وجب على العاقل أن يملأها حذرا[٢] فهنا أيضا كلمات ينتفع بها المرء الذي يقرأها في كتاب التذكرة، فقد ذكرته هذه الكلمات بضرورة الحذر من الوقوع في المكاره،ولكنه لا يعلم من الذي أهداه هذه الجملة القيمة، وربما إذا عرف المصدر أن يأخذ المزيد من الحكم المفيدة والإرشادات التي تعينه بما فيها ، ليس هذا فحسب بل قدمت في قالب لغوي راقٍ .

وفي فن الحكمة كذلك جهل الحكماء الذين أفادونا بها واكتفى بقيل . قيل أن: "أكرم الوفاء ما كان عند الشدة ، وألأم الغدر ما كان عند الثقة[٣] وقال آخر: "الصبر عند الجود أخو الصبر عند البأس)[٤] نظرة الحكماء للأمور بالطبع غير نظرة الآخرين من السواد العام من الناس ، وقد رأى هذا أن وفاء الإنسان يصل قمة الكرم عند شدة الأمور، ومن أراد أن يغدر أن يكون واثقا فيحقق ما أراد ، وإن كانت الثقة هي عماد الأمور كلها، وكذلك تحدثوا عن الصبر وأوقاته . وفي هذا المعنى أورد وأكثر وفي معظمها جهل أو تجاهل المصدر .

كما استخدم في كلامه عن العلم فعلا آخرا مبنيا للمجهول وهو **روي** حيث كتب "روي أن كعبا لقي عبد الله بن سلام فقال: يا بن سلام من أرباب العلم ؟ قال الذين يعملون به، قال فما أذهب العلم من قلوب العلماء بعد إذ علموه ودعوه ؟ قال الطمع وشره النفس وطلب

---

[١] التذكرة الحمدونية ج ١ص ٢٢٨

[٢] التذكرة الحمدونية ج٢ الصفحة السابقة

[٣] التذكرة الحمدونية ج٣ ص٢٢

[٤] التكرة الحمدونية ج٢ ص٢٩٧

الحوائج إلى الناس[1] إذا أمعنا النظر في هذه النصيحة لوجدنا أنها عميقة المعنى كبيرة الفائدة وفيها توجيه قيم لسبيل الحفاظ على العلم والسمو به وليس بصعب إذا العمل به له فوائده غير أنه يحافظ عليه،وبالبعد عن الطمع ومتابعة النفس والاتجاه لغير الله في طلب الحوائج إلى الناس – مع إمكانية الغنى عنهم بالغني الواحد سبحانه وتعالى– ذلك ما أذهب العلم عن قلوب من علموه وتعبوا في سبيل ذلك، ليضيعوا ذلك الجهد وذلك العلم بما لا فائدة فيه والابتعاد عما يؤدي للذل مثل طلب الحوائج إلى الناس مع الغنى عنهم .

وما ذكره في الوعظ قال بعضهم لابنه: "كن جوادا بالمال في موضع الحق ضنينا بالأسرار عن جميع الخلق ، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر ، والبخل بمكتوم السر[2] اعتبر أن الكرم بالمال محمود، ولم يتركه إنفاقا فقط إنما في وجه البر. وجعل البخل محمودا كذلك إذا كان بخلا بالأسرار فهي صفة الكرماء فمن بخل بالسر؛ فهو كريم بالخلق الطيب. كانت تلك العظة في كلمات رصينة استخدم فيهاالسجع بدون تكلف كما أنها تحمل قيمة أخلاقية عظيمة وأساس تربوي سليم. ولكن لا إثبات لحق قائلها غير أنه أب يعلم ابنه الصفات الخلقية الكريمة بكلمات عميقة تنم عن خبرة كبيرة في أمور الحياة.

ومن فن القصة القصيرة التي وردت بدون مصدر قوله: "يحكون أن قوما خرجوا للصيد فطردوا ضبعا حتى ألجأوها إلى خباء أعرابي ، فأجارها وجعل يطعمها فبينما هو نائم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه ومرت ، وجاء ابن عم له يطلبه فإذا هو بقير فتبعها حتى قتلها وقال (من الطويل) :

ومن يصنع المعروف في غير أهله *** يلاق الذي لاقى مجير أمِّ عامر

أعد لها لما استجارت ببيته *** أحاليب ألبان اللقاح الدوائر

وأسمنها حتى إذا ما تمكنت *** فرته بأنياب لها وأظافر

[1] التذكرة الحمدونية ج3 ص12

[2] المصدر السابق نفسه ص334

فقل لذوي المعروف هذا جزاء *** من يجود بمعروف على غير شاكر[1]

تخبر القصة عن عادة الصيد عند العرب، وتحمل قيمة أخلاقية طالما حرصوا عليها وهي الإجارة ولهم فيها الكثير من القصص التي تدل على أهمية مثل تلك العادة في حياتهم ، ووصل بهم الحرص عليها أن يستجيروا بالقبر، وعلى ذوي الميت القيام بما يتوجب عليهم من ذلك هذا في واقع حياتهم. ولو أن بهذه القصة نوع من المبالغة في إجارة حيوان متوحش لكن فيها أدب يعلم الإنسان أن يجعل معروفه فيمن يستحق؛ وإلا سيكون ذما عليه أو قتلا كما حملت القصة. ولكنها قصة معتمة ليس فيها غير رجل ضحية هذه الأخلاق الاجتماعية والحرص عليها دون تعمق في نتائجها، فربما أجار أحدهم لصا أو قاتلا. كما فيها بعض المعلومات مثل تسمية الضبع بأم عامر. ولم يذكر شيئا عن موضع الخباء ولا اسم الشاعر الذي صور هذا الحدث بكلماته ولا إشارة لمصدرها، بل اكتفى بخباء أعرابي، وقوما خرجوا للصيد، وجاء ابن عم له. كلها نكرات خاوية من الحقائق، مما يجعل القارئ يظن أن الشعر مصنوع وأن الحادثة وهمية، ولكنه لن يتوهم فيما استفاد من تلك المقطوعة الشعرية.

وله الكثير من الأشعار التي لم يذكر اسم قائلها وإن استبعدنا عدم معرفته بهؤلاء الشعراء ومن ذلك قيل لبعضهم: كيف ترى إبراهيم الصولي فقال من البسيط :

يولد اللؤلؤ المنثور منطـقُه *** وينظم الدرَّ بالأقلام في الكتب)

أي وصف وأي مدح هذا لشخص إبراهيم الصولي.ولكن ممن؟ من لا يقل قدرة في النظم عن الممدوح والممدوح الذي ذكر اسمه وجهل قائل هذه الكلمات الجميلة المليئة بالمحسنات الرائعة فهل يا ترى وصلت هذه الأبيات لإبراهيم الصولي وعرف من قائلها أم وصلته مجهولة القائل؟ .

وكتب قال شاعرهم (من الطويل) :

فأثنوا علينا لا أبا لأبيـكم *** بأحسابنا إن الثناء هو الخلد[٢]

فقد ذكرت المصادر مثل عيون الأخبار وبهجة المجالس وغيرها أنه للحادرة، فهل يعقل أنه لا يعرفه ؟! وهو من نهل من هذه المصادر.

وكتب قالت امرأة من طي:(من الطويل)

ألهفي عليك أبن الأشد لبهمةٍ *** أفرَّ الكماة طعـنها وضرابها

متى يدعـه الداعي إليه فإنه *** سـميعٌ إذا الآذان صَمَّ جوابُها

هو الأبيض الوضاح لو رُميتْ به *** ضواحٍ من الريان زالت هضابها)[٣]

ممدوح شجاع، وشهم ووجد من يخلد تلك الصفات ، ولكنها خلدت لقائل مجهول، وممدوح مجهول أيضا، وربما إذا ذكر المادح؛ دل ذلك على ممدوحه ،لكن هيهات.

ومن غرض الرثاء كتب الحمدوني قال الشاعر:(من الطويل)

سـأبكيك للدنيا والدين إنني *** رأيت يد المعروف بعدك شلت

ربيع إذا ضن الغمام بمائه *** وليث إذا ما المشرفية سلَّت)[٤]

هذا رثاء لشخص عظيم، يتضح فيه الحزن والضر اللذان أصابا القائل الذي بفقده فقد صفات الدين ومن الدنيا فقد صفة الكرم والشجاعة وإسداء المعروف. وأصبح بذلك فقده جلل ولكن من الراثي ومن المرثي؟ فقد جهلهم أو تجاهلهم الحمدوني ليجهلهم بالتالي القارئ .

أما في المدح جمع الحمدوني أبياتا رائعة واكتفى فيها بقال الشاعر:(من الطويل)

---

[١]التذكرة الحمدونية ج3 ص42

[٢]التذكرة الحمدونية ج٤ ص٩ وانظر شعر الحادرة الذبياني –إملاء أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي –ت د. ناصر الدين الأسد ص٧٣

[٣]المصدر السابق ص207

[٤]المصدر السابق ص217

لاتنكرن إهداءَنا لك منطـقا *** منك استفدنا حسنه ونظامه

فالله عز وجل يشكر فعل من *** يتلو عليه وحـيه وكلامه[1]

شعر به محسنات بديعية جميلة، وإثبات لحق المهدى إليه في حسن النظم، وتشبيه ضمني ينال على إعجاب من يتذوقه، ولكن دون أن يثبت حق من قاله؛ كما أثبت هو حق غيره عندما اعترف له بأنه استفاد منه فن النظم. وقال آخر:(من الطويل) :

خليلي لو كان الزمان مساعدي *** وعاتبتماني لم يضـقْ عنكما صدري

فأما إذا كان الزمان محـاربي *** فلا تجمعا أن تؤذياني مع الدهر[2]

هنا يوضح ظرف يعيشه الكثير من الناس، عندما يكون معرضا لضغط ما، لا يحتمل من القليل من غيره، وينفجر ساخطا لأقل الأسباب، أما إذا كان في راحة نفسية فهو يلتمس لغيره الأعذار. هذا لسان حال الكثير من الناس، وكل يجد نفسه في هذين البيتين. ولكن من الذي قال على لسانه حال غيره ؟ هذا ما لم يثبته الحمدوني وكل ما استطاع

قوله هو قال آخر . أما في الهجاء سجل قولا آخراً "من البسيط " .

وجيرة لن ترى في الناس مثلَهُمُ *** إذا يكون لهم عيدٌ وإفطـار

إن يوقدوا يوسعونا من دخانهم *** وليس يدركنا ما تُنضـجُ النار[3]

وقد ذكر أنه لجرير في هجاء بني الهجيم، ولا أخال أن الحمدوني يجهل نسبة هذا البيت.

أضياف عمران في خصبٍ وفي دعةٍ *** وفي عطاء كثيرٍ غير ممنـوع

---

[1] التذكرة الحمدونية ج5ص10

[2] المصدر السابق ص60

[3] التذكرة الحمدونية ج٥ ص ١١٢ – انظر معجم الشعراء للمرزباني – ت عبد الستار أحمد فراج – القاهرة 1960 ص451 المصدر السابق ص ١١٢

وضيف عمرو وعمرو يسهران معا *** عمرو لبطنته والضيف للجوع[1]

ومثال آخر يهجى فيه كذلك بالبخل قال أعرابي:(من البسيط) :

أي هجاء لاذع هذا الذي ذكر حين وصف المهجو بهذا البخل الشنيع سواء كان لجار أم لضيف ولا يعلم من هو عمرو ومن هو ضيفه ، لأن الحمدوني لم يشأ لسبب أو لآخر أن يذكر قائلها ، خاصة أن المصادر روتها لأكثر من شاعر. ألم يكن في مقدور الحمدوني التأكد من قائلها؟!

وما ذكر على سبيل المثال لا الحصر وقل أن يجمع نثرا أو شعرا في معنى من المعاني، أو أن يكمل جزءا من أجزاء مصنفه العديدة؛ دون أن يمر بين يديك – مما تقرأ– مصدر غير مصرح به، فما الذي يدعوه لذلك هل الجهل التام بالقائل الحقيقي ؟! أو مجرد الشك في صحة إسناد القول لصاحبه ؟! أم سرعة التسجيل لما تحضره من مادة ثرة ؟! خاصة في تلك الظروف التي كتب فيها مصنفه والحالة النفسية التي واكبت وقت الجمع والكتابة، والوحدة التي عاناها وجعلته لا يهتم للأشخاص الذين لاقى منهم العزلة. وربما اهتمامه بما قيل وليس بمن قال كما أسلف في إحدى صفحات كتابه قائلا: " المقصود الشعر لا شاعره[2] وذلك عندما علق على اختلاف الرواية لبعض الأبيات. وهذه سمة لازمته. ولربما الأسباب مجتمعة إذا طبقناها على الكم الهائل من المادة القيمة والغزيرة التي أوردها بدون مصدر، فجهل المصدر الحقيقي في بعضها ، وآثر سلامة المعلومة على الخطأ في قائلها في البعض الآخر واهتمامه بما يقدمه فقط دون الحاجة لمن قاله هذا والله أعلم .

[1] المصدر السابق ص١٢٤

[2] التذكرة الحمدونية ج6ص168

المبحث الثاني

المصادر المصرح بها :

تشمل هذه عددا كبيرا من الكتب التي تحدثت عن الأمم السابقة وكتب التاريخ والمغازي ، والسير ، وكتب التراجم ، وكتب الأدب ودواوين الشعر وأول تلك المصادر وأجلها هوالكتب التي عنيت بالقرآن الكريم ويليها الحديث الشريف.

أ_ كتب التفسير :-

مصادره من هذه الكتب قليلة إذا ما قورنت بغيرها من المصادر. وفي الغالب كان قصده من الآيات شواهدها . أما ما كان يعرضه من التفسير فقليل مثل ؛ جاء في تفسير (وأتل عليهم نبأ الذي ءاتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاويين)[1] فذكر الحمدوني أن المعني بهذه الآية أمية وقيل غيره والله أعلم .

ومثل هذا قليل جدا ويأتي به مقتضبا ودون تدخل منه أو تعقيب . لذا جاءت مصادره تتناسب مع حاجته.

ومن كتب التفسير التي استخدمها ، تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، والكتب التي مجالها القرآن مثل إعجاز القرآن للباقلاني ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة. وتتضح نوعيتها من عناوينها فهي كتب ركزت على نواحٍ معينة كالإعجاز والإيجاز والأحكام في القرآن الكريم ، وليس ذلك بغريب فقد استعمل الآيات في مقدمات كتابه ، وفي الخطب التي افتتح بها كل فصل من فصوله. ويختار لذلك الآيات التي تتناسب مع مضمون كل فصل متبعا إياها بسورها

[1] سورة الأعراف آية ١٧٥

وأرقامها وهدفه في ذلك كما قال : " شرفت كل باب بأن بدأته بآي من كتاب الله سبحانه وتعالى ، وأثر من رسوله صلى الله عليه وسلم[1]

أما كتب الحديث فقد نهل من عدد لا بأس به دون أن يميز مراتب الأحاديث من حيث صحتها وحسنها وضعفها ، وهدفه من ذلك قد سبق ذكره في الأسطر أعلاه ولعل ما قاله العماد الأصفهاني في الخريدة بأنه جمع الغث والسمين العماد يجعلنا نقول : أنه جمع من الأحاديث صحيحها وضعيفها.

ومن الأحاديث الضعيفة مثلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ، ألا فزينوا دينكم بهما[2] وقد أخذ وأكثر من هذا النوع من كتاب ضعيف الجامع الصغير وهو يعلم أن هذا الحديث ضعيف، ولم ينوه لذلك . كما أخذ كذلك بعض الأحاديث الضعيفة من كتاب العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، وضعيف الجامع الصغير وزيادته محمد ناصر الألباني. كما استشهد بالأحاديث المرفوعة وغرائب الأحاديث وكان مصدره لها الفائق في غريب الحديث.

هذا لا يعني أنه جهل كتب الأحاديث الصحيحة بل كانت من الكتب المشهورة والمعروفة بقوة سندها ، وجل أحاديثه منها ومثال على ذلك مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وصحيح البخاري وصحيح مسلم ، ومختصر صحيح مسلم ، والسنن الكبرى ، وسنن الترمذي والدارمي والنسائي وفتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني ، وصحيح الترمذي، وكشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني ، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للعسقلاني.

---

[1] انظر التذكرة الحمدونية ج١ ص٢٣

[2] انظر التذكرة الحمدونية ج٢ ص٢٥٩

ب_ كتب المغازي والسير والتاريخ

تناول الحمدوني عددا من هذه الكتب بخاصة كتب السيرة التي أعظمها كتب سيرة سيد البشر والمرسلين صلى الله عليه وسلم وقد بث تلك السيرة العطرة في ثنايا الكتاب بكل أجزائه ، ومن الكتب التي أخذ منها السيرة لابن هشام ، وشمائل الرسول لابن كثير ، والمصباح المضيء في سيرة المستضيء لابن الجوزي ، وإعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لمحمد بن طولون . وغيرها من الكتب التي عطر بها الحمدوني كتابه .

ومن كتب السيرة التي تناولت شخصيات أخرى فقد تناولها بمختلف مؤلفيها مثل، سيرة عمر لابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن كثير ولابن الحكم،وأتى بعدد من المواقف الشهيرة في حياة الصحابي الجليل رضي الله عنه، مثل ما كان منه لما حضرته الوفاة جمع ولده حوله، فلما رآهم استعبر ثم قال بأبي وأمي من خلفتهم بعدي فقراء، فقال له مسلمة بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين فتعقب فعلك وأغنهم فما يمنعك أحد في حياتك ولا يرتجع الوالي بعدك فنظر عليه نظرة مغضب ثم قال:....." إن ولدي بين رجلين: إما مطيع لله فالله تعالى مصلح شانه ورازقه ما يكفيه،أو عاص ما كنت لأعينه على معصية"[1] فهذا حال كل الناس ، فهم واحد من هذين الصنفين الذين ذكرهما ابن عبد العزيز، والعاقل من يضع نفسه وولده في الموضع الصحيح واختار ابن حمدون من حياة عمر بن عبدالعزيز المواقف التي عكست عدله وتمسكه بالدين وتطبيقه كل ذلك على حياته وحياة أسرته وأقربائه تطبيقا عمليا، ظل كتابا يتلى عبر الزمان.

اختار كذلك من مناقب أبي حنيفة سواء كان للكردي أم للموفق المكي ، وقد أورد فيها عددا من المواقف التي مر بها أبو حنيفة في حياته ، وقد علق أهل

[1] التذكرة الحمدونية ج١ص١٥٠

عصره عليها، منها ذلك الموقف الذي وضحت فيه دقة أبي حنيفة فيما شجر بينه وبين غيره في قصة استتابه من الكفر مرتين ؛ وهو أحد أئمة المذاهب ، وذلك "لما قدم الضحاك الشاري الكوفة قال لهم : جئوني بالفقهاء فتفرق الناس ووجدوا أبا حنيفة فأتوه به فقال : يا شيخ تب إلى الله من الكفر فقال : أنا تائب إلى الله من الكفر ، فلما خرج قال له رجل من أصحابه كان قد جالس أبا حنيفة : إن مذهبك عنده الكفر، فأتي به مرة أخرى، فقال أبو حنيفة : أو ظننت بي ذلك ؟ قال نعم قال : فتب منه قال أبو حنيفة : أنا تائب إلى الله . فلما خرج قال قوم أهل الكوفة: استتب أبو حنيفة مرتين[1]

فإذا كان تحليل جليس الضحاك صحيحا ،فإن أبا حنيفة أعطى دليلا قويا علي حنكته في إدارة الأمور من خلال ذلك الحوار الذي دار بينه وبين الضحاك، ، وقوله أنا تائب فقد عني بذلك أنه في الأصل تائب وليس استجابة لقول الضحاك، وبالتالي فقد أمسك بمقاليد الأمر ،وخرج من ذلك الموقف دون أن يحقق ما طلب منه.إنما حزم الأمر لصالحه.كما ذكر في سيرته صفاته وتهجده وعبادته[2]

وكذلك الأمر ما ورد في سير أحمد بن طولون بخاصة رؤياه التي تحققت خلال الأيام ،" فقد روي أن ابن طولون في أول أمره رأي في منامه أنه أنزل رجليه في بئر مملؤة دما ،وأن السماء تمطر علي رأسه، فنظر فإذا هي عذرة فهالته الرؤيا ودعي بمعبر فذكرها له ،فقال : تحصل في بلد بعيد من السلطان بمنزلة البئر ،وتتناول من الدماء ما يعظم أمره، وتقبل عليك الدنيا لأنها مذمومة مرذولة، وهو تعبير ما سقط علي رأسك فكانت البئر هي مصر ، وكانت الدماء ما عمل وكانت العذرة الأموال التي أقبلت عليه[1]وكعادة الحمدوني أورد القصة دون أن يضع بصماته عليها بتعليق أو نقد أو توضيح إنما اكتفي بسردها فقط.

وتناول كتاب عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير . وغرر السير للثعالبي ومن خلالها اتضحت كيفية تناوله لفن السيرة إذ كان تعامله مع هذا الفن

---

[1]التذكرة الحمدونية ج9 ص٢٨٠ وانظر مناقب أبي حنيفة – للموفق بن احمد المكي – دار الكتاب العربي- بيروت ١٩٨١ص١٥٢

[2]انظر التذكرة الحمدونية ج١ص٢١١

كغيره من الفنون الأخرى لا يدلي برأي ولا يضيف تعريفا لصاحب السيرة ، ولا حتى نقد أو توضيح إنما يكتفي فقط بذكر السيرة وما علق بالشخصية من أخبار . أما كتب التاريخ فقد نقل من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ،وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ،وتاريخ الحكماء للقفطي ، تاريخ الخلفاء السيوطي ،وتاريخ دمشق لابن عساكر ،وتاريخ الردة للكلاعي ،وتاريخ الطبري ، وتاريخ الموصل للشيخ ابن زكريا الازدي .والكثير من كتب التاريخ.

ج_ الأمم السابقة:-

أما فيما يخص هذه المجموعة تناول الكتب التي تحدثت عن الأمم السابقة حيث عرض مجموعة من تجارب الأمم والملوك والوصايا التي كتبوها وأصبح يتداولها الناس من بعدهم، فذكر من ذلك صفات بعض ولاة الأمر مثل ركن الدولة أبو الحسن علي ابن بويه الذي وصف بضعف السياسة ، فأورد قصصا تثبت تلك الصفة، "وذلك عندما أخذ اللصوص بغاله ، فسأل عن عددها: فقيل: ستة ، فسأل عن عدد اللصوص: قيل سبعة فقال : الآن يختلفون ، كان ينبغي أن تكون البغال سبعة حتى تصح قسمتها بينهم[٢]. لم يكن هذا ضعف سياسة فقط إنما ضعف في تفكيره الذي جعل جل همه في كيفية قسمتها بينهم، وله أكثر من قصة تعامل معها على هذا النحو. ومن الوصايا التي كتبها الملوك مثل أبرويز إلى ابنه شيرويه من الحبس : ليكن من تختاره لولايتك امرءا كان في ضعة فرفعته وذا شرف وجدته مهتضما فاصطنعته ، ولا تجعله امرءا أصبته بعقوبة فاتضع عنها ولا امرءا أطاعك بعدما أذللته..... الخ)[٣] عكست هذه الوصية عقلا راجحا ، وفكرًا قد صقلته الأيام وصاغته التجارب حتى خرج منه بهذه الوصية القيمة فجميع من حذر منهم لديهم الدافع للانقلاب ضده بعد أن يعرف نقطة ضعفه ، ويتسبب باختياره له في انهيار حكمه فمن يرفع من ضعة

---

[١] انظر المصدر السابق نفسه ج٩ص٣٠٦

[٢] المصدر السابق ج١ص٤٦٤

[٣] التذكرة الحمدونية ج١ص٣٠٧

يكسب ثقة تجعله يرنو لمكانة أعلى مهما كلفه الأمر ، ومثله من كان مهتضما ولا يناسبه من أوقع عليه عقوبة فلن يغفرها ، بل يبدأ في البحث عن ثغرة ما حتى يردها عليه ، وأشد منهما من كان تجرع كأس الذل على يديه وأطاعه خوفا منه . كما ذكر حكما من تجارب الأمم السابقة وملوكها مثل قول ازددشير : الدين والملك توأمان ، والدين أصل والملك حارس وما لا أصل له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع[1] وهذه أيضا من الحكم القيمة التي تحمل في داخلها زبدة التجارب فمن تمسك بأمور دينه قوي ملكه بالعدل واحترام ديانته في حكمه للناس فيكسب طاعتهم ، وبهم يسير حكمه ، ولا ملك بدون دين.

تناول الحمدوني العديد من الكتب التي تحكي عن تجارب الأمم السابقة، وما تركته وراءها من كنوز مكتوبة خطوا من خلالها عصارة أفكارهم وخلاصة تجاربهم.ومن تلك الكتب عهد أردشير ومختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس لابن الكازروني ، نسب قريش للمصعب الزبيري ونشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري والتاريخ الباهر في الدولة الاتابكية لعز الدين بن الأثير ، تجارب الأمم لمسكويه ، طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ، كذلك له أخبار تحدثت عن الأمم السابقة من الأدب الكبير حيث أورد شيئا من حكم الفرس)[2] ومن كل كتاب اختار ما شاء له أن يختار عن تلك الدول التي حوتها هذه الكتب وأضاف به لمصنفه قيمة جديدة باختيارات لم تكن عشوائية إنما تدل على عمق الفكرة فيها قبل أن يتم اختيارها.

---

[1] المصدر السابق نفسة ج١ص٢٩٢

[2] المصدر السابق نفسه ص٣٧٦

د_ كتب التراجم

أما كتب التراجم التي أخذ منها و أكثر؛ كتاب الأغاني ، فنقل منه الأشعار ومناسباتها مثل ما كان بين الرشيد وأم المعتصم من التغاضب والتمادي في الهجر ، " فأمر جعفر بن يحيي العباس بن الأحنف فقال (من الكامل) :

راجع أحبتّك الذين هجرتهم *** إن المتيـّم قلّ ما يتجنّبُ

إن التجنّبّ إن تطاولَ منكما *** دبّ السلوُّ له فعزّ المطلبُ

فلما سمع الرشيد إبراهيم الموصلي وهو يغنيه بها بادر إليها فترضاها ، فقالت من السبب في ذلك ؟ فعرفته فأمرت لكل واحد من العباس بن الأحنف وإبراهيم بعشرة آلاف درهم[١] ولم يخل جزء من أجزاء التذكرة من خبر أخذ من كتاب الأغاني.

كما أخذ من معجم الأدباء الكثير أيضا من القصص والأخبار المصاحبة للشعر حينا وللقرآن حينا آخر ، واختار من ذلك ما يحمل نوعا من البلاغة. مثل قصة نجاح ابن سلمة عندما سلم إلى موسى ابن عبد الملك ليستأديه مالا فتلف في المطالبة ، فلقي بعض الرؤساء أبا العيناء فقال له: ما عندك من خبر نجاح ؟ قال:(فوكزه موسى فقضى عليه)[٢] فبلغت موسى كلمته فلقيه فقال ابن تولع ؟ والله لأقومنك ، فقال : (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا ذكية بالأمس)[٣]" وكتب التراجم الأخرى التي وجدناها مصادرا لمعلوماته عديدة وإن كانت بعضها دون بعض في المادة التي تم اختيارها ، ومن ذلك تاريخ ابن عساكر

[١]أنظر التذكرة الحمدونية ج٦ ص٢٠٩

[٢]سورة القصص الآية ١٥

[٣]سورة القصص الآية ١٩ وانظر التذكرة الحمدونية ج٩ ص٣٩٥

(تراجم النساء) والعبر في خبر من غبر ، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، وأبناء الرواة ومعجم الشعراء وخريدة القصر وغيرها من كتب التراجم العديدة التي وردت متفرقة في ثنايا التذكرة .

هـ _ كتب الأدب ودواوين الشعر

اعتمد ابن حمدون على كتب معينة اعتمادا كبيرا مثل نهج البلاغة ،والبيان والتبيين للجاحظ وعيون الأخبار لابن قتيبة ونثر الدر والبصائر والذخائر لابن حيان التوحيدي والأدب الكبير وكليلة ودمنة لابن المقفع والنمر والثعلب لسـهل بن هارون)[1] وقد علق المحقق بأن ابن حمدون اعتمد تقريبا على هذه الكتب في الجزء الأول وقلما يخلو منها جزء من أجزاء التذكرة وتكثر الكتب وتتركز في جزء دون آخر حسب نوعية الموضوع الذي يتناوله ، والمصادر التي تناسبه فهو رجل واسع الإطلاع ، وهناك العديد من الكتب الأدبية التي كانت مصدرا ثرا لابن حمدون مثل العقد الفريد لابن عبدربه ، وكتاب الحيوان للجاحظ والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وشرح أمالي القالي ، والعمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني وحماسة ابن الشجري وحماسة أبي تمام والكامل للمبرد ويتيمة الدهر للثعالبي ، والموشح للمرزباني وطبقات الشعراء لابن المعتز ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، والهفوات النادرة للصابئ ، ويتيمة الدهر للثعالبي وقد أوردنا هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر إذ ورد الكثير الكثير من كتب الأدب عامة وكتب المحاضرات خاصة.

أما الدواوين الشعرية يفوق عددها كتب الأدب ومن ذلك ديوان ابن الرومي وديوان ابن قيس الرقيات وديوان ابن هانئ الأندلسي ، وديوان أبي تمام ،وديوان أبي دلامة وديوان أبي العتاهية وديوان أبي فراس الحمداني، ديوان الأعشى، وديوان تأبط شرا وديوان الحطيئة

[1] التذكرة الحمدونية ص١٧

وديوان ذي الرمة وديوان العباس بن الأحنف وديوان عمر بن أبي ربيعة وديوان قيس بن زريح وديوان كثير عزة .

وقد فاقت مصادره الشعرية المائة بكثير منها الجاهلي ومنها العباسي وقد أورد كل شعر على حسب الموضوع الذي يتناسب معه . وجاء معظمها شواهد على الموضوع الذي يدور حوله الكلام ويتناوله بالسرد فتأتي الأشعار بشكل عفوي في نسج القصة أو الخبر الذي يورده.

المبحث الثالث

المصادر الخاصة:

أولا:- السماعات

يتضمن هذا المبحث المصادر الخاصة سواء كانت مما سمع أم مما شاهد. وضمن في ذلك القصص والشعر متبعا معظمها بمصادره التي أخذ منها إن وجدت. ولم يكثر من هذا النوع من المصادر، ونظن أن السبب في ذلك اعتماده على التجميع من الكتب مع ظروفه النفسية؛ لذا لم تظهر شخصيته واضحة ومن ذلك قوله:

قد مدح السوداوي الغارفي سائسا فقال وأجاد (من الكامل):

وقّاك ربُّك رَمْحَ كل حصان *** وكفى مِحسَّك طارقَ الحدثان

وأمنت من حَنَقِ الخيول إذا سطت *** وتصاهلت حَنَقا على الغلمان

فلقد حوت منك الأواخي سيدا *** في طرح مرشحةٍ وحزم بِطانِ

بركاتُ كفِّك للبهائم نعـمةٌ *** تُغني عن الشّعُران والأتبان

وإذا كشفت جلالها وتخالفت *** بغرائب الأجناس والألوان

ظن المحدْق أنْ بؤبؤَ عينه *** متنزهٌ في روضة البستان

فتبيت نفسُك في القماط نزاهةً *** من أن يقال غلام رحل فلان

ثم أتبعها سندها قائلا: "وهي طويلة أنشدنيها الشيخ الزاهد أبو عبد الله عبد الملك الفارقي قال : أنشدنيها أبو علي ولد شاعرها[1] فلم يكتف بالمصدر المباشر الذي سمع منه إنما ألحقه بالمصدر الأصلي.

ومن مصادره السماعية الشعرية كذلك والتي تحمل روحه الخفيفة، وضمنها مشاركة منه وكانت عبارة عن ألغاز شعرية حين قال سألني سيدنا ومولانا الإمام المستنجد بالله صلوات

[1] التذكرة الحمدونية ج٤ص٧٦

الله عليه عما قيل في أحول فأنشدته أبياتا ، وأنشد هو ماحضره وأشار إلى نظم لغز فيه، (من المتقارب) :

وأختين لم تعـرفا ما الفراق *** كما التأمتْ صـحبةُ الفرقدين

ويصطحبــان على رقبة *** كمثل الزباني رقيب البطـين

ثم ذكر الحمدوني بعد ذلك ما رجز هو به ووضح بأنه غير ملغز (من الرجز)

و أحول محبب ممــدوح *** مبارك العين خفيف الروح

ينظر من خــادعةٍ لموح *** بعرضٍ وهو مقتل الطموح

كصائدٍ مخاتلٍ مشــيحِ *** أو كوكبٍ مال إلى الجنوح)[1]

وله سماعات شعرية غير ألغاز، ولا تخلو من بعض تعليقاته وذلك ما أنشده أبو الفوارس بن الصفي لنفسه، وقد علق عليه قائلا "متشبها بالقدماء: (من الكامل)

دانٍ تكاد الوحش تكرع وسطه *** وتمسُّـه كفْ الوليد المرضع

متتابعٌ جمٌ كـأن ركامه *** ركبات قيصـر أو سرايا تبَّع

فهمى فالقى بالعـراء بعاعه *** سحا كمـندفع الأتيِّ المترع

فتساوت الأقطـار من أفواهه *** فالقارة العلياء مثل المدفـع

وغدا سراب القاع بحرَ حقيقةٍ *** فكأنه لتيـقنٍ لم يخدع

[1] التذكرة الحمدونية ج٨ص٣٢٨

متغطمطا غصب الوحوش مكانها *** تياره فالضب جاد الضفدع[1]

ومن مصادره السماعية قصص مختلفة الموضوعات؛ منها الرؤى التي تحققت عاجلا ومنها قصص انفراج الأزمات وزوال الشدة وغيرها. ومن ذلك ما سمعه عن نجاح الخادم المسترشدي قائلا :" أعطيت رقعة محبوس ونحن بحلوان في الخدمة المقتفية فعرضتها بين يدي فوقع فيها : ليخلد في السجن ، فانزعجت وقلت في نفسي: ليتني لم أكن عرضتها، ولم يكن لي فيها حيلة ، فإنه وقع فيها وألقاها بين الرقاع لتخرج في الجمع إلى الوزير على العادة .قال : ثم أعاد التامل للرقاع فوقعت تلك الرقعة في يده ، فخرق التوقيع الأول ووقع : يسأل عن حاله ؛ وألقاها في الجمع .ثم قلب الرقاع فعادت في يده فخرق التوقيع الثاني ووقع فيها : (ليفرج عنه)[2]

إن دلت مثل هذه القصة على شيء إنما تدل على الكيفية التي تصدر بها الأحكام دون تثبت من حقيقة الأمر ، كما تصدر على هوى تلك اللحظة التي تواكب التوقيع ويحكمها الحظ واللحظة ولكن ابن حمدون لم يوضح ذلك خاصة أن القصة في عصره، ولكنه لم يشأ أن يعلق على طبيعة الأحكام.

وفي سماعاته نجد تحقيقا لمقولة(إن رب ضارة نافعة) ومن ذلك أيضا ما سمعه من أبو الحارث ابن المعجون المغني قال :" كنت في شرب بالكرخ وقد صلب جماعة على باب السماكين فلما انتصف الليل تعاطى الجماعة شدة القلب والجلد فقالوا من يذهب إلى هؤلاء المصلوبين ويأتينا بعلامة منهم ؟ فأنتدب أحدهم فوجد واحدا من المصلوبين حيا وقد وقع الحبل تحت حنكه فحمله وأتى به فعاش الرجل[3]فكان شربهم الضار لهم و النافع لإنقاذ هذا المصلوب .

---

[1]التذكرة الحمدونية ج٥ ص٣٤٥

[2]التذكرة الحمدونية ج٨ ص٧٠

[3]المصدر السابق ص٧١

ومن سماعاته أيضا ما حدث لأحد كتاب السلطان محمد حين قبض عليه وعذبه ثم أفرج عنه، وقربه والسبب في ذلك جمال خط الكاتب والذي كان سببا في إنقاذه من العذاب وتقريبه للسلطان حيث ينفرد به ليعلمه جمال الخط

ثانيا: المشاهدات

جاء أغلب مشاهداته في أحوال العباد، وزوال نعمهم، وبوار حالهم. أو في من كرمت أخلاقه وجاء بتصرفات تدل على طيب خلقه. ومن النوع الأول قوله : "وقد رأينا مسعود ابن المؤمل ابن الهيتي اليهودي ملك مائتي ألف دينار عينا وأجناسا وقروضا ثم رأيناه بعد وقد أسلم وهو يطلب رغيف خبز من اليهود يقتاته في السوق[1] فكأنه يمتحن في دينه بما حب قبل إسلامه . وقد أورد ما رأى وعاصر ، ولكنه مهد لمثل هذه المشاهدات بسرد قصص مماثلة لها باختلاف المصدر. حيث كان هذا التمهيد مما قرأ، ثم أعقبه بالقصة أعلاه . وقصة أخرى شاهد بطلها ملك ستين ألف دينار عينا سوى ما له من عقار ثم احتاج حتى كتب رقاعا يستميح الناس ومات على تلك الحال"[2]. فأرجع ذلك إلى عدم مراقبتهما الله وعدم الاستعانة بلطفه فيما بقي من نعمة ، وطلبا العوض بضمان المكس والدخول في المحرمات فآل بهما فعلهما إلى الفقر الذي ذكرناه ونجد روح الدين الإسلامي واضحة في تعقيبه وإرجاع السبب فيما حدث لهذين الرجل للتقصير الديني ، وهذه من المرات القلائل التي أدلى فيها بتعليقه .

أماالنوع الآخر من مشاهداته وهو من تبدل حاله ، وفرج عنه في لحظات بعد أن قدم للقتل وكتب الله له عمرا جديدا بقدرته تعالى ، وقد أورد ذلك دون تعقيب مكتفيا بما شاهد فقال : "كنت واقفا على فرسي بسوق الخيل ، وبهروز الخادم إذ ذاك والي بغداد . وقد ورد الخبر بتولية آخر مكانه ، وقد أخرج من حبسه اثنان : أحدهما قاطع طريق والآخر عليه قود، وقدما للقتل. فبدأ بقاطع الطريق فقتل، ثم قرب الآخر إلى السياف فطلعت خيل أخر ، فاشتغل أصحاب بهروز وأعادوا الرجل إلى الحبس ، ونحن وقوف ؛ وخرج منه أصحاب

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٨ ص١٠٦

[2] المصدر السابق الصفحة السابقة

الجرائم وذلك الرجل فيهم وهويحجل في عتلته وتبعه أرباب الدم وكانوا أطفالا ونساءً فعجزوا عنه وهرب حتى لحق بالدار السلطانية واعتصم بها فنجا[١]

أما ما شاهده وذكره معلقا على كرم أخلاقه قائلا: "شاهدت اثنين أحدهما من أوساط الناس والآخر من فقرائهم، أما الأول فكان يجوع ويطعم، ويعرى ويكسو ويتكسب بالتصرف فيلبس القميص المرقوع ويركب الدابة الضعيفة، لا زوجة له ولا ولد، ولا عبد ويصرف ما يحصله في معونة الناس وإرفادهم وإطعامهم وأما الثاني فرجل ضعيف يجتدى الناس في الأسواق ويسألهم، ويجمع ذلك فينفقه على المحبوسين: يطعمهم ويسقيهم ويداوي مرضاهم ن ويضع الأجاجين على الطرق يملأها ثريدا، ويدعو الفقراء إليها، وهو بقميص متخرق مكشوف الرأس، لا يعود على نفسه مما يحصل إلا ببغلته) [٢] وكان تعليقه أن هذين يستحقان اسم الكرم، وإنا نرى ليس كرما فقط إنما زهدا في الدنيا فالكرماء لا يصلون بأنفسهم لهذه الدرجة من الحرمان، كذلك نرى في هذه التصرفات إقبال على الآخرة وإشاعة المودة بين الفقراء ومشاركتهم حياتهم والتخفيف عنهم مما يعانون من مرارة الحرمان وذل الفقر ، فتحمل هذا الرجل ذل السؤال مقابل إعانة من يستطع القيام بهذا العمل .

ومما عاصره الحمدوني وشاهده ممن أبت أنفسهم إلا أن يكون ملجأ للمحتاج والمستجير في عصر كثرت فيه الفتن والقلاقل وغضب المسؤولون على أبناء شعبهم مما زاد في أعداد الذين يبحثون عن الإجارة والمكان الآمن فكان هو خير مجير لهم، ألا وهو الأمير مجاهد الدين قايماز قد وصفه الحمدوني بأنه فات من ذكر بالكرم ، وفاقهم بحسن الشيم ثم ذكر السبب قائلا : " فما شاهدته من ذلك أنه كان موئلا لكل وافد عليه من بلادنا العراقية ، ملجأ لكل خائف[٣] كان ملاذا لهولاء اللاجئين وكان كرم أخلاقه وشهامته حماية له من غضب سلطانه ، وحصنا له من أن يكون مطاردا مثلهم في يوم من الأيام ولم يكتف الحمدوني بذكر هذه المكرمة فقط عنه إنما عدد له الكثير من أعمال الخير مثل بناء المساجد، و المدارس والجسور والمستشفيات كما ذكر ذكائه في التعامل مع كتاب الله ، وتذوق الشعر وإجازة الشعراء بجوائز تدل على كرمه .

---

[١] التذكرة الحمدونية ج٨ ص٦٩

[٢] المصدر السابق ج2 ص٣٦١

[٣] التذكرة الحمدونية ج٨ص٣٦٢

الفصل الثالث

ترتيب الكتاب وتبويبه:

جمع الحمدوني الكثير من المادة بمختلف فروعها حتى كون هذا الكتاب الضخم بمادته ، المميز بنوعه ، المشهور بمتعته وقد اتفق في ذلك معظم المختصين بهذا المجال حيث وصفه صاحب كشف الظنون عن ابن خلكان بأنه "مجموعة لطيفة عظيمة من أحسن المجاميع جمع فيها التاريخ والأدب والأشعار والنوادر لم يجمع أحد من المتأخرين مثله[١] وصفه هنا بالتفرد بين المصنفات المتأخرة ، وهو مشهور بأيدي الناس كثير الوجود . وإن دل هذا على شيء إنما يدل على ما يجده الناس من فائدة كبيرة في هذا المؤلف حتى تناقلته أيديهم. و ذكره البعض دون أن يصفه وهذا دليل آخر على أنه مشهور بين الناس ، ولكن البعض الآخر انفرد بتعليقه على هذا المصنف فهو يرى "أنه جمع فيه الغث والسمين والمعرفة والنكرة[٢]وهذا وإن كان ظاهره اختلاف في الآراء حوله ؛ فهو دليل على شهرته وغزارة مادته، وقد وصفه صاحب مفتاح السعادة بأنه من الكتب الممتعة[٣] وقد ذكرته معظم كتب التراجم ولكنها كانت معلومات متناقلة فيما بينهم

لم يكتب الحمدوني هذا المصنف فحسب ؛ إنما كتب ووصف كتابه قائلا: "جمعته من نتائج الأفكار ، وطرف الأخبار والآثار ، ونظمت فيه مزيد النثر ودرره وضمنته مختار الشعر ومحبره ، وأودعته غرر البلاغة وعيونها ، وإبحار القرائح وعونها ، وبدائع الحكم

---

[١]أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أب بكر بن خلكان – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – ت د.إحسان عباس – دار صادر بيروت ص٣٨٠ وانظر كشف الظنون مج١ص٣٨٣

[٢]انظر خريدة القصر وجريدة العصر ج١ص١٨٤

[٣]انظر مفتاح السعادة ص٢٠٦

وفنونها ، وغرائب الأحاديث وشجونها ،[1] فهو يصف جهدا جبارا بذل ليرى كتاب التذكرة النور.

وقد نزهه عما يمكن وصفه بأنه غث وأكد على ذلك قائلا: "وهو مصروف عن الإسهاب الممل إذ كان مطية العشار والإرداء ومصروفا عن الاختصار المخل فأنه مظنة الخيبة والإكداء وهما طرفان مذموم بهما الإفراط ، وخير الأمور الأوساط[2].

فقد عرف ابن حمدون ما يمتع القارئ ، وما يشعره بالملل والضجر أو بالإحباط . ولكن هذا لا يمنع أن هناك بعض الأشياء التي كتبها ربما سهواً. كما أنه لا يعني أنه غاية كل قارئ من أجل المتعة أو كنز معلومات لكل باحث عن المعرفة ، وقد توقع ذلك ببصيرته أن هناك من يصفه بغير ما عمل له بالرغم مما بذل في سبيل جمعه وكتابته وترتيبه فلم يترك جهدا في الاختيار لذا جعل لنفسه خطا دفاعيا فذكر أنه غير ملزم أن يقدم ما يرضي جميع الأذواق وذلك لاختلاف الآراء ، ولتعدد وجهات النظر وزوايا البحث وكثرة الاختيارات ومن صور هذا التباين ما ذكره بنفسه فقد يروق للرجل لفظ ويجده الآخر قذى ويلذ له معنى ويجده سواه أذى ، والعالم في المقاصد شتى الطرق أضياف والاختيارات لها ائتلاف واختلاف . وقد اتفق معه المحقق في رده على الآراء التي جاء ظاهرها فيه التباين وحقيقتها على غير ذلك وفقا لكلام إحسان عباس الذي يرى ألا تناقض في تلك النظريات والأمر نسبي بحسب الزوايا التي ينظر منها إلى ذلك الكتاب .

أما الحمدوني لم يغلق الباب أمام آراء النقاد ، وأعطى الرخصة للنقد البناء والعقل المصلح والقلم المصحح فقال: "رحم الله امرء وقف من كتابي هذا على خلل فأصلحه وذلل فاستدركه[3] وألحقه بالسبب الذي كان وراء تلك النواقص– إن صح التعبير – في مصنفه ، فلم يدعي ابن حمدون الكمال لمصنفه فالكمال لله وحده . ومن يرى فيه غث أو اعوجاج؛ لم يأت بمثال الغث ولا بمحاولة تقويم الاعوجاج، كما لم يأتي بأنواع السمين كما طلب الحمدوني.

---

[1] التذكرة ج1 ص 22

[2] التذكرة ج١ ص٢٢

[3] المصدر السابق ج١ ص٢٣

وقد كتب الحمدوني هذا المصنف في ظروف قل أن يتعرض لها إنسان فيقاومها بمثل ما قاومها به ابن حمدون، ورب ضارة نافعة ، فقد كتبه والوحدة قد ضربت سياجها حوله ، وقيدته العزله بسلاسلها ، وجعلت بذلك كل محبوب مكروه لديه. ولكنها أطلقت لعقله العنان، فكتب درراً بقيت شاهداً عبر العصور "عندما تخلى عنه الأخوان وحين بدل الصفو كدرا، وغيرت بني الأيام الغير وفسد الزمان، وخان الأخوان ، وأوحش الأنيس وخيف الجليس ، وصار مكروه العزلة مندوباً ومأثور الخلطة محظوراً، وأضاءت آثار الوحدة في القلوب فأنارتها، وحكمت العقول بفضيلة التحلي فاختارتها[1] اختار لنفسه هذه الفضيلة علاجا، بالإضافة للعزلة والوحدة فكانت جميعها بمثابة الأسلوب الذي قاوم به ابن حمدون ظروفه القاهرة تلك، وتقبل قسوة أيامه وجفوة أصدقائه وهو الذي كان له ظل عليهم ، فاستبدلهم بأصدقاء لا يتغيرون ، ولا تفرض عليهم القطيعة فيستسلمون، ولا تتحول الأيام عن صديقهم فيظنون به الظنون، بل يحادثونه حديث النفس الصادق، ويقدمون له القصص والمواقف التي يجد فيها سلواه. فكانت هذه الفائدة ، والمساعدة التي يقدمها هؤلاء بدون من أو أذى. ألا وهم تلك الكتب التى قوى صلته بها، ولجأ لها في محنة قاسية فأجارته ، ووجدته في خيفة فآنسته "فقال عنها" فوجدت الكتاب خير صاحب وقرين ، وأفضل رفيق وخدين ، ولا يخون ولا يمين ،ولا يماكر ولا يناكر ،....المفضي له بسره مستظهر آمن، والمصاحب لها وادع ساكن..... .[2] نظن من خلال حديثه عن الكتب وتفضيلها على بني الإنسان ووصفها بصفات الفاضلة تلك؛ أن ما وجده في حياته من قسوة؛ كان بسبب المقربين منه فقد خانوه ولم يخنه الكتاب ، ومكروا عليه ونكروا فضله وظله عليهم ولن يصدر مثل ذلك من الكتب ، فجعله لمن وفق في قرار العزلة أسلم خليل ، ومستودع آمن لأسراره؛ لأنه مأمون من الهفوات والزلات التي تؤدي إلى نهاية لا تحمد كما حدث معه.لم تكن هذه العلاقة بينه والكتب مجرد علاج لما حدث له ؛ إنما كان لها فائدة

---

[1] التذكرة الحمدونية ج١ ص٢٢

[2] انظر المصدر السابق نفسه الصفحة نفسها

عظمى للحمدوني من ناحية وللقراء من ناحية أخرى إذ ولد هذا المصنف ، وجاء تذكرة للناسي وتبصرة للساهي وما إلى ذلك من فوائد جمة يجنيها القارئ لصفحات هذا المصنف.

أما ترتيب المادة التي جمعها في تلك الظروف الحالكة ، فقد جعلها بترتيبه في خمسين بابا لأهداف سامية حيث يجمع كل باب فيها فصولا متقاربة ومعاني متناسبة ، ليضرب على متصفحه ما يريد انتزاعه بمعرفة مكانه ، ويسرع إلى ملتمسه بعلم مظانه على حد قوله فإلي هذه الأبواب لنعرف محتواها.

تبويب الكتاب وترتيبه :-

أولا: بدأ الكتاب بمقدمة احتوت الثناء على الله بما هو أهل له ثم تبعها بنجوى عميقة المعني تخللها الشكر على النعم، والاستعاذة من النقم أقوالها وأفعالها وختمها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن ثم بالدعاء.

ثانياً: ذكر كيفية جمعه للكتاب فقال:" هذا كتاب جمعته من نتائج الأفكار وطرف الأخبار , والآثار ، ونظمت فيه فريد النثر ودرره، وضمنته مختار الشعر ومحبِّره وأودعته غرر البلاغة وعيونها وأبكار القرائح وعونها ، وبدائع الحكم وفنونها وغرائب الأحاديث وشجونها[1]. لم يقل ألفته إنما حفظ حق غيره عندما نقل نتائج تفكيرهم، واختار الأخبار الطريفة، وكذلك الجواهر الكلامية النثرية، ولم ينس الجناح الثاني للأدب فضمنه أشعار الشعراءوبلاغة البلغاء وغريب الأحاديث وكل ما وجده يستحق أن يكتب.. الخ

ثالثاً: وصف الوقت الذي قام فيه بجمع هذا الكتاب والزمن الذي عاش فيه بنفس مكسورة لما عانى في تلك الأيام من الخيانة والوحشة وانعدام الثقة بمن حوله فقال: "جمعته حين بدل صفوه بالكدر ، وغير بني أيامه الغير وفسد الزمان وخان الأخوان وأوحش الأنيس وخاف الجليس وصار مكروه العزلة لديه مندوباً ، ومأثور الخلطة عنده

[1] التذكرة الحمدونية ج١ ص ٢٤

محظورا"[1] . وأديب مثله لابد له من استبدال تلك الأصناف من البشر _التي جرحت إحساس فنان الكلمة_ بالكتب لصدقها معه وأمانتها له وأنسها له، فوصفها بأنها خير صاحب وقرين ، لا يخون ولا يمين ولا يماكر ولا يناكر ،فوجد من الكتاب صديقا لا يعصى، ولا ينفر منه ، يبقى معه حيث يبقى، حافظا سره ، وواصلا بره ، فيشعر معه بالسكينةوالأمان.

الكتب لمن في مثل ظروفه هذه من العزلة والوحدة؛ أنسب خليل يمكن للمرء أن يعيش معه في سلام فمع مثل هذا الصديق وبتلك المواصفات التي شعر الحمدوني أنها فقدت بالنسبة له ؛ ربط رباط الصداقة الوثيق الذي أنتج لنا التذكرة الحمدونية

رابعا: ذكر دواعي تأليفه إذ ألفه ليذكر به الناسي ويبصر به الساهي ، وكل منهما يجد في هذا الكتاب لمراده مستمتعاً ، ويسلك منه إلى مراده متسعاً [2] تناسى ما تكبده من بني البشر، فغلبت عليه طبيعته ، وتواصل معهم عبر الكتاب، وعمل على إفادتهم، وحمل على عاتقه أن يذكر ناسيهم، وينبه الساهي منهم.

وصف ما تضمنه الكتاب بعبارات مغايره وفائدة كل نوع من ذلك . "فيستخرج منه أدباً يقدح من زناده قبساً وحكمة يدعو إليها مرغباً ومفيداً، ومثلا شروداً يورده دليلا لما جوري فيه شهيداً[3] فاستعمل ما جمعه من الأنواع الأدبية ضياء ينير به طرق القراء بما اختاره من مادة جمعت الأمثال والأشعار والحكم وغير ذلك كثير،وهذا بالفعل ما حوته أبواب الكتاب وفصوله.

لذا سماه التذكرة يكتب فيه ما يتذكره أو يذكر به غيره وحرى بهذا الاسم ، وفي هذا الوضع القاسي؛ أن يأت الكتاب مخلاة تجمع كل شئ،ولكن ابن حمدون جعله مصنفاً

---

[1] التذكرة الحمدونية ج 1 ص22

[2] المصدر السابق نفسه ص٢٢

[3] المصدر السابق نفسه الصفحة نفسها

وليس مخلاة ، كما جعله مرتبا يجد القارئ فيه ضآلته ويقطف الثمرة التي يريدها من كل فروع الأدب بدون عناءٍ ، فيبعد عن الشر (ويكفيك منه سماعه) ويقرب من الخير فيجده من خلال تذكرة الحمدوني، فهو تذكرة للناسي سواء كان بالعظات أم بالقصص، أم الأخبار التي كانت سلوى للمؤلف نفسه أو ستكون لمن بعده من القراء.

خامسا: عمد لكل باب واصفاً كيفية ترتيبه؛ "إذ شرف كل باب بأن بدأه بآي من كتاب الله سبحانه وتعالى وأثر من رسوله صلى الله عليه وسلم وقدم أمامه تحميداً يكون مشيراً إلى معناه ، وطليعة لمقصده ومغزاه ، وختمه بطرف من نوادره ، وملح من غرائبه يستريح إليها اللغِب الطليح من كلال الحد، ويأمن معهما الدأب الحريص من ملال الجد ، خلا بابي الافتتاح والخاتمة فإنهما لله خالصان ، وللإنقاذ من هفوات القلب واللسان مؤملان[1]. فذكر باختصار خطته في عرض المادة التي جمعها، والهدف من كل ذلك أن يجد القارئ فيه راحة نفسية من عناء الحياة .

سادسا : وصف أبوابه وصفاً مفصلاً من حيث عددها وتقارب فصولها . وتناسب معانيها، ولم ينس ذكر الهدف من ذلك الترتيب حيث أراد أن يقرب على متصفحه ما يريد انتزاعه بمعرفة مكانه، فهو هدف يدل على إحساسه بما يجده المطلع من عناء البحث عن حقيقة، أومعلومة ، أو غيرها بين مئات الأسطر. فسهل لهم الطريق إلى ذلك. كما أنه يشير إلى فهم متقدم لكيفية البحث عن المعلومات، ولا يفوته ذلك وهو صديق الكتب.

سابعا: ختم افتتاحيته بدعوى واضحة، وإذن صريح لمن يجد خللاً في هذا الكتاب أن يبادر بإصلاحه وأكد على الحالة النفسية السيئة التي لازمته وقت نقله لمادة مؤلفه فكان قلبه عليلا وخاطره كليلا مما جعله يختم الكتاب دون مراجعة أو تنقيح، فلم يكد يعاود لحظه ولا تتبع غلط الوهم واليد، فكأنه كان في سباق مع الزمن. وهذا ما التمسناه فعلا بين أسطر التذكرة الحمدونية فقد مرت بعض الأخطاء التي تنبيء عن عدم المراجعة لما كتب

[1] المصدر السابق نفسه ص٢٣

. من ذلك ما وجدناه في إحدى القصص التي كان بطلها يدعى ابن أبي قبيصة الذي حكمت عليه فاطمة بنت أحمد الهزارمردي ، وكتبت للموكل بالقلعة التي حبسته فيها بقتله، فورد عليه الكتاب وهو أمي وليس عنده من يقرأ أو يكتب إلا ابن أبي قبيصة"[١] فهنا تضارب واضح في الأسماء كيف يكون من لا يقرأ أو يكتب هو نفس الشخص الوحيد الذي يقرأ ويكتب، فلو راجع ابن حمدون كتابته لوقف بنفسه على هذا الخطأ الذي أضاع اسم من يقرأ ويكتب في هذه القصة. التنبيه لهذا الخطأ المحتمل جعل له حماية من النقد اللاذع، وعذراً له من الأخطاء غير المتعمدة، وإن يكن إرضاء الناس غاية لاتدرك لسبب أو لآخر. وهذا أيضاً لم يفته فقد جعل نفسه في حل من إرضاء الكل.

وصرح بعدم قدرته على إرضاء كل الأذواق قائلاً:"(ولا يلزمنى أن يكون لكل الناس رضى فقد يروق للرجل لفظ وهو للآخر قذى ، ويلذ له معنى ويجده سواه أذى . والعالم في المقاصد شتى الطرق أخياف والاختيارات لها ائتلاف واختلاف[٢] . وهذا هو اختلاف الزوايا التي ينظر منها للكتاب وتباين وجهات النظر عند الحديث عنه ، وتعدد الأذواق، فهو بذلك قد مهد لنفسه طريقا للاعتذار عما يرد في مصنفه من أخطاء.

وقد كان للمحقق رأي في تبويب الكتاب وترتيبه إذ رأى أن الكتاب قسمان: هما قسم الأدب وضمنه الأبواب التي تتحدث عن الأخلاق:كالسخاء والبخل والشجاعة والجبن والصدق والكذب ....الخ وهي من الباب الرابع حتى السادس عشر، والأبواب ذات النزعةالأدبية الشعرية: كالمدح والتهنئة والرثاء والهجاء ...الخ وهي من الباب السابع عشر وحتى التاسع والعشرين .

---

[١]التذكرة الحمدونية ج٨ ص٦٤

[٢]التذكرة الحمدونية ج1 ص24

والأبواب القائمة على الفنون النثرية: كالخطابة والكتابة وغيرها من الباب الثلاثين إلى الباب الثالث والثلاثين ، وجعل القسم الثاني للتاريخ وهو الباب التاسع والأربعين

الأبواب التي لا رابط لها في رأيه كان يمكن أن يلحقها ببعض الأبواب الأخرىمثل باب الخمر.

ولكن هناك أبواب ضمنها هذا التقسيم وهي لا تمت له بصلة على سبيل المثال الباب الرابع عشر الذي يختص بالرأي والمشورة، وغيره من الأبواب التي على شاكلته ، كما أنه أعطى مثالا بالخمر ففي أي باب شعري يدمجها هل مع الأوصاف أم مع أبواب الأخلاق لما فيها من فقرات اهتم فيها بالتصرفات الحميدة والترفع بسببها عن الخمر؟ ففي رأيه بعض الصحة وسنناقشه في موضعه المناسب.ولكن ما هو تقسيم المصنف ؟

كان تبويب الحمدوني للكتاب بأن جعله في خمسين باباً منها ما اشتمل على ستة فصول ومنها ما هو أكثر أو أقل وكذلك المادة كانت متفاوتة بالطبع، فمنها ما جاء في مجلد لوحده ومنها ما جمع مع غيره لتكوين مجلد آخر، فكان هذا سببا لعدم تقارب الفصول كما ذكر.

الباب الأول: في المواعظ والآداب الدينية وسيرة السلف الأول والصالحين

جعله في أربعة فصول بعد تشريفه بالآيات المستخرجة التي تناسب متون الباب ، وهذا ديدنه في كل الفصول وقد كان صادقاً فيها معظم الأحيان عندما ذكرها في مقدمته. وقد كان الفصل الأول من هذا الباب في ما جاء **من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلام بعض الأنبياء عليهم السلام** . ومن الطبيعي أن يبدأه بالأحاديث النبوية الشريفة من مختلف كتب الحديث كالترمذي والبخاري وغيرها ، كما أورد مختلف طبقات الحديث الصحيح منها والضعيف الذي يأتي به دون إسناد واضح فيكتفي بقال صلى الله عليه وسلم، ومواعظه عليه السلام ثم يعرض بعد ذلك متن الحديث.

ولم تسقط راية المحاورة منه حيث أوردها أحاديثا تشمل حواراً بين النبي صلى الله عليه وسلم وأحد صحابته،أو قصة تروى عنه عليه الصلاة والسلام . ثم ختم هذا الفصل ببعض صفاته، وكيفية عبادته صلى الله عليه وسلم، ومن بعد ذلك يبدأ من أقوال الأنبياء قبله دون أن يكثر من ذلك فبدأهم بسيدنا عيسى عليه السلام ثم النبي داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسي . دون ترتيب واضح حيث يذكر حديثاً لأحدهم ثم يعود لسيدنا عيسى أو للنبي صلوات الله عليهم أجمعين.

في هذا الفصل الثاني : كلام القرابة رضي الله عنهم وآدابهم وآثارهم ومواعظهم الباب ضمَّن كلام قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم. افتتحه بتنويه عن اختلاف الناس في الحديث، وسبب ذلك الاختلاف الذي أرجعه لتقسيم الناس لأربعة: منافق كذب متعمدا، وآخر سمع ورأى عن النبي صلوات الله عليه وغاب هذا الرجل فنسخ عنه ، ورجل سمع النبي يقول قولا فوهم فيه، ورجل لم يكذب ولم يهم وشهد ولم يغب وإنما دل بهذا عن نفسه[1].

جاء الحمدوني بهذه الأنواع ليبني لنفسه حصنا مانعا من التناقض الذي يرد في الأحاديث التي يحتاجها في متن كلامه. وترك مسؤولية الاختلاف على أكتاف الرواة، وبعد ذلك أتى بكلام قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد خص سيدنا عثمان رضي الله عنه بما يربو عن الثلاثين صفحة من مواعظه وعن تقشفه مقدماً إياه على غيره ثم أعقبه بكلام بنيه. ولم يتبع التسلسل الزمني أو التاريخي في ذلك معتمدا فقط على صلة القرابة بينه وبين النبي عليه أفضل الصلاة والسلام – فكان ميل شيعي واضح– ومن بعده جاء ذكر الآخرين من الأقارب مثل عبدالله بن عباس ، وجعفر بن محمد وأحفاد سيدنا على رضي الله عنه وأرضاهم أجمعين

[1] التذكرة الحمدونية ج١ ص٦٣

الفصل الثالث: **اختص بكلام الصحابة الآخرين** بدأه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ومن ثم عمر بن الخطاب وتخللت حديثه عنهم روايات ووقائع لصحابة آخرين أمثال معاذ وأبي ذر وسلمان وابن مسعود وبلال وغيرهم كثر ؛ دون الوقوف عند سيدنا عثمان بن عفان الخليفة الثالث، ولم تشفع له صلته الوطيدة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولا ما قدم للإسلام ولا حتى أنه ذو النورين .فلم يكن لعلي بن أبي طالب عداء مع علي رضي الله عنهم،إلا أن تقدم عليه في تولية مقاليد الخلافة قبله، وهذا ليس بسبب لتجاهله، فلماذا يتجاهل أحاديثه ومواقفه التي نصر فيها الإسلام .والمادة الكثيرة التي جمعها عن الصحابة لا تترك مجالا للشك بأن ليس في جعبته عنه رضي الله عنه، وأغلب الظن الميل الشيعي هو وراء هذا التجاهل.

الفصل الرابع :**في أخبار التابعين وسائر طبقات الصالحين رضي الله عنهم وكلامهم ومواعظهم** كان خاصاً بأحاديث ووقائع التابعين وخص عمر بن عبد العزيز بكم لا بأس به من الأقوال والقصص تخللتها بعض الأشعار التي تناسب المعني ، وأتى بغيره من التابعين أمثال الحسن البصري، وسفيان الثوري ومالك بن دينار وغيرهم. وختم هذا الباب بدون نوادر؛ فقد ذكر أنه جعله لله خالصاً وتعظيماً لمن حمل الباب كلامهم .

الباب الثاني: في الآداب السياسية الدنيوية ورسوم الملوك والرعية: جعله في ستة فصول وافتتحه بالذكر الحكيم ومن ثم قسمه إلى ستة فصول وهو الباب الوحيد الذي جعل له توطئة وافتتاحية وفهرسة، ثم أعقب ذلك بالفصل الأول منه وكان في الحكم التي نطق بها الحكماء والعلماء. أولهم النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم عدد كبير من الصحابة وبعض الصحابيات، ومن ثم كم آخر من الحكماء والعلماء بمختلف عصورهم ، وكل أحاديثهم تدور في ما حمل العنوان من معنى ، وتخللت ذلك الأشعار المختارة.

أما **الفصل الثاني** فكان **في السياسة والآداب الملكية وما يجب للولاة على الرعية،** وآداب الملوك والسلاطين والولاة ، وعهد علي بن أبي طالب إلى الأشتر وقد قدم الحمدوني

مدحا طويلا لهذا العهد بانه بعيد عن الملل بما يحمل من معان بلاغية رائعة وبارعة ، وقد وجده الحمدوني على حد قوله يغني عن كثير من كلام الحكماء والقدماء ولكنه يعرف حب الناس للتغيير لذا أتى بهذه الأقوال من أجل ذلك ، والجدير بالذكر أن هذا العهد هو الوحيد الذي علق عليه ابن حمدون بهذه الثقة وبأسلوب واضح يصف إعجابه بما كتبه ابن أبي طالب رضي الله عنه .وأتى بنموذج جامع لأصول السياسة.

الفصل الثالث : في سياسة الوزراء والكتاب وأتباع السلطان وصحابة السلاطين وأراء القدماء في ذلك والقضاء والمظالم والحجاب والعمال والقادة وغير ذلك مما يدور في هذا الموضوع .

الفصل الرابع: نزل به إلى ما يخص الجمهور فأولها مما قاله النبي وصحابته خاصة علي بن أبي طالب ثم جوامع من الأدب وأراء تنظيمية أخرى مثل ذم الهوى وضرر المزاح وقد أخذها من كتاب الأدب الكبير.

أما **الفصل الخامس:** فكان عبارة عن نماذج من سياسات مختلفة مثل سياسة كسرى والإسكندر والمنصوروالخلفاء والولاة في الإسلام مثل معاوية ابن أبي سفيان ، وأبي جعفر المنصور، والمهتدي، والمأمون، والحجاج، والمعتصم وقصة خروجه من سر من رأى وغيرها من السياسات .

الفصل السادس : جعله خاصا للنوادر وهذا ديدنه أن يختم كل باب بمجموعة نوادر فكانت هذه المجموعة نوادر سياسية ولكنها قليلة حصرها في نوادر في السياسة .وقد رأى المحقق أنه لا يمكن فصله عن الباب الثاني عشر والرابع عشر والحادي والأربعين لأنها تدور جميعها حول فروع لموضوع واحد وهو الأخلاق الإنسانية . ولعله محق في وجهة نظره . وكان يمكن أن يجعلها منفصلة ولكنها متتالية، ليكون هناك نوع من التسلسل والإتقان لترتيب المادة وكان الباب الأول والثاني في المجلد الأول معا.

الباب الثالث: جاء تحت عنوان الشرف والرئاسة والسياسة باب ضخم، إنما كان عبارة عن عناوين متعددة كونت مواضع علو الهمة. بدأه بخطبة ومقدمة ثم أقوال وأخبار تحمل معنى العنوان، ومن ثم خصص بقية المادة لما يشرف النفس ويرفع منها مثل علو الهمة والسؤدد والحلم وحمل المغارم وحفظ الجوار وحمى الذمار ، وقد تداخلت موضوعات هذا الباب دون ترتيب واضح للفصول كما ظهر في البابين السابقين إنما اكتفى بعناوين فرعية صغيره مصنفا موضوعاتها تحت إحدى كلمات العنوان مثل قوله علو الهمة من الرياسة وهكذا .

الباب الرابع:كان في مكارم الأخلاق لكنه جمع المادة عن محاسن ومساوئ الأخلاق وأشعار عن ذلك. ولم يكن البابان **الخامس والسادس:** بعيدين عن الصفات الأخلاقية الأخرى فكان الخامس في السخاء والجود وأخبار المشاهير في ذلك. والبخل وأخبار البخلاء ونوادر تخص هذه المعاني، ثم أتى الباب السادس عن صفات إنسانية أخرى مثل الشجاعة والجبن والضراعة وأخبار الشجعان والجبناء ، فان هذه الأبواب قريبة جدا من الباب الثالث ، ولكنها ستكون طويلة ومملة لو جعلت في باب واحد ويكون بهذا قد وفق في جعلها متتالية وفيها نوع من التسلسل.وكانت هذه الأبواب في المجلد الثاني معا .

كذلك الأبواب التالية **فالباب السابع** على نفس المنوال فقد خصص للوفاء والغدر و الكذب والأخبار التي لها علاقة وطيدة بذلك.

أما **الباب الثامن**: جعله للصدق والكذب والأخبار المرتبطة ارتباطا وثيقا بهذه الصفات.

الباب التاسع خصصه لصفتين إنسانيتين هما التواضع والكبر ونماذج على ذلك. .. ولم يبعد عنه **الباب العاشر** كذلك جاء في الصفات الحسنة والسيئة فكان في القناعة والظلف والحرص والطمع. نلحظ في هذه الأبواب حرصه على مناقشة الأمور المتضادة

ذاكرا مرة مطابقة واحدة. ومرة أخرى جعلها لأكثر من صفة وضدها ولعل هذه الفلسفة التي جعل بها هذه الأبواب منفصلة عن بعضها البعض ، وربما كانت المادة التي بين يديه هي السبب وراء هذا التقسيم وإذا قام بمراجعته – أغلب الظن _ كان قد اختصرها وجعلها على الأقل في مجلد واحد .

الباب الحادي عشر: في السر والنميمة وما يتعلق بهما من آيات وأحاديث وأشعار وبعض المواقف في هذا الجانب. ولم يكثر منها فهو باب قصير إذا قورن بالأبواب الأخرى.

الباب الثاني عشر: رجع فيه للتعامل بالتضاد وذلك بعنوان ما **جاء في العدل** و**الجور** وعالجه بمثل معالجة الباب السابق من الافتتاح بالخطبة والمقدمة والآيات والأحاديث واختلف فيه بالطبع في الأخبار التي تتعلق بالعنوان، وهكذا استمر الحال؛ يجمع بين الصفة وضدها حتى وصل لنهاية الباب .

الثالث عشر: كانت مادته **العقل والحكمة والحمق والجهل وأخبار عنها** افتتحه بخطبة الباب كالعادة، ثم ذكر فضيلة العقل وتابع بالآيات والأحاديث وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وبعده كلام الحكماء والأدباء ونظم الشعراء وأخبار تناسب ذلك.

الباب الرابع عشر: في المشورة والرأي صوابه وخطأه .أتى فيه بالمشورة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن ثم ما كتبه الأدباء عنها، ثم جمع عنها عند اليونان والفرس وكان ختام المسك بالمشورة عند الرسول صلى الله عليه وسلم وختم بنوادره كالمعتاد.

أما الباب الخامس عشر: جاء خالصاً للعهود والوصايا إذ بدأه بخطبة الباب ولكنها قصيرة جدا مقارنة ببقية افتتاحياته في الأبواب الأخرى.وأول ما بدأ به الباب الوصايا من

القرآن الكريم والحديث الشريف ثم وصايا الصحابة وقد قسم مادته في الوصية إلى قسمين رئيسيين هما وصية الوفاة ووصية التأديب وقسم الثانية إلى قسمين أيضا وهما : ما جاء بلفظ الوصية وما جاء بغير ذلك ، وأعقب هذا بنماذج من الوصايا الشهيرة في عالم الأدب مثل وصية أكثم بن صيفي ووصية إعرابية لابنتها عند زواجها وغيرها من الوصايا وكذلك عدد من العهود ونوه لأن أفضلها عهد علي بن أبي طالب لمالك بن الحارث الأشتر حين ولاه مصر . وقد ذكره في في موضع آخر عندما تحدث عن السياسة في الفصل الثاني .ثم أعقبه بعهد أبي إسحق الصابي وقد أتى منه باختيارات طويلة، وبعده وضع وصية عبدة بن الطيب الشعرية لبنيه وقد تضمنت عددا كبيرا من الوصايا .

الباب السادس عشر: في الفخر والمفاخرة كانت مادته بين الآيات والأحاديث والأشعار وقليل من المواقف التي حملت الصفات الإنسانية وما يمت لها بصلة من قريب أو من بعيد ، وهذه الأبواب من السابع وحتى السادس عشر جميعها قصيرة فضمها في مجلد واحد كما أنه لم يتبع فيها نظام التقسيم إلى فصول ، بل كانت عبارة عن موضوعات وأخبار متعددة كتبت متتالية دون عناوين ولا يفصل بينها إلا أرقام التوثيق فقط.

الباب السابع عشر: والذي كان بعنوان **في المدح والثناء ويتصل** به فصلان. نلاحظ هنا أن الحمدوني عاد فيه للتقسيم إلى فصول مرة أخرى وقد ذكر أن السبب في إلحاق هذين الفصلين: "لأنهما في معناه، فالشاكر مثنٍ ، والمعتذر والمستعطف راغب وكلاهما في المعنى راجٍ ومادح[1] وهو سبب مقنع ، ولكن ما السبب في أن يختم الفصول بالنوادر ؟! هذا ما لم يذكره.

وأول الفصلين : في الشكر وثانيهما في الاعتذار والاستعطاف . وكانت مادته ما بين أشعار ومواقف ورسائل تخص المدح، ثم تابع الفصلين بنفس الأسلوب من القصص والأخبار والأشعار، وختم كل مجموعة بنوادر حيث جاء بنوادر قليلة لا تتعدى أصابع

[1] التذكرة الحمدونية ج٤ص٨

اليد في المدح ، ونوادر في الشكر ونوادر في الاعتذار والاستعطاف مخالفا بذلك الترتيب الذي درج عليه في كل أجزاء المصنف حيث كانت النوادر خاتمة للباب وليس الفصل .

الثامن عشر و التاسع العشر تحت عنوان **في المراثي و التعازي** : وقسمه إلى خمسة فصول سادسها كان فصل النوادر. درجها من مراثي الأكابر والرؤساء ثم مراثي الأهل والأخوان، بعدها مراثي الصغار والأطفال، ثم مراثي النساء ولم يوضح سبب كتابة مراثي النساء بعد الأطفال والصغار. وأعقب ذلك بشواذ المراثي التي جمع فيها صفات غريبة في الرثاء، مثل أن يرثى في الميت ترك الزق ، والنشوات وغيرها. أما فصل النوادر فقد جمع فيه رثاء بعض الحيوانات والطيور والمواقف التي تبعث على الضحك في المآتم. وقد خالف ترتيب كتابه مرة أخرى في هذا الباب إذ كان فصل النوادر هو الخاتمة ، ولكنه هنا جاء بأخبار أخرى خلال هذا الفصل _مما جعله يبدو أضخم فصل للنوادر في كل المصنف ، و كان من الأفضل لبعض هذه الأخبار أن يكون مع غرائب التعازي والبعض الآخر أن يلحق مع مادة الباب الأصلية . وأغلب الظن أنه كتب فصلا آخر للنوادر حتى يكون هو الخاتمة ، فكانت خمس نوادر فقط وإحداها بعيدة نوعا ما عن مادة الفصل. وبهذا كان شكل الباب مختلفا تماما عن بقية الأبواب. إذ تجد عنوان :نوادر التعازي والمراثي ، وبعده مباشرة عنوان آخر : نوادر هذا الفصل .

الباب العشرون: بعنوان في **العيادة والمرض وهو** باب قصير إذا ما قورن ببقية الأبواب فهو أقل من عشرة صفحات، وبالتالي لا تحتاج مادته إلى تقسيم.كانت هذه المادة عبارة عن أقوال في العيادة والمرض ، وأنواع العلاج ونوادر الباب وليكون هناك تسلسل في المادة ؛ كان بإمكانه أن يضع هذا الباب قبل باب المراثي .

الباب الحادي و العشرون :جمع فيه ما يخص **المودة و الإخاء و المعاشرة و الاستزارة** في تسلسل منطقي بعد الباب السابق ، حيث ذكر آداب الزيارة بما فيها آداب زيارة المريض .وهو أيضا قصير جمع فيه بين الإخاء والمودة، وميز بين أخوان السوء

وأخوان الخير، وألحق ذلك بفصل في الاستزارة وختم بنوادر الباب .ووضعت الأبواب من السابع عشر وحتى الباب الحادي والعشرين في مجلد معا.

الباب الثاني والعشرون: كان في الهدايا وسمى عناوينه فصولا رغم أن بعضها لا يزيد عن نصف الصفحة تقريبا، فكأنه جعل كل خبر منها فصلا، ثم ختمه بالنوادر كعادته.

الباب **الثالث والعشرون** : في **الهجاء والمذمة** وهذا الباب الوحيد الذي جعل له مقدمات كثيرة عبارة عن أقوال وأشعار تحت عناوين مختلفة، إذ ذكر كيف أنه مرهبة للكريم ومحلبة من اللئيم كما ذكر المقصود من ذكر الهجاء ثم توالت موضوعات كثيرة في هذا المعنى امتدت لأكثر من ثلاثين صفحة؛ مقسمة ما بين الهجاء والمذ مة ،ثم ختم بفصل النوادر.

الباب الرابع و العشرون: في **الإغراء والتحريض** بدأه بخطبة لمروان بن محمد يوم الجمل ، ثم أعقبها بمواقف كثيرة في التحريض والإغراء وما نتج عن تلك المواقف من نتائج سعيدة مثل الزواج ومن جانب آخر أتى بمواقف حزينة أسفرت عن القتل وتخللت تلك المواقف الأشعار والخطب والكلمات التي كانت هي نار الإغراء والتحريض.وختام ذلك النوادر الخاصة بالباب.

الباب الخامس و العشرون: في التقريع والتوبيخ كان أشعارا وكلمات توبيخ لبعض الشخصيات التاريخية أمثال الحسين بن علي وعتبة بن أبي سفيان عندما وبخ أهل مصر وبعض المواقف لشخصيات مجهولة وختمه بنادرة واحدة فقط، ثم أعقبها بتقريع عبد الله بن الزبير لأهل مكة.

وفي بعض الأحيان كانت له كلمة قصيرة يمهد بها للباب التالي ويختم بالحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين وحسب الله ونعم الوكيل وهو الباب الوحيد الذي ذيله بهذا الدعاء والتحميد إذ كان يكتفي فقط بإعلان نهاية الباب وعنوان الباب الذي يليه.

الباب السادس و العشرون: في الوعيد و التحذير. بدأه بما جاء في القرآن الكريم **من** آيات التحذير والوعيد واعتمد في مادته على أقوال شخصيات اشتهرت بذلك أمثال إبراهيم بن العباس والحجاج وغيرهما وذكر بعض الأشعار التي لها علاقة بموضوع الباب.

الباب السابع و العشرون: في الأوصاف و النعوت. وهو من الأبواب الضخمة . جمع فيه نعوت الحيوانات و الطيور، و الزواحف، والبشر مثل وصف النساء الجميلات والجواري، كذلك وصف بعض الأفعال مثل رمي البندق والصيد، ووصف الطبيعة من سماء ونجوم وسحاب وليل وصباح وما إلى ذلك، والحرب، والجيش، و القوافي....الخ.

وبعد النوادر ختم هذا الباب بخاتمة تختلف عن كل الأبواب؛ وهي عبارة عن قصيدة طويلة في التحريض كان قد أتى بمقطع قصير منها مع خبره في الباب الرابع و العشرين[1] . وهو باب الإغراء والتحريض وهي فعلا تناسبه، ثم كررها مرة أخرى– بزيادة طفيفة عما سبق– في باب الأوصاف بعيدة عن أوصاف الحرب والسلاح، وما سبقها من نعوت ليس له علاقة بالحرب. ووضعها بعد النوادر الذي عادة هو خاتمة الأبواب وسماها ملحق١ ولم يأت بملحق بعده .ولم يذكر أي سبب لوضعها في هذا الموضع.وهذه الأبواب من الثاني والعشرين إلى السابع والعشرين جمعت في مجلد واحد.

الباب الثامن و العشرون : في الشيب والخضاب قسمه إلى أربعة فصول هي : الفجيعة بالشيب وحلوله ، والرضى بالشيب و التسلي به وما جاء في الخضاب و أخبار المعمرين والفصل الخامس في النوادر المتصلة بهذا الموضوع .

[1] انظر التذكرة الحمدونية ج٥ ص٤٤٧

الباب التاسع و العشرون: في النسيب والغزل سمى فصوله أنواعا و قد عرض فيه عشرين نوعا منها: شدة الغرام والوجد و الإعراض والصد وأوصاف المحبوب وغزل العباد وأخبار من قتله الكمد وغيرها، بالإضافة إلى النوادر.

الباب الثلاثون: في أنواع شتى من الخطب عرض فيه ما يقارب الخمسين خطبة في أغراض متنوعة ما بين سياسية ودينية وزواج وغير ذلك. افتتحها بخطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع عليه الصلاة والسلام، وتلاها بإحدى الخطب التي ألقيت عند موته صلى الله عليه وسلم، ثم عرض نماذج موثقة بأسماء الخطباء أمثال علي بن أبي طالب– وقد أخذ نصيب الأسد – إذ عرض له تسع خطب غير خطب عدد من أبنائه وغيرهم من الصحابة ومن خطب النساء أتى بنماذج للسيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق والسيدة فاطمة بنت رسول الله رضي الله عنهم أجمعين كما ذكر خطبا أخرى لابن طباطبا ، والحجاج بن يوسف والمأمون وغيرهم كثير، ولم يفته أن يأتي برأي الجاحظ في الخطابة عند العرب وغيرهم ثم ختم بنوادر الخطب.

الباب الحادي و الثلاثون :خصصه للمكاتبات والرسائل وتضمن الكثير من أنواعها من الأخوانيه والديوانية من الذين اشتهروا في هذين المجالين أمثال عبد الحميد الكاتب وسهل بن هارون والمبرد وأخريات كتبها مع ذكر مناسباتها منها ما كان في الفتنة أو القتل أو الوصف وغيرها من الموضوعات .ثم ختم بنوادر الرسائل. وهذه المجموعة من الأبواب جعلت في مجلد معا.

الباب الثاني والثلاثون : خصصه **لشوارد الأمثال** و مختلف التجارب التي أدت لها؛ بدأها بالأمثال في ضوء الكتاب والسنة ، ثم تتالت الأمثال في المواقف المتعددة فأتى بما يقارب السبعين مثلا منها. متناولا بذلك معظم مجالاتها فيعد هذا الباب من أبواب المصنف الضخمة.

الباب الثالث و الثلاثون: جعله للحجج البالغة و الأجوبة الدامغة كان تقسيم الباب واضحا، فقد بدأه بخطبة الباب ومقدمته ثم سرد الكثير من القصص والأخبار الكثيرة حيث بدأ من القرآن الكريم والحديث الشريف والصحابة والتابعين وغير ذلك. أما النوادر فقد أكثر صفحاتها إذا قورنت بنوادر الأبواب الأخرى حيث كانت فيما يقارب الثلاثين صفحة.

الباب الرابع و الثلاثون: هذا الباب قليل المادة بدون فصول خصصه **لكبوات الجياد وهفوات الأمجاد**، جعل فيه فصلا خاصا بسرقات فحول الشعراء وسقطاتهم أمثال الفرزدق وذي الرمة ثم جاء بعدها بكبوات بعض الشعراء أمثال المتنبي والشريف الرضي وختمه بالنوادر الخاصة بهذه المادة .

الباب الخامس و الثلاثون: جاء في **أخبار العرب في الجاهلية أوابدهم و غرائب عوائدهم.**

حرص على سرد كل عوائدهم وفعلا إنها لغريبة ، وعديدة وجاء معها بأخبار غريبة أو أكاذيب تتعلق بعدد من الشعراء مثل: تأبط شرا والحادرة والنابغة والأعشى والفرزدق والأخطل وغيرهم. كما ذكر هنا أيام العرب مثل يوم حليمة وذي قار وأخبار مشهورة أخرى مثل خبر الزباء وقصير ولم يذكر نوادر لهذا الباب وهنا انتهى مجلد آخر من مجلدات التذكرة الحمدونية.

الباب السادس و الثلاثون : كان للكهانة و القيافة و الزجر و العيافة و الفأل و الطيرة و الفراسة .

بدأها برأي الإسلام في الطيرة والنهي عنه، وأخبار عن تطير العرب وحسهم في ذلك. كذلك أتى من الأحاديث الشريفة ما يدعم ذلك وبنفس المنوال تابع عن الفراسة والكهانة وكل كلمات العنوان أعلاه أعطاها حقها كاملا من حيث المواقف والأشعار التي تصورها.

الباب السابع والثلاثون : جاء في **اليسر بعد العسر و الرخاء بعد الضر** و قد جمع فيه كثير من القصص التي جاء فيها الفرج بعد الشدة خاصة لبعض الشخصيات المشهورة مثل مسلم بن الوليد والرشيد وحكايات أتى بها من عصره فكانت بمثابة توثيق لتلك الحكايات وختم بنوادر هذا الباب ويعتبر هذا الباب من الأبواب القصيرة

الباب الثامن و الثلاثون: في الغنى و الفقر في تسلسل منطقي تلى ما سبق بهذا الباب. بدأه بآيات وأحاديث و قصص من الصحابة والزهاد والفلاسفة والحكماء ومن ثم الخلفاء والتابعين ولم يترك فقر بيت النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك جاء ببعض الحكم والأقوال وموضوعات أخرى تتعلق بعنوان هذا الباب ثم ختم بالنوادر.

الباب التاسع و الثلاثون :جاء في الأسفار و الاغتراب بعد الآيات والأحاديث وجعل معها أقوال الحكماء وبعض الأشعار في نفس المعنى وأخبار لبعض الشخصيات لها علاقة بالموضوع وأخبار أخرى في فائدة الحركة والسفر واستقبال الرسائل ومواقف الوداع وجاء بفضائل بعض البلدان وحب الوطن وختم بفصل النوادر فكان من قصار الأبواب.

الباب الأربعون : في تنجز الحوائج والحث عليها و السعي فيها بعد خطبة الباب جاء بأحاديث نبوية شريف تدعو لتنجز الحوائج وتحث عليها وعلى السعي فيها ومن ثم كلام لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وللحسن البصري وغير ذلك من كلام الحكماء وتخلل ذلك الحكايات والأشعار وموضوعات متعلقة بإنجاز الحوائج مثل الوعد والانجاز والمطل والسؤال وأخيرا نوادر الباب .

الواحد والأربعون : بالإذن و الحجاب متيسرة و متصعبه . كانت مادته قليلة جدا اختزلها في النهي عن شدة الحجاب والمعاني النثرية التي وردت عنه في شكل حكم أو أقوال وبعض الأخبار والأشعار التي وردت في ذلك، حيث جعلها تحت عنوان منفصل. ونتفق هنا مع المحقق في أنه كان من الأفضل أن يجعله فصلا من فصول الباب الثاني

والذي خصصه للآداب السياسية والدنيوية ورسوم الملوك والرعية، أو أن يبثه بين سطور هذا الباب، أو يجعله فصلا ملحقا كما فعل مع بعض الأبواب، وتكون نوادره في موضعها ضمن نوادر الباب الأصلي .

الباب الثاني والأربعون: اختص بالحيل والخداع المتوصل بهما إلى نجح المطالب والمقاصد. هذا من الأبواب القصيرة جدا، اشتمل على بعض الأخبار وقليل من الأمثال التي جاءت على لسان الحيوان وبعض حيل الحروب والنوادر ولابد أن تضع في باب منفصل على قلتها؛ إذ لا باب يقاربها في مادته.

الباب الثالث والأربعون: اختص بالكناية والتعريض. بدأه من القرآن والسنة وأتى بكنايات متعددة وصفها باللطف، ثم أتى بفتاوى بنيت على الكنايات و التورية ثم أتى بكنايات هي أقرب للألغاز سماها أحاجٍ فقهية ومجموعة متنوعة أخرى من الكنايات، ثم أتى برسالة 'طويلة لابن العميد كان قد كتبها وقد بنيت على الكنايات وموضوعها شمعة فقط، ثم ختم بباب النوادر وكان عنوانه نوادر من هذا الباب وأنواعه رغم أنها نوادر فقط مثلها مثل نوادر الأبواب الأخرى.

الباب الرابع والأربعون: اختص بالخمرة والمعاقرة . بدأه بذكر العناوين التي تضمنها الباب ثم أتى ما له علاقة بالخمر في القرآن والسنة ،وقد أتى بأخبار تحريمها وأخبار من نفذ تركها ترفعا ليس إلا ، وأصولها ومسمياتها وتعليل تلك التسميات و ومدحها وذمها وأوصافها وأخبار معاقريها وغير ذلك من الفنون المتعلقة بها لم يترك الأواني التي تشرب فيها ، والظروف التي صاحبت الجلسات الخمرية وكان هذا آخر الأبواب في المجلد الثامن.

الباب الخامس والأربعون: جاء في الغناء والقيان. خصصه لأخبار وأشعار الغناء والمغنين والقيان ثم أتى على مشاهير المغنين من ذلك الزمان أمثال: يحيي المكي، وعلية

بنت المهدي وممن يحب المغنين أمثال يزيد بن عبد الملك وغيره من ولاة الأمر الذين عرفوا بذلك ورسالة كتبت في وصف دعوة وغير ذلك مما يخص الموضوع وقد جاء هذا الباب شبيها بكتب التراجم.

الباب السادس والأربعون :عنوانه المؤاكلة والنهم والتطفل وأخبار الأكلة والمآكل

في هذا الباب عاد لتقسيم الفصول فجعله في ستة فصول ، اختصت جميعها بالطعام وآدابه وأنواعه، ثم أخبار الجشع والنهم. ومن اشتهر بكثرة الأكل والتطفل والمتطفلين وأتى بنوادر الباب ولم تكن في هذه المرة هي الخاتمة إنما ختم بأسماء هزلية لكثير من الأطعمة وضعها الطفيليون.

الباب السابع والأربعون: جعله لأنواع السير والأخبار وعجائبها وفنون الأشعار وغرائبها. وهو من أكبر الأبواب وأكثرها تنوعاً في الموضوعات والسير والأخبار فأتى بأخبار السيرة النبوية ولكنه لم يحسن ترتيب احداثها حيث أتى بقصة خيمة أم معبد، ثم خبر الشورى ومقتل

الحسين وكثير من الأخبار التي كانت في ذلك العصر. أتى بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعده أتى بخبر عن ظهوره عليه الصلاة والسلام ليعود لخيمة أم معبد مرة أخرى بخبر غاية في الغرابة ، ثم انطلق لأخبار أخرى دون التنبه للتسلسل الزمني حيث يأتي بأخبار متأخرة ويعقبها بأخرى متقدمة عنها في التاريخ وهكذا، ولكنه غطى الكثير من العصور وأخبارها .

الباب الثامن والأربعون: جاء في الملح و النوادر

بدأ هذا الباب بحديث عن النوادر وفوائدها ووضح شرطها بألا تكن سفها، ثم أتى بها من العصور المختلفة التي حدثت فيها. من زمن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ومن الصحابة والتابعين وما بعد عصر التابعين، ونوادر تخص من أشتهر بذلك الفن أمثال أبي

دلامة، وذكر الكثير من النوادر. ورغم أنه جعل لكل باب نوادر؛ لكنه لم يكن ذلك كافيا بالنسبة له. فصنفها في باب منفصل ضخم يفوق المائة صفحة بقليل .عالج فيه النوادر كغيرها من الموضوعات، فكان هذا خاتما لأبواب المصنف الذي حوى تسعة مجلدات غير ما يخص الفهارس. وقد ذكر ابن حمدون أنها خمسين باباً ولعله جعل بعض الفصول إكمالا للخمسين.

أما النقاد فقد كانت لهم عدة آراء في هذا الكتاب ما بين مادح وناقد. فقد قال عنه العماد: "إنه كتاب جمع فيه الغث والسمين والمعرفة والنكرة) [١] قد وصفه المنذري في تكملته بأنه (أجاد فيه وأحسن) [٢]ووافقه ابن خلكان قائلاً :" من أحسن المجاميع يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والأشعار لم يجمع أحد من المتأخرين مثله . . . وهو من الكتب الممتعة[٣] .

وقد جمع إحسان عباس بين هذه الأقوال في قوله: " ليس بين هذه الأقوال فروق ، فهي تترادف أو يكمل بعضها بعضاً ....ولا تناقض هنالك ، والأمر نسبي ، بحسب الزاوية التي ينظر بها الناظر لذلك الكتاب[٤] كما ذكر أن : "ابن حمدون لم يزعم أنه يجمع في كل الاحوال – أجود المختارات من الشعر والنثر – وإنما كان يقيد ما يظنه متصل المعني بالباب الذي يعقده[٥] ولكن ابن حمدون أشار لأنه حاول جاهداً الاختيار . حين قال (لا آلوت جهدا في الاختيار)[٦]

كما وصفه بأنه مصروف عن الاختصار المخل، ولكنه كما ذكرنا نوه لعدم المراجعة والتدقيق ولعله لو قام بهذه المرحلة لاختلف الكتاب عما هو عليه الآن.

أما رأى العماد بأنه جمع فيه الغث والسمين ربما فيه جانب من الصحة حتى لو كانت نسبة ضئيلة؛ فإذا نظرنا لاستشهاده بالأحاديث الضعيفة، مع علمه بها نرى أن فيه بعض الغث.

---

[١]انظر خريدة القصر وجريدة العصر ص١٨٤

[٢]زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري – التكملة لوفيات النقلة - ت د. بشار عواد معروف الرسالة بيروت ١٩٨١ ص٢٢

[٣]وفيات الأعيان ص٣٨٠

[٤]التذكرة الحمدونية ج 1- ص ١٠- ١١

[٥](١-٢) التذكرة الحمدونية ج١ ص ١٠-١١

[٦]االمصدر السابق ج١-٢٣

ولإحسان عباس رأي صريح آخرعن ترتيب الكتاب وتبويبه، فقد كانت ملاحظاته عن التقسيمات في مكانها. وربما كان التبويب أحد الأمور التي كان سيغير منها إذا راجع ما كتب . ولا عذر له الآن فإنها أصبحت حقيقة ماثلة أمامنا.

وكذلك الأبواب التي تحمل الصفات البشرية كان بإمكانه اختصارها لأكثر من ذلك وجمعها في باب واحد بعدة فصول والحال نفسه بالنسبة للباب الحادي والأربعين كما سبق الحديث عنه في الصفحات السابقة .

ونرى كذلك أنه جعل نهاية كل باب نوادر وبالرغم من ذلك جعل للنوادر باباً منفصلا لايختلف البتة عما ذيل به أبواب التذكرة معظمها إلا ما كتب عن موضوع النوادر.

كما أنه ذكر أسلوبه في ختم الباب بالنوادر ولم يلتزم بذلك كل الالتزام ، أضف إلى ذلك عدم تنبهه للتسلسل الزمني ، أو التصنيف الدقيق للأخبار حيث يذكرها ثم يقول عودة لكذا وكذا فأعطى بذلك انطباع بعدم الترتيب .

أما من ناحية أنه ممتع كما قال ابن خلكان فهو كتاب ممتع حقاً يأخذ ك بين سطوره حتى تفرغ منه، ولا تمله إذا أعدت قراءته، ونرى أن هذه الملاحظات جميعها ملاحظات فنية كان بإمكانه التغلب عليها والانتباه لها لو كانت نفسه هادئة مطمئنة. ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن .

الفصل الرابع

منهج الحمدوني وأسلوبه في الكتابة:

عرف الحمدوني بالفصاحة والمعرفة التامة بالكتابة والأدب ولكن قبل أن نتتبع أسلوب كتابته؛ يجدر بنا أن نذكر أن كتابه اعتمد على الجمع أكثر من التأليف مما يخفي ملامح أسلوبه الخاص والمباشر. ورغم ذلك فقد جعل كتابه فنونا أجاد فيها وحاول جهده في تصنيفها وترتيبها في فصول وأبواب .

وقد وصف كتابه في مقدمته بأنه أخذ من درر النثر، ومختار النظم، وجمع فيه عيون البلاغة وبديع الحكم وغريب الحديث[١] وهذا جهد يحمد لصاحبه، فإنك تجد النثر والنظم ، والحكم والأمثال وغير ذلك من موضوعات اللغة المتعددة.

وفي حديثه عن نفسه وفي الخطب التي افتتح بها أبواب المصنف تظهر خصائص أسلوبه في الكتابة فقد أجاد استخدام صفة عصره وهي السجع، فقد كان سجعه مطبوعا جميلا أعطى للكلام نغمة موسيقية سلسلة.

أما شخصيته لم تظهر في كتابه بمختلف أجزائه التسعة فلم تظهر فيها شخصيته إلا في مقدمات الأبواب، لأنه كما أسلفنا لم يكن الكتاب من لبنات أفكاره إنما كان إعادة سرد لأفكار غيره. وظهوره القليل ذلك جاء في مصادره سالفة الذكر من السماعات والمشاهدات دون أن يذيل ذلك بتعليق أو يدلي فيها برأي صريح إلا لماما.وحتى هذه المرات كانت قليلة ما عدا تعليقه على عهد علي بن أبي طالب والذي سبق الحديث عنه، والذي تشعر في حديثه بالثقة التامة فيما يقول .

انتهج الحمدوني في بداية كل باب من أبواب الكتاب ان يبدأ بمقدمة موجزة يسرد فيها الخطوط العريضة لذلك الباب مثل (هذا باب نذكر فيه ما جاء في استحباب الهدية والندب إليها، وموضع كراهيتها والمنع من قبولها،ويحسن إهداؤه منها ويجمل موقعه.....) [٢] كي يفهم القارئ ما الذي سيدور في الصفحات التالية لذلك الموجز، ومعظم تلك المقدمات لا تتعدى الأسطر السبع تقريبا . كما أنه يكثر فيها من قول: وما توفيقي إلا بالله.

---

[١] التذكرة الحمدونية ج٥ ص٨

[٢] المصدر السابق نفس الصفحة ص٨

وبعض الأبواب يبدأها بخطبة أساس جملها السجع والكلمات المؤكدة بالمترادفات ؛ مثل أعود على نفسي بالتوبيخ والتعنيف لما أطمأنت إليه من التعليل والتسويف)[1]ومن منهجه أيضا حرصه على أن يبدأ الأبواب بما يقرب معانيها للقارئ فذكر أن الكنايات لها مواضع، كما شرح أحسنها بأنه العدول عن الكلام الدون إلى ما يدل على معناه في لفظ أبهى ومعنى أجل ومن ثم تابع حديثه في شرح الكناية ولا يخلو ذلك من النقل عن المصادر الأخرى، وقد صرح بذلك في مقدمته عندما قال : جمعت هذا الكتاب ....فهذا تصريح بأنه جمعه جمعا ولا غضاضة ذلك.

ومن كتاباته أن يدلي بتعريف قصير للمصطلح الذي يريد استخدامه " التعريض هو العدول عن التصريح إلى الكناية والإشارة)[2] ومن ثم يوضح ما له علاقة بما سيأتي به في الأسطر "إنما يتعلق بهذا الفصل ما عدل به صريح الذم إما إبقاء وأما مراقبة[3] فنجد التعليل لاتباع هذا الأسلوب، وأحيانا يتحدث عن عنوان الباب بأسلوب أدبي راقٍ " النوادر رواحه وبها للمكدود استراحة ، ولا سيما إذا أثقله عبء الجد وعاد باحتماله كليل الحد)[4] . وفي جمله المسجوعة هذه ذكر فوائد النوادر خاصة عندما يكون الإنسان في حالة نفسية في حاجة للترويح والترفيه .

وقد شرح منهجه ذلك باختصار من حيث بدء كل باب بالذكر الحكيم وختمه بطرف من النوادر والملح؛ ليستريح إليها اللغب الطليح من كلال الحد ويأمن معها الدأب الحريص من ملال الجد خلا بابي الافتتاح والخاتمة فإنهما لله خالصان للإنقاذ من هفوات القلب واللسان مؤملان)[5] فترك النوادر في بابي الافتتاح تنزيهاً لهما عن ذلك ، والخاتمة كانت هي النوادر عينها . ولكنه لم يلتزم بذلك كما أدعى حيث أن هناك أبوابا لم يختمها بالنوادر وغيرها لم يفتتحها بالذكر الحكيم وقد سبق توضيح ذلك في وصف تبويب الكتاب.

كما أنه وصف أسلوب جمعه حيث أنه نتائج الأفكار وطرف الأخبار والآثار ونوه لأنه منقول " فإني نقلته والقلب عليل والخاطر كليل[6]

---

[1] التذكرة الحمدونية ج ١ ص٢٠٧

[2] المصدر السابق نفسه ص ٢٠٦

[3] المصدر السابق ص٦٢

[4] المصدر السابق ج ٩ ص٣٦٢

[5] المصدر السابق ج١ ص ٢٣

[6] التذكرة الحمدونية ج ١ ص٢٤

ونعت مصنفه بعدة صفات منها أنه مصروف عن الإسهاب الممل . .. ومصدوف عن الاختصار المخل ..و خير الأمور الوسط[1].

فقد جعله وسطاً وقد جاءت أخباره فعلاً ما بين القصير السريع، والطويل غير الممل مثل قصة وفاة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام التي حوت ما يقارب الخمس صفحات، وتخللتها الكثير من المعلومات القيمة دون أن يذكر لها مصدراً.

جاءت بعض الرسائل والمكاتبات والخطب طويلة مثل خطبة السيدة فاطمة الزهراء والسيدة عائشة رضي الله عنهما في مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، وكتاب المنصور إلى محمد بن عبدالله بن الحسن[2] وأحيانا تأتي أخباره دون تسلسل منطقي مثل أن يأتي بخبر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ويسهب منه تم يعقبه بخبر ظهوره ، وعديد من أخبار نبوته بعد ذلك .

ومن أسلوبه كذلك أن يورد الشخصيات ومعها نبذة قصيرة جداً تكاد لا تفي بحق الشخصية التي تحدث عنها، ولا يعطي لها ترجمة بل يذكر بعض الصفات مثل كان أبو العباس السفاح . يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضاً)[3].. الخ

أما بالنسبة للشعراء فقد كان يكتفي بذكر الشاعر دون تعريفه، أو ذكر نسبه فقط أو بلده شئ من هذا القبيل، ولكنه كان حريصا معظم الأحيان على إسناد كل شعر لشاعره ، واكتفى في بعض الأحيان بقال الشاعر وقد أفرد لكيفية توثيق الشعر لديه فصلاً .

كما أنه يذكر قطعا شعرية ويسندها لشاعرها، ولا توجد في ديوانه أو يذكر شاعر ويكون الشعر لغيره دون أن ينوه لذلك.ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج (من الرجز)

إذا تميمٌ زخــرت تدفَّع	***	كالبحر يزفيه العباب المترع
عاذوا بأحلام لهم فأوسـعوا	***	وما افترشنا أرض قوم أمرعوا
إلا تركنا أرضهم تصـدَّع	***	كأننا فيها الجراد الجُوَّع

فهذه القطعة الشعرية مثلا لم ترد في ديوان رؤبة بن العجاج ولكن هناك أرجوزة على رويها[4]."

---

[1] التذكرة الحمدونية ج١ ص٢٤

[2] المصدر السابق نفسه ج٣ ص٤١١

[3] المصدر السابق نفسه ص٤١١

[4] ديوان رؤبة بن عجاج – اعتنى به وصححه وليم بن الورد البروسي- دار قتيبة ص ٥٩

أو أن يأتي بشعر أثبت فيه بيتاً أو بيتين لم توجدا في الديوان مثل قول الفرزدق :

وركب كأن الريح تُطلُبُ عندهم *** لها تِرةٌ من جذبها بالعصائب

فقد ذكرها الحمدوني في خمسة أبيات ولم يثبت البيت الخامس في ديوان الفرزدق . كما أن الكتاب به الكثير من الأشعار والأقوال التي نسبها لأكثر من مصدر ومن ذلك قوله:-

كتب الحكم بن عبدالرحمن المرواني من الأندلس :

ألسنا بني مروان كيف تبدلت *** بنا الحال أو درات علينا الدوائر

إذا وُلِد المولود منا تهللت *** له الأرض واهتزت له المنابر .

فالأبيات من شعر محمد بن عبد الملك حفيد عبدالرحمن الناصر ونسبت لغيره) ومن النثر قول علي رضي الله عنه: أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع وأن الآخرة قد أشرفت وبإطلاع ... ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، وألا وأنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل ، ، ومن لم يستقم به الهدى يجر به الضلال.. الخ..جزء من هذا القول نسب للرسول عليه الصلاة والسلام "لم أر كالجنة نام طالبها " والجزء الآخر جاء في مصدر آخر كتابا مرفوعا وموقوفا) [1] وقد نوه الحمدوني لهذه القضية في بداية الفصل الثاني من الجزء الأول، ووضح أن الرواة اختلفوا فيما جاء من الآداب والمواعظ اختلافا شديدا و نسبوا فقرا تداولها الناس تارة إلى الرسول وتارة أخرى إلى أهله وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين. ومع ذلك التنويه أورد الحمدوني بعض الأسباب التي تؤدي لذلك عندما استدل بدقة الرضي أبا الحسن الموسوي في كتاب نهج البلاغة ومع دقته نسب بعض الكلام إلى غير قائله[2] فقال: "ربما كان أحدهم يذكر الكلمة رواية أو تمثلاً عن آبائه فيفصل الراوي الإسناد ، وقد يقع التوارد في الكلمة الواحدة ولعله محق في ذلك ، فإذا وقفنا عند جهود المحققين للكتب والاختلاف الذي يظهر، أو

---

[1] التذكرة الحمدونية ج١ ص٤١٠

[2] أنظر قول الرسول (ص) في التذكرة الحمدونية ج١ص٥٦

الكلمات التي تسقط بفعل النساخ لوجدنا ذلك ماثلا أمامنا دليلا قويا على صحة رأي الحمدوني .

والحمدوني لم يكتف برأيه فقط إنما أورد رأي على بن أبي طالب عندما سئل عن ذلك .

"روي أن علياً عليه السلام سئل عن سبب اختلاف الناس في الحديث فقال : الناس أربعة : رجل منافق كذب على رسول الله متعمداً ، فلو علم أنه منافق ما صدق ولا أخذ عنه ، ورجل سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول قولا أو رآه يفعل فعلا ثم غاب ونسخ من قوله وفعله ، ، فلو علم أنه نسخ ما حدث ولا عمل به ... ورجل سمع رسول الله صلي الله عليه يقول قولاً فوهم فيه فلو علم أنه وهم ما حدث ولا عمل به. ولو علم الناس أنه نسخ ما قبلوا منه ولا أخذوا عنه، ورجل لم يكذب ولم يهم ، وشهد ولم يغب وإنما دل بهذا على نفسه[1] فقد أدلى بشهادة على رضي الله عنه بذلك العمق وكل يأتي بالحديث لشئ في نفس يعقوب ، وفي الجميع وجود الوسيط بين صاحب القول وغيره وغاب عن ذلك الوسيط التوثيق الكتابي في لحظته لسبب أو لآخر فأعطى المجال لأن يأتي النص مغايرا ولو قليلا عن الأصل.

وقد علل الحمدوني سبب إيراده للأقوال المسندة بطرق مختلفة وكأنه يبعد المسؤولية عن كاهله أو كأنه يقول إنه ليس أول من قام بذلك وإنما وجده بهذا الإسناد .

أما الأشعار المنسوبة لأكثر من قائل فقد برأ كذلك ساحته بأنه بذل جهده والمسؤول هو الراوي وذلك في معنى حديثه إن حقق القارئ هذا الكتاب ووجد نقلا مختلف في بعض الكلمات فالعهدة فيه على الرواة ، وإنه لم يأل في بذل الاجتهاد مع شدة تناقض أرباب الإسناد ، وليس ذلك بقادح فيه ، إذ المقصود . المذاكرة بعينها، لا نسبته على قائليه. ولكن أين ذهب حفظ الحقوق الأدبية ، واثبات الملكية الفكرية لصاحب القول، رغم أن الأدباء من غير الحمدوني قد كان لهم رأي مشابه وإن دل تنويه الحمدوني على شئ إنما يدل على يقظته لما يقرأ وينقل.

---

[1] التذكرة الحمدونية - ج 1 ص ٦٣- ٦٤

فقد ذكرنا أن الأبيات من شعر محمد بن عبدالله حفيد عبدالرحمن الناصر ونسبت لغيرهما[1] وغيرها من الأبيات التي ذكرت لأكثر من شاعر وسيأتي تفصيله في الجزء الذي يخص توثيق الشعر.

وقد يأتي بأكثر من موقف لشاعر واحد مرفقاً إياه بالشعر الذي ولد من تلك التجارب مثل تلك المواقف التي حدثت مع الفرزدق أحدها مع مروان بن الحكم وأرفقها بالشعر الذي قاله وثانيها مع إحدى نساء بني عقيل ، وكذلك الشعر الذي رافق تلك التجربة وهكذا أورد له العديد من المواقف وكأنه يخبر ببعض الجوانب من حياته .وكذلك يأتي بالخبر بأكثر من رواية وذلك مثل ما حدث مع سديف مولى آل أبي لهب والسفاح وما نتج عن ذلك الشعر من قتل من كان موجودا مع السفاح من بني أمية[2] وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه .

وقد يتناول الشاعر ويكثر منه حتى يكرر ومن قوله أو، وقال حتى تنصرف الصفحة والصفحتان دون أن نجد لذلك فاصلا أو تنوعا أو تصنيفا لموضوعات تلك الأبيات. مثل أبيات الفرزدق وجرير وابن الرومي والبحتري وأبو تمام[3]

وله حشو يتخلل مادته أحيانا أويذكر الأبيات أكثر من مرة ومن ذلك أبيات العلوي البصري التي كررها أكثر من مرة .

يلقي السيوف بوجهه وبنحره *** ويقيم هامته مقام المغفر

فهو الذي لديه ما لديه من الأبيات الشعرية والمراجع وبإمكانه أن يأتي بأبيات مختلفة . كذلك التكرار من الناحية النثرية كان يأتي بالمادة نفسها أكثر من مرة مثل عهد علي بن أبي طالب الذي ذكره في الباب الخاص بالآداب الملكية كما ذكره في الباب الخاص بالعهود والوصايا. ومن الأشعار فقد كتب أبيات العلوي صاحب الذنج في الجزء الثاني من التذكرة باب البأس والشجاعة ثم كررها في الجزء الثالث الفصل الخاص بأقسام العرب .

---

[1] انظر التذكرة الحمدونية ج٣ ص٤١٠

[2] التذكرة الحمدونية ج٥ ص١٢٧ و١٩٩

[3] انظر التذكرة الحمدونيةج٧ ص٢٩٧

ومن أسلوبه أيضا تداخل أكثر من موضوع معاً دون التمهيد للانتقال من واحد للآخر خاصة في الأحاديث النبوية من الباب الأول فلم يكن هناك تصنيف للأحاديث مثل : " لا يكمل عبد الإيمان حتى يكون فيه خمس خصال: التوكل على الله، والتفويض" [١] إلى الله ... الخ، ويكون الحديث الثاني عن حلق الذكر والثالث عن القناعة دون رابط واحد بينها وهو الذي من المفترض أن يكون قد بنى كتابه على التصنيف والترتيب.

ويجمع أحيانا بين حديثين يربط بينها العطف مثل المؤمن من أمنه الناس والمسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده.....الخ[٢] "

و في الفصل الذي عنوانه من كلام الرسل صلوات الله عليهم أجمعين، خلط بين كلام الرسل مع ما قاله الصحابة عن النبي عليه الصلاة والسلام. مثل قال عمر رحمه الله ما اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم أدمان إلا أكل أحدهما وتصدق بالآخر وقد ذكر قبله وبعده كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضاً حديث السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته ليلة النص من شعبان إذ ضمن هذا الفصل كذلك كلام سليمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤلفة قلوبهم [٣].

والملاحظ على هذه الأحاديث أنها وبمختلف مراتبها متون بدون إسناد حيث يكتفي فقط بقال عليه الصلاة والسلام، أو من كلامه صلى الله عليه وسلم وغيرها؛ مما أوقعه في شباك الخلط بين أحاديثه صلى الله عليه وسلم وأحاديث غيره.

كما خلط بين الأحاديث الضعيفة والصحيحة والموضوعة) [٤] ; كما تخللت بعض أحاديثه عليه الصلاة والسلام كلام للسيد المسيح عليه السلام ،ومن المفترض أن يكون كلامه عليه السلام في الصفحات الخاصة بكلام الأنبياء. عموما كان الكتاب غنيا بالمادة التي استقاها من الأحاديث النبوية .

---

[١] انظر التذكرة الحمدونية ج١ ص٣٧

[٢] المصدر السابق نفسه ص٤٣

[٣] انظر المصدر السابق نفسه ص ٥٠-٥٢-٥٦

[٤] انظر المصدر السابق نفسه ص٣٧

الفصل الخامس

أثر كتب المحاضرات السابقة في كتاب التذكرة الحمدونية

جاء كتاب التذكرة متأخرا قليلا إذ سبقه مؤلفون في هذا النوع من الكتب واختلفت جهودهم باختلاف ساحاتهم التي طرقوها، وتخصصاتهم التي صنفوا كتبهم على أساسها مما يسر الطريق بعض الشيء أمام الحمدوني ووفر له المادة التي اختار منها مصنفه . فكانت تلك الكتب بمثابة نبراس أضاء له دربه و جعل تلك الكتب لبنات لفصول كتابه وأول تلك الكتب هو كتاب المحاضرات في الأدب واللغة للحسن بن سعود اليوسي المتوفى عام 102 هـ والذي كان بداية لهذا الفن – أدب المحاضرات سبق الحمدوني وتأثر به في كتابه، فنهل من محاضراته وأخذ من أفكاره قصصا وغيرها فهو رائد أدب المحاضرات فأثر في كل من أى بعده من كتاب هذا الفرع من شجرة الأدب.

ومن تلك الكتب كتاب المحاسن والأضداد أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ المتوفى عام 255هـ وقد اعتمد في كتابه على نسق التضاد وأتى من بعده على هذا المنوال كتاب المحاسن والمساوئ والذي ألفه البيهقي المنوفي عام 320هـ مستفيدا من الجاحظ الذي جعل التضاد الموضوع الذي بني عليه الكتاب. ليأتي الحمدوني في عصره ويفيد من هذه الفكرة التي اتضحت في البابين السابع والحادي عشر ومن بعدهما الثاني عشر والتي كان أساسها التطابق عندما جمع المادة التي تخص الصفات الإنسانية مثل الصدق والكذب والعدل والجور وغيرهما من الصفات التي أوردها بنفس الفكرة بالإضافة للمادة التي أخذها منه حفظا لحقه واعترافا بفضله[1].

أما كتاب عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى 276هـ فقد أفاد منه ابن حمدون في تصنيف الكتاب الذي يشمل أكثر من موضوع، فقد جعل كتابه فصولا كل منها يختص بموضوع مستقل عن الآخر وكان كتاب التذكرة الحمدونية كذلك

[1] انظر التذكرة ج٣ ص١٧٧

بالإضافة للأخبار التي أخذها منه مباشرة [1] وحتى يحفظ لنفسه بعض التميز فقد اختلف عنه في ترتيب الأبواب التي خصصت للأخلاق الإنسانية التي جعلها ابن قتيبة معا وفصلها ابن حمدون عن بعضها البعض.

أما كتاب العقد الفريد لابن عبدربه المتوفى عام ٣٢٧هـ بترتيبه المتمايز من الكتب التي سبقت كتاب التذكرة فهو كتاب حوى الجواهر الأدبية والتاريخية والشعرية. ولابد لكل قارئ للأدب أن يفيد منه ومن مجالاته العديدة هذه وكذلك الحمدوني فيه قرأ ومنه أخذ العديد من الموضوعات وقلما يخلو جزء دون أن يذكر كتاب العقد الفريد ليكون مصدرا أساسيا من مصادر التذكرة الحمدونية[٢] خاصة في الباب الرابع والعشرين في الفصل الخاص بالتعريض.

أما الكتاب الذي اعتمد عليه الحمدوني كثيرا فهو كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني المتوفى عام 356 هـ ويظهر ذلك في معظم أجزاء التذكرة خاصة الباب الخامس والأربعين والذي دار حول الغناء والقيان. أورد فيه الكثير من أخبار المغنيين والقيان واختار قصص ابن جامع وإبراهيم بن المهدي ، ومخارق واسحق الموصلي وغير ذلك من الأخبار التي وردت في كتاب الأغاني فتجد فكرة الباب بالإضافة لما فيه من حكايات وأشعار جميعها استقيت من هذا المصدر، فتكاد تجد مادة هذا الكتاب في كل فصل من فصول التذكرة الحمدونية، ولا غرابة في ذلك فهو المصدر الأم لكل ما يخص الأغاني.

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي بن على المحسن بن علي التنوخي المتوفي سنة 384هـ ، هذا النشوار عطر السنوات التي سبقت التذكرة بأخباره الكثيرة التي راعى فيها السبق، وحرص على ألا يكتب ما سبق إليه وكان هو المصدر لابن حمدون في الأخبار التي استقاها منه . وكذلك كتابه الفرج بعد الشدة أفاد من قصصه كثيرا خاصة الباب السابع

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٩ ص٤٢٤

[2] المصدر السابق نفسه ج3 ص٣١٥

والثلاثين الذي كان عنوانه اليسر بعد العسر والرخاء بعد الضر، فقد عنونه بكلمات أخر ولكنها تعني الفرج بعد الشدة، وقد وثق الحمدوني ما أخذه من هذا الكتاب . وكذلك أفاد من كتابه المستجاد من فعلات الأجواد في كثير من أخباره وحكاياته التي تحمل الصفات الإنسانية الحسنة والأخلاق الكريمة ، خاصة في الباب السادس عشر والذي خصصه للسخاء والجود وجاء فيه بعدد التصرفات التي تدل على صفة الكرم والكرماء أمثال الحسن بن علي وغيره .

كتابا الإمتاع والمؤانسة والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي المتوفى عام 400 هـ كذلك من الكتب التي أفادت الحمدوني في مادته وقد عقد إحسان عباس مقارنة بين كتاب التذكرة وكتاب البصائر و الذخائر من حيث الافتتاحيات بالدعاء في كل باب، فوصف أدعية أبي حيان بأنها جميلة وأدعية الحمدوني عادية ودلالة على محتوى الباب. ولعله محق في أن ابن حمدون جعل هناك علاقة بين أدعيته وبين محتوى أبوابه . كما أن الحمدوني أفاد من الأخبار والحكايات في كتاب أبي حيان الثاني – الإمتاع والمؤانسة – خاصة في ختم الأبواب بالنوادر إذ سبقه أبي حيان في ختم كل ليلة بنادرة ، فجعلها الحمدوني فصولا فيكون عدد نوادره أكثر من نوادر أبي حيان التي لم تتعد الأربعين على حسب ليالي كتابه.

كتاب محاورات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للحسين بن محمد الملقب بالراغب الأصفهاني والمتوفى عام 402هـ في بعض الكتب. كذلك من الكتب التي تأثر بها الحمدوني في كتابه وهو عبارة عن عدة موضوعات متعددة كما في التذكرة الحمدونية ، وأيضا كان مصدرا لبعض الأخبار التي أتى بها ابن حمدون في تذكرته فهي كثيرة جدا فقد تجد في الصفحة الواحدة أكثر من خمسة أخبار استقيت جميعها من محاورات الراغب.

أما كتاب نثر الدر لأبي سعد منصور بن الحسن الآبي المتوفى عام 421هـ فقد جعل الآبي جزءا مخصصا للهزل في كل فصل عدا الفصل الأول الذي يخص الصحابة.

وكذلك فعل الحمدوني في نهاية كل فصل عدا الفصل الذي نزهه عن ذلك وهو الفصل الذي كانت مادته القرآن وموضوعاته جزء من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين وهذا هو الفصل الأول أيضا في تذكرة ابن حمدون .وقد نوه إحسان عباس لأن السبب في هذا هو الميل الشيعي لدى كليهما. وهو محق في هذه المعلومة فلم يكن تقديم علي بن أبي طالب في كتاب التذكرة الحمدونية على غيره من الصحابة خافيا على من يقرأ هذا الكتاب. خاصة الفصل الأول والفصل الذي خصصه للخطب والفصل الذي جعله للعهود والوصايا. بالإضافة لقوله بعد ذكر علي رضي الله عنه: عليه السلام في بعض الأحيان .

كذلك كتاب أدب الدين والدنيا لأبي الحسن الماوردي البغدادي المتوفى عام 450هـ حيث عرض الكثير من علوم الدين والدنيا والنفس والعقل ليفيد منها الحمدوني كذلك كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري ، وهو في نفس المجال .

البخلاء والتطفيل كتابان لأبي بكر أحمد بن ثابت البغدادي المتوفى عام 463هـ من المصادر التي قرأها الحمدوني، وأخذ من مادتها خاصة التطفيل، إذ كون فصلا من المادة المختارة التي حوت قصص التطفيل والطفيليين وذلك جليا في الباب السادس والأربعين من أبواب التذكرة الحمدونية كما تخللت مواقف وقصص البخلاء صفحات كتاب التذكرة في الأبواب المتقدمة التي تحدث فيها عن صفات الإنسان، ومن بينها صفة البخل وما تضمنها من تصرفات البخلاء وكان الكتاب أعلاه من مصادره.

كتاب الهفوات النادرة من المعقلين الملحوظين والسقطات البادرة من المغفلين المحظوظين لغرس النعمة أبي الحسن الصابئ المتوفى عام 480هـ هذا الكتاب المتفرد بموضوعه، كان لابد أن يكون من المصادر التي قرأها الحمدوني وتأثر بها،إذ لا مصدر يحمل مثل هذه الحكايات غيره، وكاتب مطلع مثل أبو المعالي لا يترك مثل هذا المصدر

دون ان يجعل من موضوعاته إضافة لتذكرته، والباب الرابع والثلاثين بعنوان كبوات الجياد وهفوات الأمجاد لأكبر دليل على ما أفاده ابن حمدون من كتاب الهفوات النادرة .

من الكتب التي كانت قريبة من عصره؛ كتاب الأذكياء من الفقهاء والمفسرين والرواة والمحدثين والشعراء المتأدبين والكتاب والمعلمين والتجار والمنتسبين، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى عام 597 هـ إذ نجد آثاره في الفصل الذي سماه الحمدوني الحجج البالغة والأجوبة الدامغة والذي تابعه بدءا من القرآن وذكربعد الشاهد القرآني؛ بعض مواقف الصحابة وغيرهم ممن كانت له سرعة البديهة في المواقف التي تعرض لهم، فأفاد منه كما أفاد من غيره .

أما كتابه أخبار الظراف والمتماجنين فقد جعله للظرف وتعريفه وحكاياته ، ولم تخل أبواب التذكرة عن مثل هذه الأخبار ، التي بثها في صفحات تذكرته مرفقة بأشعار المجون التي لم يترفع عنها ابن حمدون، معتبرا إياها مادة تضيف لكتابه أخبارا ، وتصور وجها من وجوه العصر العباسي وظاهرة من ظواهره، وكذلك لم يكن من ضمن خصائص منهجه أن يبتعد عن مثل هذه الأخبار، فنقلها كما وجدها بمفرداتها الماجنة سواء كان بين أسطر الفصول أو من ضمن نوادر الباب.

الفصل السادس

الكتب التي أثر فيها كتاب التذكرة الحمدونية:

كان لابد لكتاب مثل التذكرة أن يكون متأثرا بما سبقه ومؤثرا فيما لحقه من كتب ومن المؤلفات التي أثر فيها كتاب التذكرة والتي تأخرت عنه لم تكن بالكثيرة مقارنة بالكتب التي سبقته ومن تلك الكتب لباب الآداب أسامة بن منقذ المتوفى سنة 584هـ فقد كان هذا الأمير كاتبا وشاعرا مطلعا ، كان كتابه ثمرة هذا الإطلاع الواسع ويكفيك عنوانه فهو لباب الآداب وثمرتها ، وجاء من الكتب المشابهة لكتاب ابن حمدون في جمعه عدة موضوعات ورتب في شكل أبواب وفصول كما التذكرة الحمدونية.

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار محي الدين محمد المعروف بابن عربي المتوفى عام 638هـ فهو من الكتب التي رأت النور بعد كتاب التذكرة الحمدونية ؛فقد جمعه صاحبه بجهد كبير من الاطلاع على عدد من المؤلفات التي سبقته حيث وجد الكتاب ومن ضمنهم الحمدوني قد جمعوا المادة واختاروها من عشرات الكتب، فاستفاد منها في موضوعاته من مواعظ وأمثال وأخبار سائرة وسير الأولين من الأنبياء وأخبار ملوك العرب والعجم ، ولكنه اختلف عن الحمدوني في إبعاد الهجاء عن مصنفه في الوقت الذي جمع الحمدوني الكثير من الأخبار التي صاحبتها أشعار الهجاء، وعدد من عباراته النثرية التي تحمل معناه مخصصا له فصلا قائما بذاته تحت عنوان الهجاء والمذمة.

كتاب ريحانة الأدب لأبي الحسن علي بن موسى الأندلسي المتوفى سنة 673 هـ كذلك نحى نفس منحى الكتب التي سبقته في جمع عيون الأخبار ومستحسنات الأشعار، ومختارالقصص والحكايات في مختلف الموضوعات، ومن يقوم بهذا الجهد لابد أن يكون قد اطلع على ما سبقه من كتب أمثال التذكرة الحمدونية .

ثمرات الأوراق لأبي بكر بن علي عبد الله التقي الحموي المتوفى سنة 837هـ من الكتب التي ولدت بجهد صاحبه بعد كتاب التذكرة الحمدونية مستفيدا منه في المادة التي اختارها قبله الحمدوني، لينقيها وينتقيها الحموي ويقدمها لذواقة الأدب .

كتاب **محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر** ، مختصر للشيخ علي دده والذي فرغ منه في عام ٩٩٨هـ ، جاء تقسيمه إلى أبواب وفصول وهو من الكتب التي ولدت متأخرة بعد كتاب التذكرة الحمدونية الذي يعد بالنسبة له من أمهات كتب المحاضرات .

من الكتب المتأخرة جدا عن كتاب التذكرة الحمدونية : كتاب **المخلاة** لمحمد بن حسين بن عبد الصمد بن محمد العاملي الحارثي الهمداني المتوفى عام ١٠٣١ هـ والذي أفاد من أخبار الكتب التي سبقت بما فيها كتاب التذكرة فأخذ منها القرآن وتفسيره والأحاديث النبوية ، والنوادر، والأقوال،والحكم والأشعار والمواعظ ومعاني المفردات وغير ذلك مما وجد في المصادر قبله . ولكنه خالفهم في ترتيب المادة التي رمى بها داخل غلافي الكتاب دون ترتيب ، أو تبويب أو حتى فهرسة إذ تنظيم قوائم لمثل هذا الكتاب من الصعوبة بمكان ، ولكنه حقق بذلك المعنى الذي اختاره عنوانا لكتابه.

أما النويري في كتابه نهاية الإرب قد صرح بأخذه من التذكرة الحمدونية ، مما يدل على أن التذكرة الحمدونية كان كتابا متفاعلا مع الكتب التي قبله ، والتي ساهمت في أن يرى النور، ويجد مكانة مميزة بينها كما أنه بنى جسور التواصل مع الكتب التي أتت بعده ، مادا لمؤلفيها يد العون بما جمع من مادة .

الفصل السابع

التذكرة الحمدونية وصناعة الدواوين المفقودة

معظم الأشعار المفقودة هي التي قيلت في وقت لم تعرف الكتابة بعد، واعتمد الشعراء على ذاكرتهم القوية في المحافظة على ما يولد لديهم من قصائد، ومن ثم يودعونها ذاكرة الرواة، فتحمل هذه الذاكرة الأشعار كلها والتي كانت قصائد طويلة غالبها ، وذاكرة تحفظها من باب أولى أن تحفظ قصار الأشعار . ولم تقف الصناعة على هذا العصر فقط، بل ظهرت في التذكرة الحمدونية أشعار لشخصيات في زمن عرف الكتابة ولكن لا دواوين معروفة لهم ، مما يدل على أن للتذكرة دورا قامت به مع أمهات الكتب في إيصال هذا الشعر لنا مرورا بالعصور التي تلت تلك الكتب .

ووجدت هذه الأشعار مبثوثة في ثنايا الكتب القديمة مما يدل على أن صناعة ما قد تمت لدواوين فقدت لسبب أو لآخر، وجعلت من بين تلك السطور ولم يترك غرضا شعريا لم يوجد في أمهات تلك الكتب؛ ومن ذلك شعر لمساور الوراق وهو يوصي ابنه (من الكامل) قائلا:

شمر قميصك واستعدِّ لقائل *** واحكُك جبينك للشهود بثوم

واجعل صحابك كل حَبْر ناسك *** حَسَن التعهد للصلاة صؤوم

وعليك بالغنويِّ فاجلس عنده *** حتى تصيب وديعة ليتيم

وقد نوه لأن مساور الوراق قليل الشعر. وربما يكون هذا أحد الأسباب التي أدت إلى عدم وجود دووابن،مما يوفر الفرصة لصناعة أشعار تنسب لأكثر من قائل؛ إذ ذكرت لمحمود الوراق وذكرها الحمدوني لمساور. ومن ذلك أيضا :

هذه القطعة الشعرية التي قالها أبو الأسود الدؤلي مظهرا جفا صديقا له:(من الطويل)

ألم تر ما بيني وبين ابن عامر *** من الود قد بالت عليه الثعالب

وأصبح باقي الودِّ بيني وبينه *** كأن لم يكن والدهر فيه عجائب

إذا المرء لم يحببك إلا تكرُّها *** [1] بدا لك من أخلاقه ما يغالب

وقد ذكرت في عدد من الكتب مثل الصداقة والصديق وربيع الأبرار والأغاني و ذكرت لعمرو ابن الأهتم ولكنها موجودة في ديوان أبي الأسود.

وجاء في التذكرة لسعيد بن المسيب نقلا عن الأغاني:(من الطويل)

وليست كأخرى وسَّعت جيب درعها *** وأبدت بنان الكفِّ للجمرات

وعلت بنان المسك وحْفا مرجَّلا *** على مثل بدر لاح في الظلمات

وقامت تراءى يوم جمعٍ فأفتنت *** [2] برؤيتها من لاح من عرفات

وبهذا تحفظ هذه الأبيات ومناسبتها في ثنايا كتابي التذكرة والأغاني فأسهما في حفظ المفقود بين سطورهما.

وكتب الحمدوني من قول أبي الحسن السلامي:(من الطويل)

وفيهنَّ سكرى اللحظ سكرى من الصبا *** تعاتب حلو اللفظ حلو الشمائل

أدارت علينا من كؤوس حديثها *** [3] سلافا وغنتنا بصوت الخلاخل

وكذلك من الأقوال التي كانت للصنعة دور فيها قول ابن ذريح ولكن الصناع نسبوه أيضا لعبد الله بن مصعب الزبيري:(من الطويل)

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٤ ص٣٧٣ وانظر ربيع الأبرار ونصوص الأخبار- أبو القاسم محمود الزمخشري –ت د.سليم النعيمي ج١ ص٤٣٩ وانظر ديوان أبي

[2] التذكرة الحمدونية ج٦ ص١٤٨ وانظر الأغاني – لأبي الفرج الأصبهاني – دار الثقافة - بيروت ج٦ ص١٩٢

[3] التذكرة الحمدونية ج٦ ص١٢٦ وانظر – يتيمة الدهر- أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة الحسين –مصر ج٢ ص٤٠٣

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها *** مقـالة واشٍ أو وعيد أمير

فلن يمنعوا عيني من دائم البكا *** ولن يذهبوا ما قد أَجنَّ ضميري

وكنا جميعا قبل أن يظهر الهوى *** بأنعم حالي غبطةٍ وسـرورِ

فما برح الواشون حتى بدت لنا *** بطون الهوى مقلوبةٌ لظـهور

لقد كان حسب النفس لو دام وصلها *** [1] ولكنما الدنيا متاعُ غرور

ومن الصناعة من ينسب لشاعر ولا توجد في ديوانه، وربما لم يجد من قام بجمع الديوان مثل هذه الأبيات؛ لذا فقدت من الديوان ومما ذكر في التذكرة الحمدونية قول الحسن بن هانئ (من المديد):-

ظن بي من قد كلفـت به *** فهو يجفـوني على الظَّنن

نام لا يعنيه ما لقيــت *** عينُ ممـنوعٍ من الوسن

رشأ لولا ملاحتـــه *** خلَت الدنيـا من الفتن

كل يوم يســترق له *** [2]حسـنه عبدا بلا ثمن

فقد أثبتها بن حمدون للحسن بن هانئ إثبات واثق مما يكتب دون أن يثير أي شبهة حولها قائما بدور حفظها من الضياع . وهي لم ترد في ديوانه.فمن أين للحمدوني بهذه الأبيات الرقيقة! ورغم ذلك أودعها ذاكرة تذكرته للقراء باعتبارها من شعر ابن هانىء.ومن الدواوين ما فقد وجهل قائله، ولكن قاومت بعض الأشعار إرادة الضياع فوجدت في ذا كرة نثر الدر ومن بعده تذكرة ابن حمدون خير ملجأ ومن ذلك هذا الصوت الذي غنى به علوبة ولم يذكر له قائلا في الكتابين:(من الكامل المرفل) :

الحين ساق إلى دمشـق وما * كانت دمشــق لأهلنا بلدا**

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٦ ص١٠١وانظر الإغاني أبو الفرج الاصفهاني – ٩ ص١٩٣ - ١٩٤

[2] مرجع سابق –ج٦ ص١٩٠

قادتك نفسك فاستقدت لها * [1] وأرتك أمر غـواية رشد**

ومن الأشعار التي وجدت في التذكرة أيضا أبياتا لكثير يقول فيها:

تيممت لِهْبا أبتغي العلم عندهم *** وقد رد علم العاشقين إلى لِهْب

تيممت شيخا منهم ذا نجالة *** بصيرا بزجر الطير منحني الصُّلب

فقلت له ماذا ترى في سوانحٍ *** وصوت غرابٍ يفحص الوجه بالتُّرب

فقال جرى الطير السنيح ببيننا *** وقال الغراب جدَّ منهمر الكب

فإلا تكن ماتت فقد حال دونها *** [2] سواك خليل ناطق من بني كعب

ومن الأسباب التي تؤدي لصناعة المفقود هو معاصرة أحد الكتاب لشاعر ما وتصله بعض أبياته ، فيودعها ذاكرة أوراقه أو ذاكرته لحين تسجيلها ومن ذلك ما قاله الأصفهاني : " ابن جكينا ممن عاصرناه يقوله لأبي الحسن هبة الله بن صاعد الطبيب (من البسيط) :

قصدت ربعي فتعالى به *** قدري فدتك النفس من قاصد

وما أرى العالم من قبلها *** بحرا مشى قط إلى وارد

فقد حفظت التذكرة هذه الأبيات وغيرها كثير مما لا يوجد له ديوان أو من له ديوان ولم تثبت الأبيات فيه. مما يعني لنا أن هناك أشعار مفقودة يمكن أن نجدها في كتاب التذكرة الحمدونية التي جمعت أشعارا من مختلف الكتب في كتاب واحد مساهمة بذلك في صناعة الدواوين المفقودة ، وبالطبع لها دور في نشرها .

---

[1] التذكرة الحمدونية نهاير الارب في معرفة انساب العرب – شهاب الدين احمد عبدالوهاب النويري – دار الكتب العلمية بيروت لبنان ج٨ ص٢٣

[2] التذكرة الحمدونية ج٨ ص٢٠ وانظر النويري –نهاية الإرب – مرجع سابق – ج٣-ص٩٣

الباب الثالث

المادة الشعرية في كتاب التذكرة الحمدونية

الفصل الأول: الرواية الشعرية

المبحث الأول:توثيق الشعر ونسبته

المبحث الثاني: مناسبة القصيدة

المبحث الثالث: اختلاف الرواية

المبحث الرابع: شرح المفردات

المبحث الخامس:تعقيبات الحمدوني وملاحظاته

الفصل الثاني: تراجم الشعراء

المبحث الأول: اسم الشاعر ونسبه

المبحث الثاني: هوية الشاعر

المبحث الثالث: بيئة الشاعر

المبحث الرابع: علاقة الشاعر برجال عصره

المبحث الخامس: مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية في حياة الشاعر

الفصل الثالث: نقد الشعر

المبحث الأول : نقد الحمدوني

المبحث الثاني : نقد الآخرين مما أورده الحمدوني

الفصل الأول: الرواية الشعرية

المبحث الأول:توثيق الشعر ونسبته

المبحث الثاني: مناسبة القصيدة

المبحث الثالث: اختلاف الرواية

المبحث الرابع: شرح المفردات

المبحث الخامس:تعقيبات الحمدوني وملاحظاته

المبحث الأول:- توثيق الشعر ونسبته

كان الشعر مما اهتم به العرب ، وكان يتم به توثيق أحداث حياتهم وتسجيل أقاصيصهم وحفظ عاداتهم ، والعناية به وبمن يقرضه جل اهتمامهم ، وبه تتخذ وتحسم قراراتهم مهما كانت درجتها من الأهمية. هذا معاوية ينصحهم بذلك قائلا: "اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم ، فإن فيه مآثر أسلافكم ، ومواضع إرشادكم فلقد رأيتني يوم الهرير وقد عزمت على الفرار فما ردني إلا قول ابن الإطنابة (من الوافر) :

أبت لي عفتي وأبى بلائي *** وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإجشامي على المكروه نفسي *** وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت *** مكانك تحمدي أو تستريحي [1]

فهو قانونهم الذي يحكم نفوسهم ،تلك النفوس الغالية التي يقدمونها رخيصة في سبيل أبيات من الشعر كان بها سبيل من سبل المجد والشجاعة حتى تغير رأيا فيه أما الموت وأما الحياة ولا خيار ثالث، وكما رأينا اختار الموت القريب امتثالا للأبيات الشعرية لأنها تحمل روح عصرهم ومجتمعهم .

واهتم الحمدوني لاهتمامهم وجل مادته كانت من الشعر فقد جمع وأكثر وأورد مئات الأبيات الشعرية في مختلف الموضوعات التي جمعها في مصنفه كل يناسب المادة التي يتحدث عنها، وقد وثق لذلك بمختلف طرق التوثيق التي هدف منها لحفظ الشعر، فيسجل أحيانا الشعر وشاعره، وأحيانا يسجل الشعر بدون الشاعر ولكنه حفظ الأبيات والأشعار التي كانت بدون توثيق لقائلها وهي كثيرة خاصة التي تأتي في ثنايا القصص ومن ذلك المعاتبة التي جرت بين الفضل بن الربيع والمأمون عندما طلب الفضل العفو قائلا: أنت كما قال الشاعر (من الطويل):

صفوح عن الإجرام حتى كأنه *** من العفو لم يعرف من الناس مجرما

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ص٦٧ وانظر العقد الفريد – عمر أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي – مطبعة لجنة التأليف والنشر –القاهرة – ج١ص١٠٤

وليس يبالي أن يكون به الأذى *** [1]إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما

فعفوه قد شمل جميع الناس، وعم بذلك الخير حتى انعدم ذكر مجرم بين الناس ، وأنه يجعل من نفسه فداء للناس بتحمل الأذى ولا يهتم لذلك طالما أن المسلمين بخير من الأذى ولكن لم يكن هناك إشارة لمن قالها .

وأحيانا يكتفي بقال الشاعر، أو قال أعرابي (من المتقارب):

لعمري لئن حجبتني العبيد *** ببابك ما تُحجب القافيه
سأرمي بها من وراء الحجاب *** فتغدو عليك بها داهيه
تصم السميع وتعمي البصير *** [2]ويُسأل من مثلها العافية

ومن دون أن يدلي بتوضيح للقائل ومن الذي حجبه من الخلفاء أو الأمراء؟ ولكنه اكتفى بمحاولة هذا الشاعر في أن يصل لمن حجبه بأسلوب لا يمكن للحاجب أن يمنعه، فأرسل قافيته بالإنابة عنه.

وأحيانا يذكر البلد التي منها الشاعر مثل قال أعرابي من طي:.(من الطويل)

إذا الريح حلت بالجهام تلفُّه *** مدى ليله شلَّ النعام الطرائد
وأعقب نوء المرزمين بهبوة *** [3] وغيم قليل الماء بالليل بارد

وإذا أعجبه الشعر بين شاعر أو شاعرة ، فيأتي باسم القبيلة لا يفرق بين في قول امرأة من بني عبد القيس :-

أبو أن يفروا والقنا في نحورهم *** ولم يبتغوا من خشية الموت سُلَّما

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ص١٤٢
[2] المصدر السابق ج٨ ص٢٠٤
[3] المصدر السابق ج٢ص٧٢

ولو أنهم فروا لكانوا أعزَّةً *** [1]ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

وعندما يوثق الشعر وقائله معا فله في ذلك أكثر من أسلوب حيث يذكر اسم الشاعر منسوبا لبلده وجنسيته ونبذة قصيرة عنه مثل معد بن حسين بن خيارة المفارسي المغربي نشأ في البادية وأوطن حينا صقلية وتردد مادحا الملوك والأمراء وقوله (من الطويل) :-

إذا الحر لم يحمل على الصبر نفسه *** [2] تضعضع وامتدت إليه يد العبد

ويوثقه تارة أخرى بالاسم فقط خاصة إذا كان من المشهورين من ذاك قال الطرماح في ذكر الجبناء :-

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا *** ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة *** يكسر على صفَّي تميم لولت
ولو جمعت يوما تميم جموعها *** [3] على ذرَّة معقولة لاستقلَّت

أو يذكر اسم الشاعر مثنى مثل قال المخبل السعدي (من الطويل) :-

وإنا أناس تعرف الخيل زجرنا *** إذا أمطرت سحب الصوارم بالدَّم
وإنا لنعطي النصف من لو نضيمه *** [4] أقرَّ ونأبى نخوة المتظلم

وأحيانا يذكر اسم الشاعر وعائلته بدقة وتركيز، ومن ذلك تعليقه على شعر حاتم :

إني لعف الفقر مشترك الغنى *** وتارك شكل لا يوافقه شكلي

---

[1] التذكره الحمدانية الجزء الثاني ص٤٤٠
[2] المصدر السابق ص١٤١
[3] المصدر السابق ص٤٤١
[4] المصدر السابق الصفحة نفسها

وشكلي شكل لا يقوم لمثله *** من الناس إلا كل ذي نيقة مثلي
وأجعل مالي دون عرضي جنَّةً *** لنفسي واستغني بما كان من فضلي
وما ضرني إن سار سعدٌ بأهله *** وأفردني في الدار ليس معي أهلي

وذلك عندما ارتحل والده عنه عندما فرق كل ما لديه من الإبل على ضيوفه فلما وجد أن سعد ليس والده نوه الحمدوني لذلك قائلا " والشعر يدل على أنه جده لأنه حاتم بن عبد الله بن سعيد بن الحشرج[1].

وإذا كان للشاعر لقب فكان يعمد لبعضهم ويذكر اسمه مع لقبه ومن ذلك قال الأخطل : واسمه غياث بن غوث من بني تغلب :
ثم يذكر الشعر الذي وثق له بذلك من (البسيط):-

مازال فينا رباط الخيل معلمةً *** وفي كليب رباط الذلِّ والعار
النازلين بدار الذلِّ إن نزلوا *** وتستبيح كليبٌ حرمة الجار
قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم *** قالوا لأمهم بولى على النار[2]

ومن الأشعار من وثقه بلقب قائله مثل الحطيئة والنابغة وتأبط شرا ثم عمد إلى ألقابهم فذكر لكل منهم اسمه الحقيقي وسبب منحه ذلك اللقب كالحطيئة : اسمه جرول بن أوس بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب .

والنابغة اسمه زياد بن عمرو ويكنى آبا أمامه غلب عليه النابغة لأنه غبر برهة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله، وكذلك الخنساء دائما يذكرها بلقبها ولم يذكر اسمها الحقيقي في الغالبية العظمى من أشعارها التي استدل بها ، كذلك المتنبي ما ذكره باسمه مرة من المرات بل محافظا على لقبه في كل الأشعار التي احتاجها في سرد أخباره، وقد استشهد بأشعاره كثيرا وأحيانا يأتي بأكثر من صفحة منوها لذلك في بداية تلك الصفحات بقوله : هذه بدائع من مدائح المتنبي وأمثال شوارد من شعره ،جمعتها متتالية، وقد أكثر منها فعلا ومع ذلك اكتفى بلقبه فقط ولم تغفر له الأشعار الرائعة التي جمعها له أن يذكر اسمه الحقيقي ومنها وقوله في سيف الدولة:(من الطويل)

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ ص٢٩٨
[2] المصدر السابق ج٥ص١٠٢

أخذتَ على الأرواح كل ثنيةٍ *** من العيش تُعطي من تشاء وتحرم

فلا موت إلا من سنانك يُتقى *** ولا رزق إلا من يمينك يُقسم [1]

وله الكثير من الأشعار التي لم يوثق لها بل يكتفي بقال رجل أو أعرابي أو شاعر ويذكر الغرض الذي قيل ،ورغم أنها نادرة من نوادر أحد الأبواب ولكن وجدنا فيها شاهدا

مثل قال رجل من بني أسد يمدح يحيى بن حيان النخعي (من الطويل) :-

ألا جعل الله اليمانين كلهم *** فدى لفتى الفتيان يحيى بن حيان

ولولا عريق فيّ من عصبيّة *** لقلت وألفا من معد بن عدنان

ولكن نفسي لم تطب بعشيرتي *** وطابت له نفسي بأبناءقحطان [2]

ومن الشعراء من ذكر لقبه ووثق سبب هذا اللقب شعرا مع ذكر اسمه الحقيقي ومن ثم الشعر الأصلي الذي اختاره في ذلك الموضع ، ومن ذلك شعر الأسعر بن حمران فقال الحمدوني : قال الأسعر بن أبي حمران الجعفي ، وإنما لقب الأسعر لقوله (من الطويل) :

فلا يدعني قومي لسعد بن مالك *** لئن لم أسعر عليهم وأثقب[3]

ثم ذكر اسمه : مرثد بن الحارث وتبع ذلك بالشعر الذي اختاره وغيره كثير من الشعراء الذين وثق لألقابهم بشعرهم .

وقد كتب الكثير من الأشعار التي وثقها بهذه الطريقة في المصادر التي لم يصرح بها، فقد كانت أشعار كثيرة لم يوثقها ؛ منها ما كان واضحا أنه يعلم صاحبه ولكن لسبب او لآخر لم يذكره ومنها غير ذلك ، ورغم أنه جهل أو تجاهل الكثير من أسماء الشعراء إلا أنه ذكر مناسبات أغلب القصائد وذلك ما سيتم عرضه في المبحث القادم .

---

[1] التذكرة الحمدونية ج ٤ –ص ٦٧ وانظر ديوان المتنبي – تحقيق عبد الوهاب عزام ، شرح أبو البقاء العكبري لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٤ ص ١٠٥

[2] التذكرة الحمدونية ج٩ ص٤١٨

[3] التذكرة الحمدونية ج٣ ص٣٩٢

المبحث الثاني: مناسبة القصيدة

جمع الحمدوني –كما أشرنا– الكثير من الشعر ، ومنه من لم يذكر مناسباته ولكنه يذكر في موضعه الصحيح وعلي حسب المادة التي يتحدث عنها فعندما تحدث مثلا عن الرياسة والشرف ذكر ما ذكر من المواقف التي تمثل فيها بقول الشعراء أو أحياناً يذكر الشعر الذي يحمل تلك المعاني دون مناسبة مثل قول حسان بن ثابت (من البسيط): –

أصون عرضي بمالي لا أدنِّسه *** لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى فأكسبه *** [1]ولست للعرض إن أودى بمحتال

كما نجده كثيرا ما يذكر المناسبات التي تمخض عنها الشعر ومن ذلك عندما أتي الأخطل أسماء بن خارجه في خمس ديات ليحملهن فحملهن ، ثم قال لبنيه وهم حوله أقسمت عليكم إلا حملتم مثلها فخرج الأخطل وهو يقول (من الوافر):–

إذا مات ابن خارجه بن حصنٍ *** فلا مطرت على الأرض السماء
ولا رجع البشير بخير عنم *** ولا حملت على الطُّهر النساء
فيوم منك خيرٌ من رجال *** يروح عليهم نعمٌ وشاءُ
وبورك في أبيك وفي بنيه *** [2] إذا ذكروا ونحن لقاء الفداء

فهذا المجد الذي صنعه الرجل بحمله لديات لا ذنب له فيها ، غير أنه لم يرد أن يصد من قصده، فاكتسب تلك الأبيات التي مجدت فعله وبقيت شاهدا يتلى وتذكر معه تلك المناسبة مخلدة ما فعله ابن خارجة، وبليت تلك الإبل وجعلت ابن خارجة في مقدمة من بنى المجد بالمال ومن يذكر إذا ذكر من يقوم بتفريج الأزمات .

ومن المجد والرياسة إلى الحرب والشجاعة. وما أكثر المناسبات التي ذكرها الحمدوني وقد أفضت إلى شعر خالد إلى يومنا هذا منها ما لم يعرف إلا لقلة من

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ ص٩٨
[2] المصدر السابق ص١١٦

الناس وقد ذكره الحمدوني، ومنها ما كان مشهورا ومعروفا بمناسبته لدى الكثير من الناس مخلدا تاريخا حربيا وشجاعة نادرة .

ومن تلك القصص المشهورة قصة أبي محجن الثقفي عندما قبض عليه وأتي به يوم القادسية وقد شرب الخمر فأمر به إلى القيد ، وعندما اشتد القتال استعفى سعد بن أبي وقاص فزجره ورده ، فعرض الأمر على زوجة سعد –سلمى بنت أبي حفص _ فردته فرجع يرسف في قيوده وقد ملأه الحزن الذي وضح في تلك الكلمات التي قالها، وتحسر على أن يبقى مقيدا والحرب تدور رحاها، ويتحسر على المال الذي كان له والأخوة التي حوله ولا شيء من ذاك الآن فهو وحيد مقيد ، وكانت هذه المناسسبة سببا في إقلاعه عن الخمر التي طالما قال: لا أتركها إلا لله وهذه الكلمات التي تمخضت عن تلك المناسبة وغيرها كانت عددا من الأبيات المستقلة بقافيتها ولكنها سلسلة تناسبت مع كل خطوة من خطوات هذه الحادثة وها هي الأبيات التي قالها في هذه المناسبة (من الطويل) :

كفى حزنا أن تردي الخيل بالقنا *** وأُترك مشدودا علي وثاقيا

إذا قمت عناني الحديد وأغْلقت *** مصاريع من دوني تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثيرٍ وأخوةٍ *** فقد تركوني واحدالا أخا ليا

وقد شق جسمي أنني كل شارق *** أعالج كبلا مصمتا قد برانيا

إلى قوله :

فلله عهد لا أخيس بعهده *** لئن فرجت ألا أزور الحوانيا [1]

وعندما أطلقته زوجة سعد حين طلب منها أن تحل عنه وإن سلمه الله أن يرجع حتى تضع رجله في القيد فكانت ترده مرارا حتى استخارت على حد قولها لأبي محجن ، فشارك في المعركة وجعل سعد يقول الطعن طعن أبي محجن والضبر ضبر البلغاء لولا محبسي أبي محجن عندي لقلت هذا أبو محجن، وهذه البلغاء وعندما تحاجز العسكران ، أقبل أبو محجن حتى

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ ص٤٥٥

دخـل القصـر ووضـع عـن نفسـه وعـن دابتـه وأعـاد رجليـه فـي قيـده وأنشـأ يقـول من (الوافر):

لقد علمت ثقيف غير فخرٍ *** بأنـا نحن أكرمهم سيوفا

وأكثرهم دروعـا سابغـاتٍ *** وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا

إلى قوله:

فإن أحبس فقد عرفوا بلائي *** وإن أُطلق أجرعهم حتوفا [1]

فقد اختلف وصفه وحالته النفسية بعد اشتراكه في الحرب فقد كانت مقطوعته الأولى مليئة بالحسرة ، صادرة عن نفس مغلوبة على أمرها ، شاعرة بالوحدة وانغلاق الأبواب دون ما تهوى من أمور الطعن والضرب ؛ أما في الثانية فقد أتى بشعر فخر رصين ، وسجل من خلالها ما حدث رغم أنهم لم يشعروا به، كما كانت هذه المناسبة سببا في توبته من الخمر، وقد توالت عليه المواقف الصغيرة وكل موقف كان بعده شعرا.

أما في الصفات الأخلاقية عامة وصفة الغدروالوفاء خاصة فقد كانت معظم الأشعار التي اختارها الحمدوني تسبقها مناسباتها، وكانت بعض المناسبات التي أوردها ليست مصاحبة لأشعارها فحسب إنما تحمل في ثناياها تفاصيل ما يحدث بحيث يمكن للقارئ أن يتوقع الحدث قبل أن يذكر وقبل أن يقرأه. ومن ذلك مناسبة تلاقي بنو مفروق بن عمرو بن محارب وبنو جهم بن مرة بن محارب على ماء لهم فعلتهم بنو مفروق فظهرت عليهم، وكان في بني جهم شيخ له تجربة وسن فلما رأى ظهورهم قال يا بني مفروق، نحن بنو أب واحد فلم نتفانى ؟ هلموا إلى الصلح ولكم عهد الله وذمة آبائنا لا نهيجكم أبدا ولا نزاحمكم في هذا الماء ؛ فأجابتهم بنو مفروق إلى ذلك، فلما أطمأنوا ووضعوا السلاح؛ عدا عليهم بنو جهم فنالوا منهم منالا عظيما ، وقتلوا جماعة من أشرافهم، وهذه من الأحداث التاريخية غير المعروفة لدى الكثيرين رغم أنها وثقت بقول أبي ظفر المحاربي في ذلك (من البسيط) :

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ ص٤٥٦

هلا غدرتم بمفروقٍ وأسـرته *** والبيض مصلتةٌ والحرب تستعر
لما أطمأنوا وشاموا من سيوفهم *** ثرتم إليهم وغبَّ الغدر مشتهر
غررتموهم بأيمانٍ موكـدةٍ *** [1] والوِرد من بعده للغادرالصَّدر

كما لـه مناسبتان في غدر ووفاء الحيوانات فسردهما وروى الشعر الذي تمخض عنهما، ولكن دون توثيق لمن قالها، فكانت الأولى عن وفاء الكلب في الوقت الذي فر عن بطل قصتنا – عندما هاجمه العدو– جاره وأخوه، وبقي الحيوان الوفي يراقب حتى طرح الجريح في بئر، فأتى وكشف عنه التراب فتنفس حتى أنقذ، فقيل في تلك المناسبة (من الطويل) :

يعرد عنه جاره وشـقيقه *** [2] وينبش عنه كلبه وهو ضاربه

فقد كان كلبه أوفى من البشر سواء كان الجار الذي لم يرع حق الجوار، ولا شقيقه الذي لم يحفظ حق الأخوة، ولكن حفظ تلك الحقوق الضائعة ذلك الكلب رغم أنه كان يضربه. وإذا عرف الكلب بالوفاء فقد غدرت الضبع في المناسبة الثانية ، حيث رواها الحمدوني على سبيل التضاد في هاتين الصفتين قائلا : "أن قوما خرجوا للصيد فطردوا ضبعا حتى ألجأوها إلى خباء أعرابي فأجارها ، وجعل يطعمها ، وبينما هو نائم وثبت عليه وبقرت بطنه وجاء ابن عم له ..... فتبعها وقتلها وقال (من الطويل):

ومن يصنع المعروف في غير أهله *** يلاق الذي لاقى مجير أم عامر
أعد لها لما اسـتجارت ببيته *** أحاليب ألبان اللـقاح الدرائر
وأسـمنها حتى إذا ما تمكنت *** فرته بأنياب لها وأظافـر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من *** [3] يجود بمعروف على غير شاكر

فإن كانت هذه القصص أقرب للخيال خاصة أن ابن حمدون لم يوثق لرواتهما ، إلا أنه ذكر مناسبة تمخض عنها شعر يحمل قيمة أدبية وأخلاقية .

---

[1] التذكرة الحمدونية ج ٣ ص٣٩
[2] المصدر السابق ص٤٢ (بتصرف)
[3] المصدر السابق الصفحة السابقة

ومن مناسباته وحرصه على إيرادها في الفخر والمفاخرة وهنا كان يأتي بذكر المناسبة مفصلة ويكتفي بجزء من القصيدة ومثال على ذلك المناسبة التي أدت لمعلقة عنترة بن شداد عندما سابه رجل من بني عبس وذكر سواده وسواد أمه وأخزته ....الخ فرد عنترة ردا مفحما عن شجاعته وحضوره عند الشدائد وما إلى ذلك من صفات الفخر. فقال له الآخر: أنا أشعر منك فقال له: ستعلم. وكان عنترة لا يقول الشعر إلا البيت والبيتين في الحرب. فقال في تلك المناسبة التي أثارت حفيظته قصيدته الشهيرة:(من الكامل)

هل غادر الشعراء من متردم *** أم هل عرفت الدار بعد توهم

وزعموا أنها أول قصيدة قالها والعرب تسميها المذهبة[1]. فإنها لمناسبة أوردت شعرا جمع كل الأغراض الشعرية من فخر وغزل وغير ذلك وهذا مما جعل للمناسبة أهمية، وأنها لتعين على فهم كثير مما يغلق فهمه من الأشعار.

وإذا كانت المناسبة من المناسبات التي بها أكثر من مقطوعة شعرية فإنه يذكر المناسبة وجزء من الشعر مثل قصة بجير وكعب ابن زهير قبل وصول بجير عند النبي صلى الله عليه وسلم .أو أن يسرد المناسبة كاملة ثم يتبعها شعرها كما في الجزء الثاني من قصة بجير وكعب السالفة الذكر، حيث أتى بالمناسبة كاملة ثم ألحقها بالشعر كاملا أو العكس بأن يأتي بالمناسبة كاملة ثم يأتي بعدها الشعر كاملا ومن ذلك الجزء الخاص بما كتبه كعب بن زهير في رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد بدأها بأبيات المدح (البسيط):

إن الرسول لنور يستضاء به *** مهند من سيوف الله مسلول

وقد ذكرها حتى وصل إلى آخرها :-

لا يقع الطعن إلا في نحورهم *** وما لهم عن حياض الموت تهليل

وقطع كتابتها بالتنويه للغرض الشعري في ما يتلو ذلك من أبيات قائلا: وقال له معتذرا:-

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٣ص٤٢٣

أنبئت أن رسـول الله أوعدني *** والعفو عند رسـول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ *** قرآن فيها مواعيظ وتفصـيل
لا تأخذني بأقوال الوشـاة ولم *** أذنب ولو كثرت في الأقاويل[1]

وقد مدح النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ولا غرو في ذلك فقد مدحه الله عز وجل في كتابه العزيز فهو غني عن مدح البشر.ثم حكى الحمدوني بعد ذلك المناسبة بكامل تفاصيلها : (وكان سبب قصيدة كعب بن زهير ...) وذكر المناسبة بالتفصيل. إن هذه المناسبة ولدت لنا أكثر من مقطوعة شعرية منها ما كتب عندما أقام كعب ومضى بجير وعرض عليه الإسلام فأسلم ،و اتصل إسلامه بأخيه كعب فقال (من الطويل) :-

ألا أبلغا عني بجيرا رسـالة *** فهل لك في ما قلت ويحك هل لكا
سقاك المأمون كأسـا روية *** وأنهلك المأمون منها وعلكا
ففارقت أسباب الهدى وتبعته *** على أي شيء ويْب غيرك دلَّكا
على مذهب لم تلـف أما ولا أبا *** عليه ولم تعرف عليه أخا لكـ[2]

ومنها ما كان تابعا ذلك الشعر خلال سرده للمناسبة وما قيل عنه وتأثيره حتى جاء كعب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مسلما دون أن يعرف بنفسه فلم سأله النبي صلى الله عليه وسلم من أنت ؟ فعرف في تلك اللحظة بنفسه واستنشده أبو بكر شعره فعدل في التو بعض مما قال وأمنه النبي عليه السلام واستنشده الشعر فهذه مناسبة عظيمة ولدت لنا أعظم قصيدة مدح .

وقد أكثر من مناسبات الاعتذار إذا قارناها بالمدح؛ لأن الشاعر كان يمدح ليكسب مالا أو قربا من الممدوح غير الاعتذار الذي كان غالبا ما يأتي حرصا على الممدوح دون طمعا في شيء آخر. لذا كانت هناك أشعار حتى لو كانت المناسبة بسيطة. وأحيانا مجرد عتاب قد يفضي إلى شعر مثل

[1] التذكرة الحمدونية ج٤ ص١٢
[2] المصدر السابق الصفحة السابقة

الشعر الذي كان نتيجة لعتاب المأمون على اسحق بن ابراهيم الموصلي في شيء، فكتب إليه رقعة وأوصلها إليه من يده ففتحها المأمون فإذا فيها (من البسيط) :

لا شيء أعظم من جرمي سوى أملي *** بحسن عفوك عن جُرْمي وعن زللي
فإن يكن ذا وذا في القدر قد عظُما *** فأنت أعظمُ من جرمي ومن أملي

قال هذين البيتين الجميلين ولم يكن في نفس المأمون شيء فقوله: يا اسحق، عذرك أعلى قدرا من جرمك، وما جال بفكري، ولا خطر بعد انقضائه على بالي[1] هذا القول يدل على أنه عتاب بسيط دون أي رواسب نفسية من غضب أو غيره، ولكنها أضافت لبحر الشعر أبياتا جميلة رغم بساطة السبب، وأعطت اعتذارا لطيفا لمن يخطأ في حق عزيز عليه ، وليس له القدرة على نظم مثل تلك الكلمات الجميلة التي هي بمثابة رسول رقيق للاعتذاريجلب العفو حتى لو كان جرما. وقد أورد الحمدوني المناسبة وما بعدها.

أما مناسبات قصائد الفتوح فكان يوردها مختصرة جدا ويأتي من القصائد ما يذكر بالفتح فقط فأتى بشعر في فتح هرقلة، فتمثل بقصيدة أشجع السلمي التي قال فيها الرشيد: لا ينشدني أحد بعده وأمر له بألف دينار" وأكمل بشعور أشجع بذلك في قوله:" والله لأمره أن لا ينشده أحد بعدي أحب إلي من صلته" وكانت هذه هي الأبيات التي رواها الحمدوني :

لا زلت تنشر أياما وتطويها *** تمضي بها لك الأيام وتُمضيها
مستقبلا زينة الدنيا وبهجتها *** أيامها لك نظمٌ في لياليها
العيد والعيد والأيام مقبلةٌ *** [2] إليك بالنصر معقود نواصيها

وأتى بالشعر في فتح عمورية وأنقرة وصور متبوعا بمناسباته بالتفصيل وأحيانا الأقوال التي قيلت فيها .

أما في التهاني فقد أتى بالشعر الذي قيل لتهنئة الخلفاء والوزراء منهم المنصور والمهدي وغيرهم. وكانت مجالات التهنئة كثيرة منها في التهاني بالمواليد مثل قال آخر(من الرجز):

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٤ص١١٦
[2] المصدر السابق ص ١٤٠

مد لك الله البــقاء مدا *** حتى ترى نجلك هذا جـدًّا

مؤزَّرا بمجــده مردَّى *** ثم يفدَّى مثــلما تفدَّى

كأنه أنت إذا تبــدَّى *** شمائلا محمودة وقدًّا[1]

وما قيل في التهنئة بالنكاح أيضا كثير والملاحظ في النماذج التي اختارها الحمدوني اتفاق الشعراء في التشبيه بالقمر والشمس ومناسبات الأعياد وحلول شهر رمضان والحج ومن ذلك قول الصابي (من الكامل) :

عرس يُعزّس عنده الإقبــالُ *** وتنال في جَنَـبـاته الآمـال

بدر يزف عليه وسط سمائه *** شمس عليها بهجةٌ وجمــالٌ

وإذا تقاربت السعود فعندها *** يرجى الصلاح وتحسنُ الأحوالُ

وكذلك التهاني في عيد الفطر ويوم النيروز، والاختلاف في مثل هذه المناسبات عدم التفصيل. واكتفى بتسمية المناسبة التي لا أخال أن هناك تفصيلا لها. وقد جعل هناك فصلا سماه شواذ التهاني جمع فيها عددا من المقطوعات وأتبعها بالمناسبة مفصلة. ومن ذلك التهنئة بالنجاة من الغرق والعزل عن العمل. وكذلك فعل في المراثي فكان يذكر المرثى ويأتي بالشعر، مثل رثاء عمر بن الخطاب وصخر والنجاشي وغيرها من الأشعار غير المصرح بقائلها معظم الأحيان. وجمع في هذا شعرا كثيرا ومناسبات عديدة. على قصرها فكان هذا الجزء من التذكرة جزءا ضخما.

أما في مناسبات الهجاء فلابد من وجود سبب يدعو ويحرك مشاعر الهاجي، وقد أشار الحمدوني لضرورة وجود ذلك السبب. فقال:" لابد للهاجي من سبب يدعوه إلى الهجاء ويحركه، ومن شأنه أن يعذر بمقدمة تنبه المهجو من غفلة اللوم ، أو يصر فيقوم في هجائه العذر)[2]. فغالبية أوصاف الهجاء لا توجد في المهجو ، إنما هجي لسبب ما وألحقت به هذه الصفات . وكذلك ألمح لسبب آخر فيه نوع من الغرابة

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٤ ص١٦٨

[2] التذكرة الحمدونية ج٥ ص٣٠

وهو أن الهجاء سبب من أسباب رجوع العلاقة بين الاثنين، وذلك في شعر أبو عثمان الخالدي(من الخفيف) :

قل لمن يشتهي المديح ولكن *** دون معروفه مطال وليُّ
سوف أهجوك بعد مدحٍ وتحري *** كٍ وعتبٍ وآخر الداء كي

فربما يكون الهجاء هو علاج الكي للمرض الذي أصاب العلاقة بين الهاجي والمهجو، وهذا من بيئتهم وعلاجهم للأمراض التي تصيبهم، وتصيب إبلهم فتعالج بكية من نار، ، ولو أن وصول الأمر بينهما لحد الهجاء يصعب معه العلاج بعد ذلك لأن الكلمات قد خلدت تلك الأوصاف التي ألحقت به، وتناقلتها الألسن، وبنت بذلك حاجزا متينا بينهما . والمناسبات تكثر في الهجاء بين القبائل وتختلف باختلاف أسباب هجومهم على بعضهم البعض .

ويختلف عن الهجاء العتاب فلابد للمعاتَب من تقصير حرك مشاعر من عاتبه، وهنا إمكانية أن يكون العتاب هو أفضل علاج لتلك العلاقة التي أصابها الفتور؛ من أن يخفي المعاتِب غضبه في داخله، وتبدأ العلاقة في الضعف رويدا رويدا ، وربما لا ينتبه الطرف الآخر لذلك إلا بعد فوات الأوان ويصعب الأمر بعد ذلك. وقد اختلفت الآراء وتعارضت حول العتاب فمنهم من جعله سببا لقوة العلاقة فحمده ويرى أن هناك نتيجتان : فأما التنبيه والاعتذار، أو العناد والاستمرار ويعطي في الثانية الحق للمعاتِب أن يأتي بعتابه في أي شكل كان ولا جريرة عليه. وأتى الحمدوني برأي آخر يجعل من العتاب سبيلا للمخاصمة ، وذلك في قصة إياس بن معاوية حين قال : "خرجت في سفر ومعي رجل من الأعراب فلقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا ، وإلى جانبهما شيخ من الحي يَفَنٌ فقال لهما : "انعما عيشا ، فإن المعاتبة تبعث التجني ، والتجني يبعث المخاصمة ، والمخاصمة تبعث العداوة ، ولا خير في شيء ثمرته العداوة ثم أثبت الحمدوني ذلك بأبيات من(الوافر) مجهولة القائل :

فدع ذكر العتاب فرب شرٍ *** طويلٍ هاج أوَّله العتاب [1]

[1] التذكرة الحمدونية ج٥ص٣١

فهنا عدة أبيات أتت خلال المناسبة حرص الحمدوني على ذكرها وكانت بين ما ذكر قائله أو جهل .

ومناسبة أخرى ولدت شعرا عندما تمنى سليمان الموت للوليد لما له من العهد بعده، ووصل ذلك للوليد فكتب إليه يعتب عليه وكتب في آخر الكتاب فقال : (من الطويل)

تمنى رجال أن أموت وإن أمت *** فتلك سبيل لست فيها بأوحد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم *** لئن مت ما الداعي علي بمخلد
منيته تجري لوقت وحتفه *** سيلحقه يوما على غير موعد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى *** تهيأ لأخرى غيرها فكأنْ قدِ[1]

شعر حمل الحقائق والعتاب والنصيحة- من هذه المناسبة- التي يمكن للقارئ أن يستشفها من الأبيات. وبعد أن تلقى سليمان الأبيات اعتذر، فقبل عذره رغم ذلك. وهنا إثبات لصحة فكر من يرى أن العتاب يعالج العلاقات الإنسانية، ويوضح الحقائق. وهذا على غير الهجاء ومناسباته فربما يبنى على غير الحقيقة بخلاف العتاب ، فقد كان في يوم من الأيام سلاحا نفسيا يرهب به العدو ، فقد يهجى الإنسان ظلما وبهتانا أو تقربا إلى ذي سلطان أو إرهابا لعدو وقد تهجى قبيلة جزاء فعل يخص فردا واحدا منها؛ فيعم القبيلة كلها .

وقد يكثر الحمدوني أحيانا من الشعر حول مناسبة واحدة وفقا لأحداث تلك المناسبة أو أن يأتي بشعر مقارب، ولكنه خارج نطاق المناسبة التي ذكرت كما أنه أوجد أشعارا دون مناسباتها .

وفي التذكرة مناسبات قل أن تحدث ولكنها أدت لشعر ، وذلك كما حدث في الزجر الذي كان يتعاطاه أهل الجاهلية فحملت أخبارا عجبا من دنيا الزجر وتنبؤات صدقت صحتها وسجلت في مقطوعة وضحت فيها معالم المناسبة وباتت فيها الأوصاف واضحة؛ وذلك مثل قصة تشبيب كثير بأم الحويرث ووعدها له بالزواج على أن يخرج

[1] المصدر السابق ص٣٧

من أجل المال، فخرج وهو في طريقه شاهد الظباء والغراب فتشاءم وبحث عن زاجر خبير بتلك الأمور فزجر له ، وعندما عاد وجد أنه الواقع بعينه فوثق تلك المناسبة في مقطوعته التي تقول (من الطويل) : -

تيممت لِهْبا أبتغي العلم عندهم *** وقد رد علم العاشقين إلى لِهْب
تيممت شيخا منهم ذا نجالة *** بصيرا بزجر الطير مُنحنىَ الصُّلب
فقلت له ماذا ترى في سوانحٍ *** وصوت غرابٍ يفحص الوجه بالترب
فقال جرى الطير السنيح بيننا *** وقال الغراب جد منهمر السكب
فإلا تكن ماتت فقد حال دونها *** سواك خليل ناطق من بني كعب [1]

وذكر الحمدوني مقطوعة أخرى في المرحلة الأخيرة من المناسبة لتكتمل لوحة كثير الشعرية بتفاصيلها وصحة فراسة من قرأ له المشهد الذي صادفه ليجده واقعا ملموسا ولا يعلم الغيب إلا الله .

وقد أتى بأشعار عدة في مناسبة واحدة ولكنها ليست خلاصة تلك المناسبة إنما استشهد بها فقط. وذلك في قصة النسوة اللائي تجمعن ينعين صديقة لهن فأتين بأشعار تحمل في طياتها الرثاء الواضح، والشعر الذي يحمل معاني الفراق واللوعة والحب. و الأشعار معظمها ليست من تأليفهن وإنما جمع بينها خيط الفراق والتجربة الواحدة ولم يصرح الحمدوني بأسماء أولئك النسوة إنما اكتفى بحكاية من رواها قائلا: "قال بعض البصريين" والراوي مجهول أيضا، ولكنه سرد القصة وما تحمل من أشعار عدة في تسلسل وترتيب ذاكرا كل التصرفات الغريبة التي تخللت تلك الحادثة التي جمعت بين التصرفات الإسلامية البحتة مثل قراءة القرآن، والتصرفات التي تخبر عن روح الجاهلية مثل النوح .ومن بعد ذلك قامت كل منهن بإلقاء بعض أبيات الرثاء ، ثم يقلن بصوت واحد :(من الرجز المجزوء)

كنا من المســـاعدة *** كمثل نفس واحـــدة

[1] التذكرة الحمدونية ج٨ ص٢٠

فمات نصـــف نفسي	***	حتى ثوى في الرمـــس
فما بقائي بعـــده	***	وشـــطر نفسي عنده
فهل ســـمعتم قبلي	***	بمن مضـــى بمثلي
عاش بنصـــف روح	***	في بدنٍ صحـــيح

ثم دعون بغربان فأتي لكل واحدة منهن بغراب، وتقوم بغناء يحمل معاني الفرقة التي كان الغراب سببا فيها – فهو طائر الشؤم عند العرب – ثم يقمن بنتف ريشه وضربه حتى الموت وهكذا حتى يأتين على الأربعة غربان . والسبب تشاؤم من ماتت منهن بالغراب الذي ظنت أنه فرق بينها وبين من تحب ففارقت الحياة[1]. فمع غرابة المناسبة بجميع تفاصيلها إلا أنها أعطتنا عددا كبيرا من المقطوعات الشعرية المختلفة المفردات، المتماثلة المعاني.

وللحمـــدوني فـــي تذكرتـــه أجـــزاء تكـــاد تخلـــو مـــن الأشـــعار المصـــاحبة لمناسباتها، ولكنه أكثر من الأشعار عموما سواء كان من خلال مناسبة موثقة بقائلها أم موثقة بأقوال الشعراء الذين استشهد بكلماتهم، أم بأشعار قد جهل قائلها أحيانا .

فذكر المناسبة من الأهمية بمكان في مثل هذا النوع من الكتب، إذ أنها تساهم في فهم بعض معاني الأبيات الشعرية، وتوثق لمواقف لا يمكن توثيقها في غير كتب المحاضرات، وتساعد المناسبة في فهم سبب الحالة النفسية التي تسود القصيدة فتفتح بذلك آفاق التحليل الصحيح وتبعد التكهنات، كذلك تساعد المناسبة على استخدام الأبيات الشعرية في مناسبة اخرى حدثت لمن لم يهبه الله ملكة قرض الشعر، وتوثق المناسبات في بعض الأحيان لقيمة أدبية وخلقية سادت في عصر من العصور فتخلدها بما يتمخض عنها من شعر وغير ذلك من فوائد ذكر مناسبات الأشعار

---

[1] التذكرة الحمدونية -ج٩- ص ٥٦

فكانت الغالبية العظمى من أجزاء التذكرة تحمل العديد والعديد من الأشعار ومناسباتها التي تستحق الوقوف عليها، والتمعن في تلك التجارب الشعرية وما أنتجت من أشعار خلدتها الكتب الأدبية. ومن هذه الأشعار كتب الحمدوني ما كتب ؛ منها ما ذكر مناسبته وتوثيقه ومنها ما لم يذكر له توثيق. والأهم من ذلك ما ذكره منسوبا لأكثر من شاعر واختلفت الرواية لكثير من الأشعار. وهذا ما نحن بصدده في المبحث القادم والذي يحمل عنوان اختلاف الرواية .

المبحث الثالث :اختلاف الرواية :-

كتب الحمدوني الكثير من الشعر وقد سلف الحديث عن أسلوبه في توثيق تلك الأشعار؛ بأنه رد معظمها إلى قائليها وبعضها لم يذكر لها قائل واضح ؛ إنما اكتفى بقال الشاعر ، أو قال أعرابي أو أعرابية وما إلى ذلك من العبارات المتنوعة ولكنها في النهاية لا تفيد باسم القائل. وفي خضم ذلك كانت تمر عليه أشعار هو في حاجة لكتابتها والاستشهاد بها في موضع من المواضع، ولكنها تأتي في حديثه منسوبة لأكثر من قائل. فيورد بعضها دون إرجاعه لقائله الصحيح وبعضها يذكر الاختلاف الذي وقعت يده عليه ومن ذلك قول النابغة الذبياني في الحية :(من الرجز)

صلٌّ صفا لا ينطوي من القِصَرْ *** طويلة الإطراق من غير خفرْ
داهية قد صغرت من الكبرْ *** كأنما قد ذهبت به الفِكَرْ
مهروتةُ الشدقين حولاءُ النظرْ *** [1]تفترُّعن عُوجٍ حدادٍ كالإبر

وقد نوه الحمدوني بأنه وجد هذه الأبيات في بعض الكتب منسوبة لخلف الأحمر دون أن يدلي برأيه في هذه النسبة. وأغلب الظن أنه يقصد كتاب الحيوان حيث وجدت منسوبة فيه لخلف الأحمرففي أي مصدر وجدها الحمدوني منسوبة للنابغة؟ هذا ما لم يذكره، مما يجعل نسبتها لخلف هي الأقرب للصواب في ظننا. كما ذكر شعرا لشاعر واحد، ونسب أبيات مختلفة من شعره لشعراء آخرين. ألا وهو قيس بن زريح في قوله: (من الطويل)

إلى الله أشكو فقد ليلى كما اشتكى *** إلى الله فقد الوالدين يتيم
بكت دارهم من نأيهم وتهللت *** دموعي فأي الجازعين ألوم
أمستعبريبكي من الشوق والبلى *** [2]أم آخرُ يبكي شجوه ويهيم

---

[1] التذكرة الحمدونية ج ٥ ص ٢٩٥ وانظر كتاب الحيوان - عمرو بن بحر الجاحظ –ت. د- عبد السلام هارون – مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة ١٩٤٥م ج٤ ص٢٨٦

[2] التذكرة الحمدنية ج٦ ص٧١ وانظر الأغاني – لأبي الفرج الأصبهاني – دار الثقافة – بيروت –ج٩ –ص ١٩٦

ونسبها لآخر قائلا: ويروى لمزاحم ، وأيضا دون أن يحسم الأمر وربما وجدها هكذا في المصدر الذي أخذ منه هذا الشعر. وكتب أبياتا أخرى للشاعر عينه وبنفس الأسلوب السابق الذكر وقال: وتروى لعبد الله بن مصعب الزبيري وهي من (الطويل):

فإن يحجبوها أو يحلْ دون وصلها *** مقالة واشٍ أو وعيد أميرِ
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا *** ولن يُذهِبوا ما قد أجنَّ ضميري
وكنا جميعا قبل أن يظهر الهوى *** بأنعم حال غبطةٍ وسرورِ
فما برح الواشون حتى بدت لنا *** بطون الهوى مقلوبةً لظهورِ
لقد كان حَسْبَ النفس لو دام وصلُها *** ولكنَّما الدنيا متاعُ غرور[1]

وكل الأبيات الشعرية في المقطوعتين تحمل الشكوى من فراق الأحبة سواء

وأحبس عنك النفس والنفسُ صبَّةٌ *** بذكراك والممشى إليك قريب
مخافة أن يسعى الوشاة بظنَّة *** وأكرمكُم أن يستريب مريب
لقد جعلت نفسي وأنت اخترمتها *** وكنت أعزَّ الناس عنك تطيب
ولو شئت لم أغضب عليك ولم يزل *** لك الدهر مني ما حييت نصيب
أما والذي يبلو السرائر كلها *** ويعلم ما يبلو به ويغيب
لقد كنت ممّن تصطفي النفس خُلَّة *** لها دون خلاّنِ الصفاء حجوب [2]

كان ذلك بسبب بعدهم أم بسبب حجب المحبوبة أم كانت شكوى فراقهم بسبب الواشين ومكائدهم التي تفرق بين الأحبة الذين كانوا في نعيم الوصال وسرعان ما قلب حالهم . ولكن من المشتكي الحقيقي هل هو مزاحم أم قيس أم عبد الله بن مصعب الزبيري هذا ما لم يبت فيه الحمدوني بصورة مباشرة ، وتابع إيراد مقطوعات أخرى لقيس وكان يقول في بعض منها: وقال أيضا: وكأنه حكم بها لقيس لأنه بهذا الأسلوب ابتعد عن الشك الذي قدمه عند بدء المقطوعات .

وقال في موضع آخر عند ما استشهد بأبيات قيس بن الملوح: ويروى للمجنون وغيره دون أن يذكر هذا الغير (من الطويل):

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٦ص ١٠١

[2] المصدر السابق ص١٠٩- وانظر ديوان مجنون ليلى قيس بن الملوح بن مزاحم العامري – جمع وشرح وتحقيق عبد الستار أحمد فراج – مكتبة مصر ١٩٦٠ ص ٥١

بهذه الروح الرقيقة والكلمات التي تحمل الحب العفيف ، والخوف من الوشاة وتوفير الحماية لها حتى من الظنون لابد أن تكون لقيس بن الملوح وقد وجدت في ديوانه ولم توجد في كتاب آخر فمن الغيرالذي نسبت له هذه الأبيات ؟ هذا ما لم يوضحه ابن حمدون، ولم يثبت أنه لغير المجنون .

وفي أحيان أخرى يبت ابن حمدون في أمر الشعر الذي يشك في جزء منه ومن ذلك قوله: وقال ابن سماعة الأسدي فيما رواه أبو هلال العسكري: (من الطويل)

بنفسي من لا بد أنّي هاجره *** ومن أنا في الميسور والعُسر ذاكرُه
ومن قد رماهُ الناس حتى اتقاهم *** ببغضي إلا ما تُجِنُّ ضمائرُه
أحبك يا ليلى على غير ريبةٍ *** ولا خير في حبٍّ تُذَمّ سرائرُه
أكفكف دمعي أن يكون طليعةً *** على سرِّ نفسي حين ينهلُّ فاطرُه[1]

فوضح ابن حمدون نسبة الأبيات توضيحا مفصلا قائلا : (البيتان الأولان الأصح أنهما ليزيد بن الطثرية من قصيدة طويلة من هذا النوع ، وأنا أذكر مستحسنها ومختارها هاهنا لئلا ينقطع ويذكر:

ألا يا شفاء النفسي لو يسعف الهوى *** ونجوى فؤاد لا تباح سرائره

وقد أتى بعد هذا االبيت بسبعة أبيات أخرى. ثم أتى بأبيات للحسين بن مطير قائلا: وقد روي شطر هذه الأبيات للحسين بن مطير ومنها قوله:

ألا حب بالبيت الذي أنت هاجره *** وأنت بتلماح من الطرف زائره

وقد وجدت أيضا كما أوضحنا في شعر ابن الطثرية و ابن حمدون كان متأكدا من نسبتها بدليل تلك المختارات أعلاه التي كانت من ذاكرته . ويبقى السؤال لمن بقية الأبيات؟ هل هي للأسدي ؟ أم لأبن مطير؟ أم لأبن الطثرية ؟ومن المستحيل أن يكون

[1] التذكرة الحمدونية ج٦ص١٣٧ وانظر - شعر يزيد ابن الطثرية - صنعه حاتم صالح الضامن – ١٣٩٣هـ ١٩٧٣ م- دار التربية والطباعة والنشر والتوزيع مطبعة اسعد بغداد ص٧٦-٧٧ ، وانظر ديوان الحسين بن مطير الأسدي –جمعه وقدم له د حسين عطوان- دار العودة بيروت ص٥٤

هناك أدنى احتمال لتوارد في خواطرالشعراء إلى هذا الحد موضوعا وقافية. أم هناك نسبة غير صحيحة لبقية الأبيات التي ربما لم يسمع بها ابن حمدون. ولكن كيف كتبت في ديوان الشاعر ابن الطثرية فهذا ما يجعل اختلاف روايتها قائما وربما أحد الرواة قد خانته ذاكرته فجل من لا ينسى.

وأحيانا يحل مشكلة الاختلاف بقوله المقصود الشعر لا الشاعر عند ما أتى بقصيدة لا يعلم لمن هي فقال : قال عبد الله بن الدمينة الخثعمي ، وهذه الأبيات من قصيدة تتوزع أكثرها ، ونسبت أبيات منها إلى عدد من الشعراء والمقصود الشعر لا شاعره لذلك جمعت المختار منها في مكان واحد (من الطويل) :-

أحقا عباد الله أن لست واردا *** ولا صادرا إلا عليَّ رقيب
ولا زائرا فردا ولا في جماعةٍ *** من الناس إلا قيل أنت مريب
وهل ريبة في أن تحنَّ نجيبةٌ *** إلى إلفها أو أن يحن نجيب
وإن الكثيب الفرد من أيمن الحمى *** إلى وإن لم آته لحبيب [1]

وقد جاء هذا المختار في خمسة وعشرين بيتا ورغم ذلك نرى أنه أعطى حل المغلوب على أمره عندما لم يجد نسبة صحيحة مقنعة للأبيات. وأغلب الظن أنه لم يقتنع بوجودها في ديوان ابن الدمينة أو هناك ما حال دون الاطلاع على هذا الديوان.

ومن اختلاف الرواية أيضا ما يورده ويثبت حق القائل فيه ، وهذا من التناقض الذي صادفناه في تعامله مع الأشعار مختلفة الرواية. حيث يجهد نفسه أحيانا ويثبت الشعر لقائله، وأحيانا أخرى يرى أن ذكر الشعر أهم من ذكر قائله. ومن هذه حين يروي خبرا قائلا: حدث بعضهم قال : أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس بن ذريح ،هكذا وفي الخبر الصحيح أن الأبيات لعبيد الله بن عتبة بن مسعود (من الوافر) :

صدعْت القلب ثم ذررت فيه *** هواك فليم فالتأم الفطور
تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ *** ولا حزنٌ ولم يبلغْ سرور

[1] التذكرة الحمدونية ج٦ص ١٦٨ وانظر ديوان ابن الدمينة- ثعلب ومحمد ابن حبيب- ، تحقيق راتب النفاخ – مطبعة المدني- نشر دار العروبة ١٩٥٩ص ١٠٣-١١٨

فصاح بجارية له سندية تسمى زبدة : أي زبدة عجلي ..... فقال أنشدي بيتي قيس ، فأعادتهما فقال لها يا زبدة أحسن قيس .... فهنا أتى بالخبر ينسب الشعر لقيس، ويؤكد هو أن الشعر لغير قيس. رغم ذلك أتى بالخبر كاملا وما دار بين أبي السائب وبين جاريته ، ثم تابع تعريف عبد الله بن عتبة ابن مسعود تأكيدا لنسبة الأبيات له دون أن يذكر المصدر الذي وجدها فيه منسوبة لعبدالله .

وأبيات أخرى أيضا تشكك في صحة روايتها وذلك في قصة سعيد بن المسيب حين مر في بعض أزقة مكة وسمع الأخضر الحربي يتغنى في دار العاص بن وائل والشعر لمحمد بن عبد الله النميري : (من الطويل)

تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت *** به زينب في نسوةٍ عطرات

فضرب برجله الأرض وقال هذا والله مما يلذ استماعه ثم قال:

وليست كأخرى وسَّعت جيب درعها *** وأبدت بنان الكفِّ للجمرات

وعلَّت بنان المسك وحْفا مرجَّلا *** على مثل بدرٍ لاح في الظلمات

وقامت تراءى يوم جمعٍ فأفتنت *** برؤيتها من راح من عرفات[1]

فأردف الحمدوني قوله : فكانوا يرون أن هذا الشعر لسعيد بن المسيب ، فربما جعل من إكمال سعيد بن المسيب بأبيات أخرى لم يغنها المغني تقوية لاحتمال أن الأبيات له .وقوله هذا مما يلذ استماعه يشير إلى أنه يحب أن يستمع لها فكيف يكون هو من ألفها وإكماله للأبيات فقد كان يحفظها لإعجابه بها ، ولكن ابن حمدون اكتفى بالتنويه لراوٍ آخر فقط ،كما أنه لم يأت بشعر آخر لأحدهما كما كان يفعل مع الآخرين متجاهلا موضع الاختلاف . ومن الأشعار ما ترد في ديوان كلا الشاعرين وهنا لا يستطيع أن يحسم أمرهما ومن ذلك قول النابغة الذبياني ويروى لأوس بن حجر:(من الوافر) :

[1] التذكرة الحمدونية ج٦ ص١٤٨

ولست بخابيء لغدٍ طعاما *** حذارغدٍ لكل غدٍ طعام

وللحمدوني في اختلاف الرواية أسلوب آخر ، وهو ألا يكتفي بذكر من اختلف في قوله فقط؛ إنما يأتي بالتجربة التي مر بها كلا الشاعرين ومن ذلك شعر ديك الجن:(من الكامل)

يا طلعة طلع الحمام عليها *** وجني لها تمرالردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما *** روّى الهوى شفتيَّ من شفتيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها *** ومدامعي تجري على خدّيها
فو حق نعليها فما وطئ الحصى *** شيء أعزُّ عليَّ من نعليها
ما كان قتليها لأني لم أكن *** أبكي إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها *** وأنفت من نظر العيون إليها

نسب الأبيات لديك الجن وجاء بمناسبتها: بأن ديك الجن قتل زوجته بعد مكيدة مدبرة لهما من ابن عم له، وقال: "قد رويت الأبيات لفتى من غطفان يقال له السليك بن مجمع وكان من الفرسان وكان مطلوبا بدماء وهوى بنت عمه فزوجها أبوها منه خوفا منه ،فعرض إليه في الطريق أهل الثأر – وهي برفقته في الطريق إلى عشيرته– وهم فرسان من بني فزارة ، فخشي عليها من هؤلاء، فقتلها قبله وقال هذه الأبيات فحفظت عنه، أو لحقه أهله وبه رمق فسمعوها منه. فرغم أنه أتى بالمناسبتين ولكن إذا تأملت الشعر تجد أنه قد عاش معها فترة أطول من الأسبوع وأغلب الظن أن هذا هو ديك الجن وليس الفتى، وأن هناك وقت بكى عليها حتى جرت مدامعه على خديها، ولم يكن هناك مجال لهذا الفتى أن يبكيها والفرسان حوله كل حريص على قتله. كما أن الحمدوني أورد لديك الجن أشعارا أخرى في القتيلة مما يؤكد أن هذه المناسبة أقرب أن تكون لديك الجن. وكذلك المقطوعة أعلاه . كما انه أتى بعد هذه القصة بشعر لديك الجن ينهي فيه قلبه عن حب البيض. وكانت زوجته القتيلة نصرانية وهذا قبل أن يعرف الخبر الصحيح عن عدم خيانتها له: فقال

لك نفس مواتيـــة *** والمـــنايا معادية

أيها القلـــب لا تعد *** لهــوى البيض ثانية

ليس برق يكــون أخـ *** لب من برق غانيـــة

خنت ســرا من لم يخنـ *** ك فمــوتي علانية [1]

ديك الجن فعلا كان يهوى تلك المرأة ولكنه في حالة صدمة من خيانتها وبعد أن تأكدت براءتها تألم، وبدأ يتحسر على أيامه وسعادته معها في المقطوعة الأولى ورغم تشابه الحادثتين لكنه لم يأت بأشعار لذلك الفتى في حبه لتلك الفتاة في الوقت الذي أتى فيه بأكثر من مقطوعة لديك الجن في المقتولة ، وفيها يبث حزنه عليها.

أبيات أخرى اختلفت فيها الرواية لعروة بن الورد .وكان موسرا ، وكان له ابن عم له معسر وكان عروة يعطف عليه ويبره ، وكان ذاك يشكو له الحاجة ، فلما أكثر عليه كتب إليه، وتروى الأبيات لأبي عطاء السندي من الطويل :

إذا المرء لم يكسب معاشا لنفسه *** شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

وصار على الأدنين كلاً و أوشكت *** صـلات ذوي القربى له أن تنكَّرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنـى *** تعش ذا يسار أو تموت فتُعذرا

فما طالب الحاجات من حيث يبتغي *** من الناس إلا من أجدَّ وشمرا

ولا ترض من عيشٍ بدونٍ ولا تنم *** وكيف ينام الليل من كان معسرا

و نوه لأن عروة لم يكن موسرا مما يرجح أن الأبيات ليست له[2].

وأتى بأشعار كان الاختلاف في راوية أجزاء منها وفي من قيلت.حيث كتب الحمدوني قـــال التميمي في منصور بن زياد:(من الكامل):

أما القبــور فإنهنَّ أوانس *** بفناء قبرك والديار قبــورُ

عمت فواضلُهُ فعمَّ مصــابه *** فالناس كلهم مأجــورُ

يثني عليك لســان من لم توله *** خيرا لأنك بالثناء جــديرُ

ردَّت صـنائعُهُ إليه حياته *** فكأنه من نشرها منشــورُ

فالناس مأتمهم عليه واحـد *** في كل دار رنَّةٌ وزفيــرُ

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٥ ص ٢١٠

[2] المصدر السابق ج٥ ص ٢٠٥

فوضح الحمدوني رواية هذه الأبيات مفصلة قائلا: "وقد روي البيت الثاني والثالث والخامس من هذه الأبيات لكثير في عبد العزيز بن مروان ورويت لرجل من خزاعة[1] فسواء كان هذا أم ذاك فإنه نفى أن تكون الأبيات المعنية في منصور بن زياد. ولم يؤكد أن البيت الأول والرابع قد رويت في منصور أم لا؛ لتبقى مشكلة اختلاف الرواية قائمة في جزء من الأبيات.

ومن هذا النوع أبيات نسبت للمغيرة بن حبناء ووضح الحمدوني أن البيت الأخير منها ورد في شعر الأعشى وأنشدت في أبيات نسبهما المبرد إلى عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر وقد رواها بطريقة مختلفة ومطلع الأبيات : (من الطويل)

وما زلت أسعى في هواك وأبتغي *** رضاك وأرجو منك ما لست لاقيا

رأيتك لا تنفك منك رغيبةٌ *** تُقصِّر دوني أو تحل ورائيا

وآخر بيت ذكره الحمدوني فيها هو:

كلانا عني عن أخيه حياته *** ونحن إذا متنا أشد تغانيا

والبيت الأخير كما روي في التذكرة أنه ورد في شعر الأعشى ، وأنشده المبرد في أبيات نسبها إلى عبد الله بن جعفر والأبيات: (من الطويل) مطلعها:

رأيت فضيلا كان شيئا ملففا *** فكشفه التمحيص حتى بدا ليا

إلى قوله:

فعين الرضا عن كل عيب كليلة *** ولكن عين السخط تبدي المساويا [2]

---

[1] التكرة الحمدونية ج٤ص٢٠٥

[2] التذكرة الحمدونية ج ٥ ص٣٥ وانظر الكامل في الادب واللغة لابي العباس محمد بن يزيد المبرد للمبرد –تحقيق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٦

القطعتان تناولتا الموضوع نفسه القافية نفسها ولكن اختلفت الأبيات وترتيبها، ونسبت لأكثر من شاعر ولم يثبتها الحمدوني لأي منهم واكتفى برويت في شعر هذا وشعر ذاك ، وربما كانت نسبتها في كل موضع من مصدر يثق فيه الحمدوني ولم يستطع أن يحسم أمرها .ونظن أن ورود البيت الأخير في موضعه من المقطوعة الأولى أقرب في المعنى للبيت الذي سبقه، عن موضعه في المقطوعة الثانية وقد نوه المحقق لوجود أبيات المقطوعة الأولى في بعض المصادر؛ منسوبة لأنس بن زنيم الهذلي عند وفادته على عبد الله بن جعفر وأبيات المقطوعة الثانية وردت للمبرد[1]. هذا والله أعلم

وسجل شعرا آخر نسب لشظاظ الضبي أحد اللصوص بعد أن سرق ناقة لشيخ من أهل البصرة فقال يغري اللصوص بالسرق : (من الطويل)

ألا من مبلغ الفتيان عني رسالةً *** فلا تهلكوا فقرا على عرق ناهق
فإن به صيدا غزيرا وهجمةً *** نجائب لم ينتجن فتل المرافق
نجيبة ضياط يكون بُغاؤُهُ *** [2] دعاءٌ وقد جاوزن عرض الشقائق

وتروى للعبشمي . وقد ذكر الحمدوني معها مناسبتها: أن الشيخ صاحبها ، سأل ربنا أن يردها عليه فاستجاب الله دعاءه وقبض عليه الحجاج وردت الناقة لصاحبها. هذا القبض على حسب تسلسل القصة وقع على العبشمي الذي تروى له الأبيات في الوقت الذي وردت منسوبة لمن ذكر أعلاه .

ومن ضمن اختلاف الروايات اختلاف الأشعار لقائل واحد ومن ذلك أشعار سديف مولى آل المهلب عند ما دخل على أبي العباس السفاح فقال :(من الخفيف)

أصبح الملك ثابت الآساس *** بالبهاليل من بني العباس
بالصدور المقدمين قديما *** والرؤوس القماقم الروّاس

ويستمر في هذا الشعر ذاكرا صفات عدة يمدح بها السفاح ويذكر بعد ذلك القتلى مثل حمزة بن عبد المطلب والحسين وزيد ويذكر السفاح بهؤلاء القتلى ويتعجب من

[1] التذكرة الحمدونية ج٥ ص٣٤
[2] المصدر السابق ج٥ص ١٩٥

وصول من قتلهم بعد ذلك المكان المعلى والمقرب من السفاح؛ مما أدى لتغير وجه السفاح وإصدار أوامره بقتلهم إلا واحدا شفع له تاريخ والده مع السفاح، وأنه لم يكن معهم .ولكن الحمدوني ذكر شعرا آخرا لسديف يذكر فيه السفاح بما فعل هؤلاء القتلى ، ادى لنفس النتيجة وهو قوله:(من الخفيف)

يا ابن عم النبيِّ أنت ضياءٌ	***	استبنَّا بك اليقين الجليّا
جرِّد السيف وارفع السوط حتى	***	لا ترى فوق ظهرها أمويا
لايغرنك ما ترى من رجالٍ	***	إنَّ تحت الضلوع داءً دويًّا
قطن البغض في القديم وأضحى	***	[1]ثابتا في قلوبهم مطويا

ومن اختلاف الروايات عنده أن يأتي بالشعر مختلفا، ويتبعه تعليق الآخرين التي تثبت الأبيات لقائلها: (من البسيط)

خمص نواج إذا حث الحداة بها	***	[2] حسبت أرجلها قدام أيديها

قال الحمدوني : قال آخر ويروى للقصافي ، وهو عمرو بن نصر التميمي ويلحق ذلك بتعليق دعبل : إن القصافي قال الشعر ستين سنة ، فلم يعرف له إلا هذا البيت، ولم يعلق على قول دعبل ، الذي يؤكد فيه نسبة البيت للقصافي .

ومن اختلاف الروايات التي وردت في التذكرة الحمدونية؛ أن يكون الاختلاف في القائل نفسه هل هو ذكر أم أنثى؟ ومن ذلك أبيات رواها أبو العيناء خلال قصة حدثت له وهو في سرمن رأى مع أحمد بن داوود وقد لجأ له وهو خائف وهو يطمئنه بآيات من القرآن ردا على كلامه مثل (يد الله فوق أيديهم)[3] وغيرها فقال له أبو العيناء: أنت كما قال الصمود الكلابي:(من الكامل)

---

[1] التذكرة الحمدونية ج ٥ ص ص١٩٩

[2] المصدر السابق نفسه ج٥ ص٢٦١ انظر معجم الشعراء – المرزباني – تحقيق عبد الستار أحمد فراج القاهرة ١٩٦٠ص٣٤

[3] سورة الفتح الآية ١٠

لله درُّك أي جُنَةِ خائـفٍ *** ومتاع دنيا أنت للحـدثان
متخمّطٌ يطأُ الرجـال غُلُبَّةً *** وَطْءَ العتيق دوارج القـرْدان
ويكبُّهم حتى كأن رؤوسـهم *** مأمومة تنحـطُّ للغربان
ويفرِّجُ الباب الشـديد رتاجُهُ *** [1] حتى يصير كانـه بابان

وقد نوه لقول الصولي:"حفظي عن أبي العيناء الصموت الكلابي على أنه رجل ، وقال لي وكيع: حفظي أنها الصموت الكلابية، على أنها امراة" .. وأي كان رجل أم امرأة فقد قيل شعر وجد فيه أبو العيناء ضالته واستخدمه شاهدا عند الحاجة .

وقد يروي الحمدوني في ثقة أبيات لشاعر من الشعراء ولكن لا توجد الأبيات المروية في ديوانه: ومن ذلك قوله:ويروى للمجنون:(من الطويل)

شـفيعي إليها قلبها إن تعتَّبت *** وقلبي لها فيما تروم شـفيع
لقد ظفرت مني بسـمعٍ وطاعةٍ *** [2]وكل محب سـامعٌ ومطيعُ

ولكن هذه الأبيات لم ترد في ديوان المجنون.وغيرها كثير يذكره الحمدوني ولم يرد في الديوان المعني. فمن أين للحمدوني بنسبة هذه الأبيات للمجنون؟ ومن قائلها الحقيقي؟ ولماذا لم يطلع الحمدوني على ديوان المجنون حين أسند روايتها لمجهول في قوله: "ويروى للمجنون"؟أم أنه مؤمن بأن ما يهم الشعر لا الشاعر؟ وما هو المصدر الذي أخذها عنه ؟هذا ما لم نجد له إجابة. وأغلب الظن أن الحمدوني قد ساهم في قضية اختلاف رواية الشعر، ونشر ذلك الاختلاف عبر تذكرته لأنه ينقل ما يجده فقط دون تدخل منه.

[1] التذكرة الحمدونية ج٢- ص١٥٠ و انظر أبو اسحق الحصري – زهر الآداب وثمرة الباب لابي اسحق ابراهيم بن علي الحصري ت- محمد محي الدين عبدالحميد ج- دار الجبل للنشر بيروت لبنان ج١ ٦٩٨ وقد ذكرت أنها الكلابية
[2] المصدر السابق ج٦ص١٦٨

المبحث الرابع : شرح المفردات

درج الحمدوني في كل أجزاء مصنفه على تفسير بعض المفردات التي يرى أنها في حاجة لذلك ، وأنها ربما تشكل على القارئ. فعمل على إراحته من عناء استعمال المعاجم،وساعده بذلك على إكمال تمتعه بقراءة المادة الشعرية في تذكرته دون زمن مقتطع للبحث عن معناها .

فشرح مثلا معنى كلمتي القحم والضرع اللتين ذكرهما لقيط الأيادي في أبياته التالية (من البسيط) :

فقلدوا أمركم لله درُّكُم *** رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا إن رخاء العيش ساعَدَه *** ولا إذا عضَّ مكروهٌ به خشعا
ما زال يحلب درَّ الدهر أشطرَه *** يكون متَّبعا طورا ومتَّبعا
حتى استمرت على شزرٍ مريرتُه *** [1] مستحصد الرأي لا قحما ولا ضرعا

شرح القحم :الشيخ المسن، والضرع بأنه الضعيف الصغير. يجد القارئ هاتين الكلمتين في الوهلة الأولى بأنهما غريبتان على المعنى الذي تحمله الأبيات، ولكن بعد أن شرحتا يتضح المعنى ويكتمل ويبرز استعمال الشاعر البديعي حيث طابق بينهما ، لأن الضرع الصغير الضعيف وصغير السن[2] فاستخدم المفردة مع مضادها وهو الشيخ المسن فيأتي التطابق من ناحية العمر مسن وصغير السن ، ومن ناحية الخبرة الطويلة والتجربة العميقة والرأي السديد لدى المسن على عكس الصغير في كل ما سبق.

ووقف في أبيات قطرى بن الفجاءة المازني: (من الوافر) :-

[1] التذكرة الحمدونية ج١ص٣٠٨ وانظر ديوان شعر لقيط بن يعمر الأيادي– تحقيق عبد المعيد خان –مؤسسة الرسالة – يروت لبنان ١٩٧١م ص٤٧
[2] لجنة من الأساتذة – المعجم الوسيط – إشراف صلاح الدين الهواري – دار ومكتبة الهلال –بيروت ص٩٨٤

أقول لها وقد طارت شعاعا *** من الأبطال ويحك لن تراعي

إلى قوله :

ولا ثوب البقاء بثوب عز *** [1]فيطوى عن أخي الخنعِ اليراع

ويفسر منها كلمة اليراع بأنها القصب ،ولا يكتفي بذلك بل أتى بالمفرد منها، واحدته يراعة ثم شرح المعنى المقصود "إنما يريد خوره" واعتبرها الضعف وبالرغم من صحة تفسير المفردة ولكن المعنى الذي ذكرته المعاجم بأنه "الجبان الذي لا قلب له[2] وهذا على ما نظن؛ أقرب للمعنى الذي تحمله الأبيات التي تدور حول الشجاعة. وبهذا التفسير يصبح المعنى أكثر وضوحا فالجبان بسبب جبنه ضعف عن مجابهة العدو وشرح معنى كلمة الخنع بأنها الخضوع لتكمل لوحة الضعف والجبن والاستسلام .

ويشرح الحمدوني أحيانا أكثر من مفردتين ليعطي كل مفردة في حاجة لتفسير معناها مثل ذلك، أبيات عبدة بن الطيب: (من البسيط):

لما نزلنا أصبْنا ظلَّ أخبية *** وفار للقوم باللحم المراجيلُ

وردٌ وأشقر ما يُنْهيه طابخُهُ *** ما غيَّر الغلي منه فهو مأكول

ثُمَّت قمنا إلى جُرْد مسوَّمة *** اعرافهنَّ لأيدينا مناديل

فأتى ببيت جمع فيه كل المعاني السابقة وهو بيت امروء القيس :

نمش بأعراف الجياد أكفنا *** إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

ثم فسر كلمات الأبيات مجتمعة وأتى بمعاني لكلمات لم تذكر في الأبيات وربما وردت في أبيات تتبع للمقطوعة نفسها ولكن لم يرد ذكرها لسبب أو لآخر.

ففسر كلمة المضهب : الذي لم يدرك ، ونمش نمسح وأضاف لها اسما آخر للمنديل بأنه المشوش وشرح ينهيه من المقطوعة الأولى بمعنى ينضجه .أما الكلمات التي لم تذكر فهي: غرقىء البيض يعني قشره الباطن ثم أضاف القشر الظاهر للبيض هو القيض وكلمة المضهب من كلمة ضهب وتعني الفارس وتعني اللحم الذي شواه

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ ص٤٠٥

[2] المصدر السابق الصفحة السابقة

ولم يبالغ في إنضاجه أو شواه على حجارة محماة وهذا ما يكمل المعنى بأنه الشواء الذي لم يدرك النضج التام .

وفي أبيات الحادرة التي مطلعها :(من الكامل)

أسمي ويحك هل سمعت بغدرة *** رفع اللواء لنا بها في مجمع

إلى قوله :

أودي السِّفار برِمِّها فتخالها *** [1] هيماً مقطَّعةً حبالُ الأذرع

ففسر الحمدوني الهيام بأنه داء يأخذ الإبل، ولم يكتف بذلك بل وصفه وعدد أعراضه، و ذكر كيفية علاجه فقال : "شبيه بالحمى من شهوة الماء فتشرب فلا تروى ، فإذا أصابها ذلك فصد لها عرق فيبرد ما بها" كيف لا يصفه وهذه بيئته العربية التي يتعايش فيها الإنسان مع الأنعام، ويعلم أسرارها ومرضها وأعراضه وطرق علاجه وسلامتها وطرق وقايتها منه، ومن نفس القصيدة شرح معنى تدسع في البيت :-

عرسته ووساد رأسي ساعدٌ *** خاظي البضيع عروقه لم تدسع

فذكر معناها تمتلئ. .ومعنى خاظي :مكتنز.وأضاف خظا أي كثر ؛ ولتدسع معنى آخر قريب من الإبل وعالمها، وهي" دسع البعير بحرته أخرجها من جوفه إلى فيه دفعة واحدة [2] ولكنه اختار الامتلاء . واهتمام الحمدوني بشرح المفردات التي يرى أنها تسبب إشكالا لدى القاريء جعله يشرح حتى مفردات النوادر لكي لا يفسد متعة النادرة. ومن ذلك ما جاء في نوادر المدح في شعر ابي نواس وهو يصف كلبا (من الرجز) :

أنعت كلبا أهله في كدِّه *** قد سعدت جدودهم بجدِّه

إلى قوله :

ذا غرَّة مجلّلا بزنده *** تلذ منه العين جلَّله ببرده

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٣ ص٣٩٣ وانظر ديوان شعر الحادرة ـــ إملاء أبي عبد الله محمد بن عباس اليزيدي –تحقيق ناصر الدين الأسد ص ٥١ -٥٢ دار صادر بيروت .

[2] المعجم الوسيط – ص ٥٣٩

شرح الحمدوني الزند بأنه عظم الساق ها هنا ، وهو في غيره عظم الساعد . ومن آخر بيت في المقطوعة أعلاه شرح معنى مرقده :من الإرقاد وهو الإسراع والبيت:

يشرب كأس شـدها بشده *** [1] يصيدنا عشرين في مرقدِّه

فقال : ومرقده من الإرقاد وهو الإسراع ، ويشرح الحمدوني معاني بعض المفردات ولا يكتفي بذلك بل يضيف لها أوصافا تفصيلية مثل تفسيره لكلمة القني في شعر لم يذكر مصدره .

قال آخر :(من الطويل)

ألا يا عباد الله قلبي متيَّمٌ *** بأحسن من صلَّى وأقبحهم بعلا

يدب على أحشـائها كل ليلة *** [2] دبيب القِرِنْبَي بات يقرو نقًا سهلا

فشرح القرنبي بأنه دويبة حمراء، على هيئة الخنفس منقطة الظهر وربما في ظهرها نقطة حمراء، وفي قوائمها طول على الخنفس ، وهي ضعيفة المشي. كل هذا التفصيل لتلك الحشرة وإذا وصف فصيلتها ولونها لكفاه، ولكنه تابع وقارن حتى تأكد أن المعنى قد أصبح واضحا لمن يقرأ الأبيات. ويشرح أحيانا مفردات البيت الشعري ويعلل الشرح أيضا وذلك في مثل شعر جهل قائله و اكتفى فقط بقوله : أعرابي يهجو أمه :

شائلة أصداغها لا تختمر *** تعدو على الضيف بعودٍ منكسر

حتى يفر أهلها كل مفر *** لو نُحرِت في بيتها عشْرُ جزر

لأصبحت من لحمهنّ تعتذر *** [3]بحلفٍ مينٍ ودمعٍ منهمر

فشرح: شائلة أصداغها: يريد أن شعرها قد قام، وعلل ذلك بكثرة الخصومة . لا تختمر ذكر السبب أنه من مبادرتها للشرلأن الكلمة واضحة . وبعود منكسر : أي عصا قد انكسرت مما تضرب بها . فكأنه يهجو عدوا له وليست أمه ولم يتوانى الحمدوني في تقريب المعاني وتوضيحها أكثر بذكر العلل من تلك الصفات .

---

[1] لتذكرة الحمدونية ج ٤ ص٧٧ وانظر ديوان شعر –أبي نواس تحقيق د- بهجت عبد الغفور الحديثي دار الرسالة بغداد ١٩٨٠ ط١ ٢٧٤

[2] المصدر السابق ج٥ ص ١١٥

[3] المصدر السابق ص ١٧٨

وأحيانا لا يشرح المفردات في المقاطع الشعرية متناولا إياها بيتا بيتا بل يتناولها مقطعا مقطعا وقد قام بتلك المعالجة لمفردات قصيدة عبدة بن الطبيب في وصف الإبل قائلا: (من الطويل)

وقام إلى وجناء كالفحل حـرَّة *** بثني زمامٍ بعد ما كاد يشـرق
رجيعٌ براها الكـوْرُ إلا جناجنا *** فقد جعلت في صفرة النِّسع تقلق
لها عجز كالباب سـد رتاجُهُ *** يطوف بـه بوَّابه وهو مغلـق
وزوركطيِّ البئر جاب ضـلوعه *** وإبط ودف كالخليط ومرفق
مستنتل كالكُور فعْمٌ يزينـه *** دسيعٌ بصفقيه ودأيٌ موثق

فعمد لمفردات المقطع معا فشرح المستنتل : المتقدم ووضح المعنى قائلا يعني متقدم سنامها وفعم ممتلئ ، والدسيع : مغرز العنق في الزور ، وصفقاه : جانباه ثم أتى بالمقطع التالي وعالج مفرداته بنفس الأسلوب وكذلك الثالث :

نجاة إذا كلَّت كأن صريفها *** وقد قلقت أنساعها فهي محنق
ترنم خُطَّافٍ بحبْلي محالةٍ *** [1] له محورُ يجري بدلوين أخلق

فوضح المعنى بشكل عام (شبه صرير أنيابها بصوت خطاف البكرة ، وأخلق أملس يعني المحور) وهكذا حتى اتى على أبيات القصيدة كاملة. ولكن هذا الأسلوب وإن كان يوضح المعنى لكنه يترك بعض الكلمات دون شرح ويكون القاريء في حاجة لها مثل كلمة جناجنا وغيرها في المقطوعات الأخر. وفي مقطوعة من شعر زهيربن أبي سلمى (من الطويل):

ثنت أربعا منها على ثِنْي أربـع *** فهـن بمثنيَّاتهن ثمانـي
إليك من الغَوْر اليمـاني تدافعت *** يداها ونِسْعا غَرْضِـها قلقان

[1] التذكرة الحمدونية ج٤ ص٢٥٥و٢٥٦ وانظر الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة حمزة بن الحسن الأصفهاني –- تحقيق عبد المجيد قطامش دار المعارف مصر ١٩٧١ و١٩٧٢

تظل تَمطَّي في الزمام كأنها *** إذا بركت قوس من الشّرَيان

نهوزٌ بلِحْيَيها أمام سِفارها *** [1] ومعتلَّةٌ إن شئت في الجَمَزان

ركز الحمدوني على البيتين الأخيرين من المقطوعة وشرح مفرداتها تباعا بقوله : الغرض: حزام الرحل ، والشريان : شجر تتخذ منه القسي ، وحرك الراء منبها لوجود حركة أخرى في الكلمة. والنهوز : التي تمد عنقها تنهز به الزمام من نشاطها . والسفار : حديده تجعل على أنف البعير مثل الحَكَمة ، وأعطانا كذلك جمعها ، (وجماعها سُفُرٌ) . شرح بمعرفة تامة للإبل وصفاتها وحركاتها ومسميات تلك الحركات؛ ليثبت إلمامه من كل علم بطرف.

وأحيانا يشرح شرحا عاما معطيا الصفة التي يقصدها الشاعر وكأنه ينثر البيت نثرا حيث لا يعمد إلى الكلمات مفردة ثم يشرحها، إنما يعطي المعنى العام وذلك مثل مقطوعة الشماخ:(من الطويل)

كأن ذراعيها ذراعا مُدِلَّة *** بعيد السِّباب حاولتْ أن تعذِّرا

قال : شبه يديها بيدي مدلة بجمال ومنصب قد سابَّت وأقبلت تعتذر

كأن ابن آوى موثقٌ تحت غرْضها *** [2] إذا هو لم يكلم بنابْيه ظفَّرا)

ووصفها بأنها ليست تستقر كأن ابن آوى يعضها بنابيه .

وفي الوقت الذي تكون هناك كلمات أشد ما تكون الحاجة لشرحها لغرابتها أو لإمعانها في بيئة البدو مثل التي تتعلق بأوصاف حيونات أو ما شابها؛ فإنه يقف على أخرى ليست في حاجة لشرح أو توضيح ويشرحها مثل شرحه لكلمة الضحل بأنه الماء القليل في مقطوعة الأخطل:(من البسيط) :

بحرة كأتان الضحل أضمرها *** [3] بعد الربالة ترحالي وتسياري

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٥ ص٢٥٧ وانظر- ديوان شعر زهير بن ابي سلمى – صنعه الإمام أحمد بن يحي بن زيد الشيباني ثعلب – دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٤٤ – ص

[2] المصدر السابق ص٢٥٨ وانظر ديوان شعر الشماخ بن ضرار الذبياني –- تحقيق د- صلاح الدين عبد الهادي – دار المعارف القاهرة ١٣٤ -١٣٧

[3] التذكرة الحمودنية ج٥ ص٢٥٩

وفي بعض شروحه يأتي بمعلومات تخص ما تحمل الأبيات من معنى أو وصف دون أن يقف عند شرح مفردة معينة، وذلك عندما أعطى تفاصيل عما تقوم به الحرباء بعد أن ذكر أبياتا متفرقة ولشعراء مختلفين كل منهم يذكر شيئا عنها فقام بتفصيل ذلك بأنها تأتي شجرة تعرف بالتنضبة وما أشبهها من ذوات الأغصان، فتمسك بيديها غصنين من الشجرة، وتقابل بوجهها عين الشمس، فكلما زالت عين الشمس عن ساق خلت الحرباء يدها، وأمسكت غصنا آخرا حتى تغيب الشمس فتستخفى، يدل هذا الوصف الدقيق على إنسان مطلع على حياة الحيوانات وقد حظي باب أوصاف الحيوان بشرح الكثير الكثير من المفردات .

وينبه ابن حمدون أحيانا للمفردات التي تحمل معاني على غير ما تعرف به في الحقيقة ومن ذلك شرحه لمفردات بيت الحارث بن حلزة في ذكر العجيزة:(من الكامل المرفل) :

وتنوءُ تُثقِلُها روادِفــها *** [1] فعل الضـعيف ينوءُ بالوَسْق

شرح الحمدوني ذلك معلقا بأنه من المقلوب، إنما الوسق ينوء بالضعيف ، ولم يكتف بذلك بل ذكر ما يدعم شرحه من القرآن بقوله عز وجل (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة)[2].

وله معاني مفردات قام بشرحها. وقد أتت في عارض الكلام، وليس في بيت شعري. مما يدل على حرصه أحيانا على تيسير الأمر على القراء. ومن تلك المفردات ما ذكره في قصة معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عباس وعتبة ابن أبي سفيان عندما أطال النظر عتبة إلى عبد الله ورد عليه ردا ساخطا، فأجابه عتبة جوابا رقيقا فقال: ابن عباس أمهيت يا أبا الوليد أمهيت فعمد الحمدوني لهذه المفردة وأورد لها أكثر من معنى فقال: "أمهيت : الحديدة إذا سقيتها وأتى بالمصدر وتفسيره ، الإمهاء : إرخاء الحبل . وأمهيت الفرس : ارخيت عنانه . ولبن ممهو : رقيق ، وناقة ممهاء

[1] المصدر السابق ٣١٣ وانظر بن أبي عون – التشبيهات – تحقيق د- عبد المعين خان ، كمبردج ١٩٥٠ ص١١٣
[2] سورة القصص الآية ٧٦

رقيقة اللبن[1]، ونصل بذلك لأن القصد من استخدام المفردة الكلام الرقيق الذي وضح في رد عتبة ابن أبي سفيان .

كما شرح الحمدوني ألقاب بعض الشعراء ، من خلال الشعر الذي كان سببا في ذلك اللقب، ومن خلال ذلك شرح المفردات الشعرية ، وربطها بغيرها . ذلك كما جاء في شرح لقب عمر بن ربيعة ، قال: " سمي المستوغر لبيت قاله:(من الوافر)

ينش الماء في الربلات منــها *** [2] نشيش الرضف في اللبن الوغير

ثم عمد يشرح مفردات البيت كلها تقريبا. فبدأ بالربلات ووضح معناها بعد أن أكد على ضبطها بالشكل مع ذكر المفرد منها فهو على حد قوله" ربلة بفتح الباء وهي لحمة غليظة أو (لحمة الفخذ). والرضف وضح معناه بأنه: الحجارة المحماة ، والوغير: هو اللبن تلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب. وزاد على هذا المعنى الذي ذكر في المعاجم بأنه أخذ من وغيرة الظهيرة، و أشد ما يكون من الحر وربطه بالوغر وهو الحقد، فقال ومنه وغر صدر فلان إذا التهب من الغيظ من غضب أو حقد .

المفردات التي شرحها الحمدوني جاء بعضها متعلقا بمناسبة تاريخية أو سبب لإطلاق هذه المفردة. فيأتي الحمدوني بهذه الحادثة والآراء التي دارت حولها ومن ذلك شرحه لكلمة (الخنان) التي كانت خاتمة بيت النابغة الجعدي :

ومن يك ســائلا عني فإني *** [3] من الفتــيان أيام الخنان

ثم شرح أيام الخنان : بأنها كانت للعرب قديمة ، هاج بها فيهم مرض من أنوفهم وحلوقهم . وقال محمد بن حبيب : بل هي وقعة كانت لهم ، وقال قائل منهم وقد لقوا عدوهم خنُّوهم بالرماح .

---

[1] التذكرة الحمودنية ج٥ ص٥٣ ةانظر - البصائر والذخائر أبي حيان التوحيدي - تحقيق د- وداد القاضي دار صادر بيروت – ط١ ج٦ ص٢٦

[2] التذكرة الحمدونية ج٦ ص٣٣ وانظر – المعمرون والوصايا أبي حاتم السجستاني - تحقيق عبد المنعم عامر القاهرة دار إحياء الكتب العربية ١٩٦١ ١٢-١٣

[3] المصدر السابق ج٦ ص41

وهناك كلمات غريبة بعض الشيء مثل كلمة الإنقحل وقد شرحها بأنها الشيخ المسن الذي تجاوز المائة. فهي كلمة تثير الدهشة وكانت في شعر بدون مصدر فقال بعض العرب:(من الرجز).

رأت شـبابا بان واضمحلا *** وفاتها الدهـر به فولى
وصار شـيخا فانيا انقحـلا *** فاستعبرت تهمر سجلا سجلا[1]

ولـم يقـف عنـد سـجل ولـم يوضـح معناهـا ظنـا منـه أنهـا واضـحة المعنـى، وتعني صبه صبا متصلا)[2].

وأفـرد ابـن حمـدون صـفحات خصصـها لشـرح مفـردات معينـة مثـل تلـك التـي هـي عـادة مـن عـادات العـرب كالبليـة والـرتم والتعميـة أو التقفئـة ويـأتي بأشـعار توثـق لتلـك العـادات ومـن ذلـك شـعر بـدون مصـدر. قـال الشـاعر: (مـن الرجـز) – :

هل ينفعك اليـوم إن همت بهم *** كثرة ما توصـي وتعقادُ الرَّتَم[3]

فقال الحمدوني : الرتم شجر معروف . كانت العرب إذا خرج أحدهم إلى سفر عمد إلى هذا الشجر فعقد غصنا بغصن وإن عاد من سفره وجده قد انحل قال أن : قد خانتني امرأتي ، وإن وجده على حاله قال : لم تخني. فهي عادة غريبة وفيها مجازفة باستقرار البيت بشيء يمكن أن يستخدم استخداما كيديا وأن تحل هذه الأغصان بفعل فاعل ولكن هذا كان قانون حياتهم وقد أوصلته لنا الكتب أمثال التذكرة الحمدونية.

العادة الثانية والتي شرحها الحمدوني هي عادة البلية. شرحها ابن حمدون بأنها ناقة كانت العرب إذا مات أحدهم عقلوا ناقة عند قبره وشدوا عينيها حتى تموت ، يزعمون إذا بعث من قبره ركبها، وذلك قول الحارث بن حلزة اليشكري (من الخفيف) .

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٦ ص٤٦
[2] المعجم الوسيط –ص ٧٧٥ مادة سجل
[3] التذكرة الحمدونية – ج٧-٣٣٤

أتلهي بها الهواجـر إذ كُلـ *** [1] لُ ابن همٍّ بليَّةٌ عمـياءُ

وهنا كأن يأتي بشرح المفردة ثم الشعر الذي يثبتها على غير طريقته في شرح المفردات في مواضع أخرى حيث كان يأتي بالشعر أولا ثم يشرح المفردة المعنية وفي هذا الموضع؛ لأنه هدف لتوضيح تلك المفردات وليس الشعر .

ومثال آخر هو معالجته للمفردات التي تحمل معنى الخمر حيث ذكر أصلها ولغة العرب في أحوالها وأسمائها وصفاتها ومعاني كل ذلك، إذ بدأها من أصلها وهو الكرمة : شجرة العنب ، والجمع كروم ثم تابع حتى أتى على كل اسم من أسماء الخمر وشرحه شرحا وافيا، ووضح الضبط الصحيح بالشكل في بعضها إن وجد، وعدد مشتقاتها وصفاتها وطرق صنعها وزمنها إذا كانت قديمة أو جديدة، وإذا كانت مغشوشة أو بعيدة من ذلك، ويوثق ذلك بالشعر ما وجد لذلك سبيلا مثل شرحه للخمر السخامي بأنها اللينة ثم أتى بما يذكر ذلك من الشعر : قال الراجز :

كأنه بالصحصـحان الأبخل *** [2] قطن سخامي بأيدي غـزَّل

وشرح الحمدوني كذلك بعض المفردات في بدايات الأبواب ومن ذلك شرحه لعنوان الباب الخامس من الجزء الثاني. وكان في السخاء والجود والبخل فشرح كلمة الجود رغم أنها واضحة ولكنه حددها بأنه بذل المال وأنفعه ما بذل في وجوه استحقاقه)[3] فهو بهذا شرح ووضح أعلى درجاته، وهو الأنفع وكيف يتحقق ذلك . ولكن ذكر صاحب المعجم الوسيط بأنها صفة تحمل صاحبها على بذل الخير لغير عوض فكان هذا شرط ثان للبذل.

وكذلك شرح ابن حمدون معنى كلمة المدح بأنه وصف الموصوف بأخلاق يحمد صاحبها عليها ويكون نعتا حميدا له، وشرح كذلك معنى التعريض وهو عدول عن

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٧ ص٣٣٤ وانظر نثر الدر لأبي سعد منصور بن الحسن الآبي ـــ تحقيق محمد علي قرنة وآخرين – القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ / ٣٥٥ص

[2] انظر التذكرة الحمدونية ج٨ ص٣٨٠ وما بعدها .

[3] التذكرة الحمدونية ج٢ ص٢٥٩ وانظر المعجم الوسيط ٢٩٣

التصريح إلى الكناية والإشارة)[1] وهكذا في كل الأبواب يشرح المفردات التي يرى أنها في حاجة للتوضيح والشرح .

بذل الحمدوني جهده في شرح ماظن أنه يشكل على القاريء من المفردات ولكنها قليلة إذا ما قورنت بالكم الهائل من الشعر الذي استشهد به، والمادة الأخرى التي وثقها في كتابه كما أن هناك بعض الكلمات التي لم يقف عندها رغم حاجة القارئ لها، في الوقت الذي شرح مفردات واضحة المعنى كما سلف .والملاحظ أنه لم يوثق لهذه المعاني ولم يذكر المصادر التي أخذت منها، أم أنه لم يكن في حاجة لاستخدامها. وللحمدوني شروح أخرى جاءت تعقيبا على بعض المادة التي عرضها في تذكرته وهذا ما نحن بصدده في المبحث القادم الذي يحمل عنوان تعقيبات الحمدوني.

[1] التذكرة الحمدونية ج٥ ص٦٢

المبحث الخامس : تعقيبات الحمدوني وملاحظاته

لم تكن شخصية الحمدوني واضحة جلية في كتابه إلا القليل الذي وضح من خلال المقدمة التي عرف فيها عن الظروف التي مربها و عن كتابه وما حوى من مادة، ووضح أسلوبه في الكتابة في الخطب التي افتتح بها أبواب المصنف ، وفي مصادره الخاصة – سالفة الذكر– سواء كانت مما شاهد أم مما سمع، ومن خلال تعقيباته القصيرة التي قد تلمح من خلالها رأيه فيما نقل ووثق .

ومن ذلك تعقيبه المختصر جدا بعد قصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع اليهودي عندما احتكما إلى شريح القاضي، ولم يجز شهادة الحسن بن علي وحكم بالدرع سبب القضية لليهودي. وكان ذلك سببا في دخول اليهودي للإسلام. ووهب سيدنا علي الدرع لليهودي وأجازه بتسعمائة دينار. كتب الحمدوني هذه القصة مفصلة ،ثم قال معقبا : "هذا الخبر يجمع معناه سياسة الدين والدنيا[1]. علي بن أبي طالب ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وإضافة لهذه المكانة له الكثير الكثير مما يرفع مكانته رضي الله عنه ومع ذلك تساوى مع أحد العامة ، ليس هذا فحسب إنما تساوى مع يهودي وهو من الأوائل الذين دخلوا الإسلام.تساوى معه أمام الشرع في الحكم وطلب الشهادة، ورفض القاضي ما لم يصح شرعا ، كذلك اعترض سيدنا على رفض شهادة سيد شباب أهل الجنة والتي فرق القاضي فيها بين هذه المكانة وبين تطبيق الشرع باعتباره ابنه، ولا تجوز شهادة الابن لأبيه. أما تمسك علي بن أبي طالب بحقه والحرص على إرجاعه أمر من أمور الدنيا، وقد تنازل ابن أبي طالب بعد أن ثبت له ؛مما يدل على أنه بإمكانه التخلي عن حقه ولكن بطوعه ورضاه ونستفيد هنا الحرص على حقنا وعدم التنازل عنه إلا بإرادتنا.كل هذا ولم يزد الحمدوني عن هذا التعقيب المقتضب .

أما تعقيباته على الأبيات الشعرية فعديدة منها ما يوضح من خلاله المقصود من الشعر وذلك كتعقيبه على بيتي أبي العوازل عندما وقع الحسن بن سهل بقتل الكلاب بعد أن رفع له وباء الدواب وموتها: (من الوافر)

---

[1] التذكرة الحمدونية ج١ ص٤١٢

له يومان من خيرٍ ومن شـرٍ *** يسلُّ السـيف فيه من القراب
فأما الجود فيه فللنصـارى *** وأما شـرُّه فعلى الكلاب

شرح الحمدوني في تعقيبه على هذين البيتين سبب هذا القرار الذي في ظاهره لا علاقة له بما حدث في البلاد،والواضح أن الناس لم يربطوا بين ما حدث لدوابهم وبين الكلاب التي تعايشهم ، ولكن ظهرت هذه العلاقة بعد أن لمسوا الواقع بأنفسهم ونفذوا توقيعه الذي التوقيع الذي عقب عليه الحمدوني:"وكانت أكلت لحوم الدواب فكلبت على الناس فاضطروا إلى قتلها وعلموا معنى توقيع الحسن[1].

كما أنه يصحح بتعقيباته بعض الأخبار التي يشك في مصداقيتها ومن ذلك الشعر الذي أورد في موت العباس بن المأمون وجزع عليه المعتصم جزعا شديدا وامتنع عن الطعام وأمر أن لا يحجب عنه أحد للتعزية فدخل أعرابي في غمار الناس فأنشده (من الكامل) :

اصـبر نكن لك تابعين وإنما *** صبر الجميع بحسن صبر الرأس
خيرٌ من العباس أجـرُك بعده *** [2]والله خير منك للعباس

فأظهر الحمدوني شكه في صحة الخبر فقال: كذا وجدت الخبر وأظنه سهوا ، وعلل لذلك بأن العباس مات في حبس المعتصم فكيف يجزع عليه وهو كان متهما بقتله، وخبره أراد الفتك بالمعتصم ومواطاة عجيف عليه مشهور ، وأظنه العباس بن الفضل بن الربيع والمعزى أبوه. فأتى برأيه في الخبر ومعه الدليل على بطلان ما وجده ، وإثبات ما ظنه . فكان بكلامه الكثير من المنطق فمن يحبس حتى الموت أو لا يتورع من القتل حتى تحوم حوله شبهاته فلا يجزع على من حبسه. إلا إذا كان تمثيلا، وهذا يكون واضحا لا يمكن معه أن يقال مثل هذه الأبيات التي تحمل في كلماتها العزاء كما تحمل العظة.

[1] التذكرة الحمدونية ج٤ ص٧٨ وانظر ربيع الأبرار - الزمخشري ج٤ ص٤٣٦
[2] المصدر السابق ج٤ ص٢٤٧

وكثير من تعقيباته كانت بشرح مفردة يرى أن شرحها يوضح معنى مثل شرحه لكلمة (جُمْع) بعد ما أتى بأبيات رثاء الفرزدق امرأته التي ماتت بجمع:(من الطويل) :

وجفن سلاحٍ قد رزئت فلم أنحْ *** عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفي جوفه من دارمٍ ذو حفيظةٍ *** لو أنَّ المنايا أنشأتْه لياليا[1]

فعقب شارحا : يقال : ماتت المرأة بجُمع وجُمع إذا ماتت وولدها في بطنها. .شرحه لمعنى جُمع كان شرحا كاملا لمعنى البيت الثاني من المرثية الذي تحدث فيه عن هذا الجنين وتمنى لو الموت تركه ليعيش لياليا. فهو لم ير الحياة . وله تعقيبات عندما يجد اختلافا في رواية الأشعار وقد طرح ذلك في القسم الخاص باختلاف الرواية ولا بأس من ذكر تعقيبه على شعر الأخطل:(من الطويل)

وقد سرني من قيس عيلان أنني *** رأيت بني العجلان سادوا بني بدر[2]

فوضح أن هذا البيت لم ينفع بني عجلان ، كما لم يضر بني بدر وعلل لرأيه بان البيت أخرجه الأخطل مخرج الشماتة لأن صارت الذنابى قادة للرؤوس) ولكنا نظن أن الهجاء من ناحية الذل الذي طال المهجو الذي كان في المقدمة وتغلب الدهر عليه فصار في المؤخرة فهنا يتراءى الذل الذي سيواجهه عندما يسوده من كان سائده ، أما بصورة مباشرة فليس هناك شيء .وله تعقيبات تأخذ شكل الشرح والتوضيح من خلال مناسبة الأبيات وذلك في قصيدة الأصفهاني (من الخفيف) :

هو أزنى ممن نقدر أما *** ليس ممن يصاد بتقليد

فعقب الحمدوني شارحا : ومعنى البيت أن الراضي كان قلده الوزارة ، ليحتال عليه ويحصله ؛ وكان البريدي أخبث من ذلك ، فاستتاب في الوزارة وهو بالبصرة ولم يدخل بغداد إلا مالكها . ثم ذكر مطلع القصيدة :

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٤ ص٢٨٠ وانظر معجم الشعراء -المرزباني- تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية –عيسى البابي الحلبي –القاهرة – ١٩٦٠ ٤٧٩ وانظر الكامل في اللغة والأدب -ابو لعباس محمد بن يزيد المبرد -تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته – القاهرة ١٩٥٦: ١٤٦٤

[2] التذكرة الحمدونية ج٥ ص١٠٠

يا سماء اقلعي ويا أرض ميدي *** [1] قد تولى الوزراة ابن البريدي

فكان ما ذكره توضيحا للشعر كما أنه توثيق لحدث تاريخي ، وكان الحمدوني قد نوه لأن هذا الهجاء ما قصد به القائل الهزل .

وله تعقيبات مختصرة ولكنها تضيف معنى مهما لما يذكر من أبيات ومن ذلك الشرح الذي عقب به على الأبيات التي وجدها الفضل بن مروان في رقاع الناس وفيها أسماء مكررة في بيت شعر واحد وقد وجهت لابن مروان الذي يبدو من الشعر أنه أوقع ظلما ما على كاتب هذه الرقعة ؛ حتى ذكره بما حدث لمن حاول مثل هذا الظلم مع الناس فمات مقيدا أو محبوسا، أو مقتولا، وليس من السهل معرفة هؤلاء الثلاثة ما لم يعقب عليها الحمدوني وهي من (الطويل) :

تعززت يا فضل بن مروان فاعتبر *** فقبلك مات الفضل والفضل والفضل

ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم *** أبادتهم القياد والحبس والقتل

وإنك قد أصبحت للناس ظالما *** ستودي كما اودى الثلاثة من قبل

وضح ابن حمدون أنهم الفضل بن يحيى والفضل بن الربيع والفضل بن سهل)[2] وكان تعقيبا أجاب على التساؤل الطبيعي من قبل القارىء: من الفضل والفضل والفضل ؟ وكان المخاطب الفضل الرابع وهو كما ذكر الفضل بن مروان وأظنه فوجئ بها .

ويأتي بتعقيبات تتبع لبيت شعري آخر ويوضح الأشخاص الذين ذكروا في الشعر مثل ذلك في أبيات عبد الله بن عبد الله الذي ذكر مجموعة من الأسماء التي استشهد بها على حبه امرأة من هذيل،وكانت جميلة فخطبوها وكادت تذهب بعقول أكثرهم فقال: (من الطويل)

أحبك حبا لا يحبك مثله *** قريب ولا في العاشقين بعيد

احبك حبا لو شعرت ببعضه *** لجدت ولم يصعب عليك شديد

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٥ ص ٢٣٢

[2] المصدر السابق الصفحة نفسها

وحبك يا أم الصبي مدلهي *** شهيدي أبو بكر فنعم شهيد
ويعرف وجدي قاسم بمن محمد *** وعروة ما القى بكم وسعيد
ويعلم ما أخفي سليمان علمه *** [1] وخارجة بيدي بنا وبعيد

فذكر أن أبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وسليمان ابن يسار وخارجة بن زيد بن ثابت وعبيد قائل الآبيات وهم فقهاء المدينة السبعة واستمر حتى في ذكر الأسماء كاملة حتى تتضح الشخصيات للقارئ.والتعقيبات التي كانت شرحا كما في أبيات الشماخ في وصف الناقة:(من الطويل) .

كان ذراعيها ذراعا مدلَّةٍ *** بعيد السّبِاب حاولت أن تعذَّرا
كأن زفراها مناديل فارقت *** أكفَّ رجال يعصرون الصنوبرا
كأن ابن آوى موثق تحت غرضها *** [2] إذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

فقد عقب الحمدوني شارحا معنى هذه الأبيات حيث شبه يديها بيدي مدلة بجمال ومنصب قد سابت وأقبلت تعتذر ، ووصفها بسواد الذفرى وهي أعلى القفا ، ووصفها بأنها ليست تستقر فكان ابن آوى يعضها بنابيه . تعقيب الحمدوني وضح المقصود من الأبيات خاصة أنه شرح المفردات الصعبة خلال ذلك التوضيح .

ومن تعقيباته أيضا حين شرح أحد أبيات الشعر التي تحمل عادة من عادات العرب وذلك في بيت الحارث بن بن حلزة (من الخفيف):

عنتا باطلا وظلما كما تُعْـ *** تَر عن حجرة الرَّبيض الظباءُ

فشرح تلك العادة قائلا (كان الرجل ينذر إذا بلغت إبله أو غنمه مبلغا ذبح عنها كذا ، فإذا بلغت ضربها وعمد إلى الظباء يصطادها ويذبحها وفاء بالنذر . فلو لا هذا التوضيح لكان التشبيه في البيت غريبا .

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٦ ص١٤٥
[2] التذكرة الحمدونية ج٥ ٢٥٨ وانظر ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني- دار المعارف – القاهرة ١٩٦٨م – ص١٣٤ وما بعدها

ولـه تعقيـب آخـر علـى نقد سكينة بين الحسين لشعر جرير وجميل والأحوص عندما اجتمع رواتهم عندها لتحكم بينهم؛ عندما افتخر كل واحد بصاحبه فذكرت لكل واحد منهم بيتا شعريا وقامت بنقده من وجة نظرها، وأتت بدليل الحكم النقدي الذي أصدرته في حق ذلك البيت وعدلت في بعض الكلمات مثل نقدها لشعر نصيب فقالت لراويته أليس صاحبك القائل (من الطويل) :

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت *** فوا حزناً من ذا يهيم بها بعدي

فما أرى لـه من همة إلا من يعشقها بعده ؟ قبحـه الله وقبح شعره ألا قال : (من الطويل):

أهيم بدعد ما حييت وإن أمـت *** فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

وهنا أضافت على البيت معنى آخر تضمن في داخله استحواذ هواها لـه فقط ، ولكن في قول الشاعر الأرجح أن تهوى غيره .

وكذلك فعلت بقول الأحوص . فكان تعقيب الحمدوني بأن ليس كل ما ذكرته ساقطا ، فلكل منه وجهٌ ولصاحبه فيه قصد، وإنما حَسُن الخبر إذ كان من امرأة قد تتبعت فحول الشعراء وظرفت في ما تتبعتهم به ، وقصر رواتهم عن جوابها)[1].

فقد جعل سر حسن هذا النقد أنـه من امرأة استطاعت أن تفحم الرجال الثلاث وثناؤه على أنه من امراة، له دلالة على نظرة الحمدوني للمرأة واستبعاد أن يصدر من النساء مثل هذه الأحكام؛ لذا جعله مركز حسن النقد ، ويا ترى ما نظرته إذا صدر من رجل؟ .فهل كان أعطى إجابات بالإنابة عن هؤلاء الرواة ، أم كان الرواة وجدوا جوابا بأنفسهم على الناقد الرجل؟.

ومن تعقيباته حل الألغاز وحاول ذلك في شعر حسن بن علي الصيرفي (من السريع) .

يا ابن المغيث اسمع بأعجوبة *** جاءتك مني تستخفُّ الحليمْ

قد صرت في ذا الحبِّ أحدوثةً *** ذا كبدٍ حرَّى وجسمٍ سقيم

[1] التذكرة الحمدونية ج ٧ ص ٢٩٠وانظر _ الأغاني ابو الفرج الاصفهاني ١٦ ص١١٠-١١١

يلعب بي ضـدَّان باسم الذي *** أهوى كريح لعبت بالهشـيم

وتابع حتى :

وجـدته في الآس والبان والر *** راح وفي نعتي وفي بعض النسيم

لو كـنت إلا مثل ما قال فـي *** [1] بعض اسمه مالاح برق وشيم

فشرح الحمدوني وقال: أكثر مقاصده في هذه الأبيات مفهوم إلا قوله : وجدته في الآس ... البيت فإن فيها استغلاقا. أراد الألف من الآس ، والباء من البان والراء من الراح ، والألف الثانية تسقط لتكرارها ، والهاء من هائم وهو نعت له والياء والميم من النسيم وهي بعضه كما قال . وبهذا حل اللغز عن كلمة إبراهيم ولكنه أسقط الألف الثانية وهي تكررت في غير موضع وأغلب الظن أنها صحيحة وتكتمل كلمة إبراهيم بها وليس ما يدعو لإسقاطها .

وله تعقيب يوضح فيه الشخص المقصود ومن ذلك تعقيبه على بيت الأعشى : (من المتقارب) :

وأبيض مختلـط بالكرام *** لا يتغــطى بإنفادها

أتاني يؤامرني في الشـمول *** ليلا فقلت له غــاده[2]

فعقب الحمدوني موضحا من هو صاحب الضمير الذي حكى عنه الشاعر فقال : يعرض بحسان بن ثابت لأنه شرب عنده ، فلما فني الشراب قام يقول إذا أفنى الشراب لم يستتر من أصحابه . وقوله أتاني يؤامرني : إنه أتاه بالغداة ، فقال له : نشربها الليلة ، فقال غادها الساعة . وبهذا وضح الحمدوني الأبيات ومقصدها وتأويله لما قصد من المعنى الخفي والله أعلم.

ومن تعقيباته إضافة معلومات لمعنى البيت الشعري ومن ذلك تعقيبه على شعر العطار المغربي: (من الطويل)

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٨ ص٣٢٤

[2] المصدر السابق ص ٣٥٩ وانظر ديوان الأعشى ميمون بن جندل المسمى الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشىوالأعشيين - - الآخرين مطبعة آذلفهل هوسن سنة ١٩٢٧باعتناء المستشرق رودلف جيبر ص١٦٢ -١٦٣

وكأسٍ تُرينا آيةَ الصبح والدجى *** فأولها شمسٌ وآخرها بدر [1]

فكان تعقيبه يحمل معلومة أن الشمس عند الفلاسفة حمراء الجرم ، صفراء الشعاع ؛ والقمر أصفر الجرم أبيض النور ، وإلى هذا ذهب فوضح بتعقيبه التشابه الذي بني عليه هذا الشعر وربط ما بين الشمس والقمر والكأس التي وصفت .

ومن تعقيباته أن يذكر فيه مصدر إلهام الشاعر مثل ما عقب على شعر ابن الرومي في بعض أبيات هجائه:(من السريع)

صبرا أبا الصقر فكم طائر *** خرَّ صريعا بعد تحليق

زُوِّجت نُعْمى لم تكن كفؤها *** فصانها الله بتطليق

لا قدِّست نعمى تسربلتها *** كم حجةٍ فيها لزنديق [2]

فروى أنه اقتدح زناد هذا المعنى من رجل اجتاز به وهو يقول: لو كان هاهنا عدل في العطية وقسم بالسوية ، ما ملك أبو الصقر ما يملك .

وهذه التعقيبات على سبيل المثال لا الحصر ، ولكنها لم تظهر تعقيباته وملاحظاته كثيرة في كل المصنف الضخم ، وهو الرجل المطلع الذي استطاع أن يجمع كل هذه المادة ويرتبها ويعرف مصادرها؛ كان بإمكانه أن يعقب ويشرح ويذكر ملاحظاته وينتقد ويسجل رأيه صريحا في هذه المواقف الكثيرة التي ذكرها وتتضح شخصيته وسماتها ويضع بصماته على كتابه ولكنه لم يفعل واكتفى بهذا

---

[1] الحمدونية ج٨ ص٣٦٣

[2] المصدر السابق ج٥ ص١٤٥ وانظر ديوان ابن الرومي– تحقيق د-حسين نصار – دار الكتب المصرية –القاهرة١٩٧٩ ص١٦٣٤

الفصل الثاني : تراجم الشعراء

المبحث الأول : اسم الشاعر ونسبه

المبحث الثاني : هوية الشاعر

المبحث الثالث: بيئة الشاعر

المبحث الرابع : علاقة الشاعر برجال عصره

المبحث الخامس : مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية في حياة الشاعر

المبحث الاول

اسم الشاعر ونسبه:-

ذكر الحمدوني عشرات الشعراء ، منهم المشهور ، ومنهم المعروف لدى البعض، ومنهم المغمور ، ومنهم من ذكر شعره ولم يذكر اسمه، ومنهم من له ديوان جمع شعره بين دفتيه، ومنهم من صنع ديوانه صناعة، ومنهم من وجد شعره في الكتب العربية ومن بينها التذكرة الحمدونية ، وقد كان ذكره لأسماء هذا الكم من الشعراء مختلفا إذ لم ينتهج منهجا واحدا في تعريفهم جميعا ، فذكر بعضهم بلقبه فقط في معظم الصفحات ، وذكر اسمه الحقيقي في موضع واحد أو اثنين ومن هؤلاء الحطيئة ، تأبط شرا ، الشنفرى المجنون ، المتنبيء والأعشى والخنساء والفرزدق ، ومنهم من ذكره بكنيته مثل أبو العتاهية ، وأبو تمام ، وأبو عطار السندي ، وأبو الطحان ، ،أبو مهوش الأسدي وأبو هفان ؛ كما ذكر عددا من الشعراء بأسمائهم كاملة وملحقين بنسب قبائلهم أو ذكرهم فقط ، ومن هؤلاء عمر بن أبي ربيعة ، ومروان بن أي حفص ، وعروة بن الورد ، ،عروة بن أذينة ، وقطري بن الفجاءة ، والحارث بن خالد المخزومي والمخبل السعدي ، وبشر بن عامر بن جون بن قشير ، وقيس بن الخطيم ، وحاتم الطائي ، والعباس بن الأحنف ، ويحيى بن يزيد الحارثي ، وعلي بن يوسف المغربي التونسي ، وشريح بن الأحوص ، الطرماح بن حكيم الطائي ، ولقيط الأيادي ، وقيس بن الخطيم ، والحارث بن حلزة ، والأقرع بن معاذ والحسن بن هانيء ، وعمرو بن كلثوم ، وزهير بن أبي سلمى ، وحسان بن ثابت ، كعب بن زهير . والمجموعة الأخرى هي من اكتفى بذكر أسمائهم فقط دون أن يتعرض لتعريفهم بأي إضافة كانت وهم بشار ، والمتلمس ، وثابت قطنة ، وجرير . والبعض ذكر أسماءهم مقرونة باسم الأخ الذي جابت شهرته الآفاق أكثر منه، ومن ذلك مسرد بن ضرار وقال أخو الشماخ ،وذكر صخر مقرونا باسم أخته الخنساء كما أتى باسم هشام مقرونا باسم أخيه ذي الرمة .

ومن الأسماء ما ذكره مطولة وملحقة ببلادها بعض الأحيان مثل علي بن يوسف المغربي التونسي ، وعبد الله بن بحر الأزدي المعروف بالعطار المغربي ، وعمارة ابن عقيل بن بلال بن جرير ، وعلي بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي ، وأمية

بن أبي الصلت الثقفي ، وزيد بن عمرو ابن قيس بن عتاب أو محمد بن الحسين الآمدي وقال عليه (من أهل النيل) ومنهم من ذكر اسمه مقرونا بلقبه مثل سلم بن عمرو الخاسر أو يذكر اللقب ثم الاسم مثل أعشى همدان واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ، وذو الرمة مزاحم العقيلي ، أو الأعشى وهوميمون بن قيس .

ومن النساء سبق ذكر الخنساء مع من ذكر بلقبها فقط ولم يذكر اسمها الحقيقي في المصنف ، ومنهن كذلك الزلفاء بنت الأبيض وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وصفية الباهلية ، وذكر عددا من الجواري الشاعرات أمثال عريب وغيرها ثم عمد لألقاب الشعراء وذكر كل شاعر ووضح لماذا لقب بذلك أحيانا عندما يذكر شعرهم أو من خلال صفحة جعلها لأسماء الشعراء وأنسابهم وألقابهم ..

المهلهل بن ربيعة التغلبي : اسمه عدي والمهلهل غلب عليه لأنه أول من من هلهل الشعر أي أرقه ،ويقال أنه أول من قصد القصائد)[1].

الأسعر بن أبي حمدان الجعفي ، ولقب بذلك لقوله (من الطويل) :

فلا يدعني قومي لسعد بن مالكٍ *** لئن أنا لم أسعر عليهم وأنقُب

وعندما ذكر شعره ولقبه ذكر اسمه كذلك ، واسمه مرثد بن الحارث[2].أما المتلمس جاء باسمه كاملا أسوة ببقية الشعراء واسمه كما جاء في التذكرة الحمدونية، جرير بن عبد المسيح الضبعي وقيل جرير بن يزيد الضبعي و سمي المتلمس لقوله (من الطويل) :

فذاك أوان العرض حي ذبابة *** زنابيره والأزرق المتلمّس

ومثلهم الحادرة قال: اسمه قطبة بن حصن ، وغلب عليه الحادرة ببيت قاله وهو (من المتقارب)

---

[1] التذكرة الحمدونية ج ٧ص٣٧١

[2] المصدر السابق ص٣٧١

كأنك حادرة المنكبين *** رصعاء تنفض في جامر

وكذلك "تأبط شرا الفهمي اسمه ثابت بن جابر ، ويزعم أنه قتل الغول وجاء متأبطا لها فألقاها وسط أصحابه ، فقالوا : لقد تأبط شرا ، فغلبت عليه ، وقيل : بل أخذ جونة فملأها حيات ثم أتى بها أمه متأبطها فقالت : تابط شرا[1]، والرأي الثاني هو الأرجح لإمكانية حدوثه رغم صعوبته ، والغول حيوان خرافي وفي كلا الحالين يدل الحدث على شجاعته.ومعظم هذه الألقاب كان سببها الأبيات الشعرية التي قالها هؤلاء الشعراء واضعين بذلك تلك التسميات التي خلدت بها أسماؤهم وأصبحوا يعرفون بها دون أسمائهم الحقيقية.

وبعض الشعراء أتي بأنسابهم متسلسلة ، ثم يذكر لقبه والسبب الذي لقب به مثل الحطيئة الذي أتى باسمه الحقيقي أولا فاسمه جرول بن أوس بن جوية بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، ثم ذكر سبب اللقب لاذي لحق به وهو أنه (حبق) في مجلس قومه فقال إنما هي حطأة فسمي الحطيئة.

وبعضهم ذكر سبب غير الشعر ،إنما لقب لشكل وجهه الذي شبه تشبيها صار لقبا لصاحبه وهوهمام بن غالب (الفرزدق) الذي كان كما قيل جهم الوجه فشبهته امرأة بالفرزدقة وهي قطعة من العجين يصنع منها الفتوت ، وقيل لقبه أبوه تشبيها بدهقان يعرفه ولكن لم يذكر العلاقة بين هذا الدهقان وكلمة الفرزدق[2].

ومنهم من لقب بأكثر من لقب ، ولكل لقب قصته وهو جذيمة بن عوف الأنماري : ضربه أثال بن لجيم فجذمه ، فسمي جذيمة وضرب هو أثالا فحنف رجله فسمي حنيفة وقال من الوافر :

إن تك خنصري بانت فإني *** بها حنفت حاملَتَيْ أثال

---

[1] المصدر السابق ص٣٧٠

[2] المصدر السابق ص٣٧٣

ولكن لم يذكر السبب الذي أدى لهذا الضرب بين الرجلين،والشعر الذي يحمل اللقب قيل بعد التسمية مختلفا بذلك عن بقية الشعراء الذين يقولون الشعر فيصبح سببا في ألقابهم ولا يمنع أن يكون مثلهم وأكتسب اللقب بعد توثيق الحادثة .

وبعض منهم يأتي باسمه مقرونا بكنيته مع ذكر سبب تسميته واسمه الحقيقي ومن ذلك النابغة الذبياني الذي كني أبا أمامة واسمه قيس ابن عبد الله وسبب لقبه لأنه غبر برهة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله . ويا له من نبوغ خلد ذلك اللقب وتلك القصائد التي بقيت شاهدا على قوله ، أما الجعدي فقد كني أبا ليلى وهو من المعمرين فقد عاش حتى رأى دولة بني أمية[1] . فقد أتى بالشعراء باسمائهم مرة وبألقابهم مرة أخرى ومن ثم أفرد لهم صفحات شملت أنسابهم متسلسلة أحيانا وبكنياتهم وألقابهم أحيانا أخرى وقد حوت التذكرة الحمدونية المئات من الشعراء ذكرت أسماؤهم وأنسابهم بطرق مختلفة . كما ذكرت الظروف المختلفة التي وجهت هوياتهم في لحظة ولادة القصيدة وهذا ما سندرسه في المبحث القادم بعنوان هوية الشاعر .

[1] انظر التذكرة الحمدونية ج٧ ص ٣٧٣

المبحث الثاني :هوية الشاعر

جمع الحمدوني الكثير من الأشعار التي تحمل اتجاه قائلها في لحظة من لحظات ولادة الشعر بمثابة هوية لهذا الشاعر ،ولقد كان الشعراء ذوي قدرة على قول الشعر وفقا للتجربة الشعرية التي يعيشها أحدهم ، فتتثال عليه القصيدة بعدها ويرتجلها ارتجالا ، وليس هناك مجالا للتخصص في الشعر أسوة ببقية الفنون ، وهذا ما فطر عليه الشاعر واستحق به ذلك الاسم ليكون شاعرا رقيق الإحساس وقادرا على التعبير ، ووصف تلك الأحاسيس ، وتمجيد الأخلاق ، ورثاء الموتى ، ومدح من يستحق المدح ، وهجاء من توجد فيه مثلبة ، وشكر من يجعل يده هي العليا بالعطايا الحسية والمعنوية، وعتاب من يريد المحافظة على العلاقة بينه وبين من عاتبه وغير ذلك من الأغراض الشعرية التي يجد الشاعر نفسه فيها، ويعبر عنها .

ذكر الحمدوني وأكثر من الأغراض المتنوعة التي تحمل هوية شعراء التذكرة ، منهم من وثق لهم ومنهم من جهل أو تجاهل أسماءهم ، ومن هؤلاء من وجد هويته في علو الهمة وابتناء المجد من خلال مقابلة الموت والصبر عليه وسجلوا ذلك فخرا في مقطوعاتهم الشعرية وقصائدهم المتنوعة منهم الكثيري الذي قال (من الكامل) :

الموت أجمل بالفتى من خطـةٍ	***	في الناس خوف شـنَارها يتقنَّع
شتان من أعطى الرجال ظُلامةً	***	حذر البلاء وآخر لا يخضـع
ليس الجزوع بمفلتٍ من يومـه	***	والحر يصبر والأنوف تجدع
لعن الإله عـداوةلا تتقى	***	وقرابة يدلى بها لا تنفـع[1]

الكثيري يرى الموت أفضل من حياة يكون بها وصمة للفتى يعيش بها بين الناس، كما يرى أن الفرق شاسع بين رجل يخضع لغيره، وآخر يقف أمام الرجال مدافعا لأن الجزع في نظره لا يزيد عمر المرء يوما ، ولا يساعد في الإفلات من الموت في اللحظة التي كتبت فيها نهاية حياته، وهذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان .

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ ص ٥٧

ومن اشتهر بعلو الهمة والفخر المستمر بالنفس والطموح اللامحدود رغم ما يواجه من عقبات هو المتنبي الذي كان يجد هويته في ذلك بشتى السبل فأوردها الحمدوني دون تعليق عليه ، ولكنه حافظ على مكانة الشاعر في هذا الجانب ومن تلك الأشعار(من الخفيف):

إذا كانت النفوس كبارا *** تعبت في مرادها الأجسام[1]

يرى المتنبي إذا كبرت نفس المرء وكانت تواقة للعلا ، وطلب المجد فإن الأجسام لابد أن تتعب وتتحمل ذلك العبء ، وقد وجد تلك الهوية أيضا في مقابلة الحادثات بنفس جلدة في مواجهة المصائب ويصبح الكثير منها قليل للقوة المعنوية التي تبذلها في سبيل المجد والعلا بين قومه، فهو يستهين بإصابة نفسه مقابل أن تسلم عقول لتدبير كيفية الحصول على المجد وتسلم بالتالي أعراضه من طعن ومن قول يصيبها فقال (الطويل)

وإنا لنلقي الحادثات بأنفسٍ *** كثير الرزايا عندهنَّ قليل
يهون علينا أن تصاب جسومنا *** [٢]وتسلم أعراضٌ لنا وعقول

يجد هويته في لحظة أخرى في الصبر والحماس لتحقيق المعالي وعلى نفسه أن تحتمل ما يواجهها من صعاب وأن تتخطى ما يعوقها من عقبات فهو يرى أن من طلب العسل عليه أن يحتمل لسعات النحل، وكذلك المعالي ليست رخيصة أو سهلة لتحقيقها .

أما عامر بن طفيل وجد هويته في طلب المعالي والفخر في صفات أخرى فقال : (الطويل)

إني وإن كنت ابن سيد بني عامر *** وفي السر منها والصريح المهذب

---

[١] التذكرة الحمدونية ج٢ ٥٨
[٢] المصدر السابق ص٥٩

فما سودتني عامر عن وراثة *** أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي *** أذاها وأرمي من رماها بمقنب[1]

فهو ابن سيد قومه ، ويحفظ ذلك الحق لأبيه ،ويفتخر بأبيه وأمه فخرا غير مباشر وكذلك يثبت لنفسه مكانتها من العلا والسيادة بما قدم لقومه من حماية قومه وأهله فسادهم بما قدم لهم من تضحيات، فعرفوا فيه صفات السيد، فسودوه لتلك الصفات وسيد مثل ذلك سيواصل الدفاع عنهم وتقديم المكرمات لهم.

أكثر الحمدوني من ذلك فأورد شعراء كثر في هذا المجال أمثال الحضين بن منذر وعوف بن الأحوص وابن الإطنابة وابن هرمة وأبو فراس الهذلي وثابت قطنة والنمري وهؤلاء على سبيل المثال لا الحصر .

الرضي ذلك الشاعر الذي عرف بالأخلاق الطيبة، يذم السيء منها لأنه يجد نفسه وهويته في التخلق بالأخلاق الحميدة: (من الطويل)

وأكثر مَن شاورته غير حازمٍ *** وأكثر من صاحبت غير الموافق
إذا أنت فتشت القلوب وجدتها *** قلوب الأعادي في جسوم الأصادق
رمى الله بي من هذه الأرض غيرها *** وقطع من هذا الأنام علائقي
يظنون أن المجد ممن له الغنى *** وأن جميع العلم فضل التشادق[2]

فهو لا يحب التعامل مع الذين يحملون أخلاق المنافقين ، والذين يعرفون بعدم الحزم، جميعهم يريد أن تقطع العلاقة بهم لأنهم يظهرون الصداقة ويضمرون العداوة ويظنون أن المجد لمن له الأموال الطائلة وهو يختلف عنهم في هذا المفهوم، ووجهة نظره أن المجد في الأخلاق الفاضلة لذلك يجد هويته ونفسه في ذلك وبالطبع بعيدة عنهم . ومثله قيس بن الخطيم وزهير بن أبي سلمى وغيرهم لم يذكرابن حمدون أسماءهم مع أشعارهم .

ومن الشعراء من يجد نفسه في العطاء والجود والسخاء والبعد عن البخل واللؤم وأهمهم سيد الكرم الذي يذكر كلما يذكر الكرم لأنه ارتبط باسمه ألا وهو حاتم الطائي

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ ص٦٧
[2] المصدر السابق ص٢٤٣

وقد خلد الكثير من الأشعار التي تعرف بهوية الكرم التي طالما عشقها ووهب لها كل ما يملك ومجد بعض أخلاقه تلك في أشعاره (من الطويل) :

أماوي إن المـال غادٍ ورائحٌ *** ويبقى من المال الأحاديث والذكر

وقد علم الأقـوام لو أن حاتما *** أراد ثراء المال أمسى له وفر[1]

وهي قصيدة طويلة وضع فيها فلسفته المالية ، وقناعته بأن المال يذهب ويعود يعني أنه غير خالد، ولكنه يخلد الأحاديث العطرة والذكرى الجميلة لما يفعل به من مكارم الأخلاق. وتابع في تلك القصيدة أهمية الجود، وذكر لماوية أن ما أفنى من المال لم يضره شيئا ، وأنه مر عليه زمن أصبح فيه غنيا، ولكنه يجد هويته في الجود والتوثيق له من الأهمية بمكان، فوثقه في هذا الشعر الذي زينه بالبديع ممثلا في الطباق بين غاد ورائح وغير ذلك من الأساليب الخبرية والاستفهامية الجميلة .

ومثله الأقرع بن معاذ في إحساسه بهويته في الفخر بالجود وشعر الجود عندما وصف حاله ومدى إصراره على مساعدة المحتاج في حالتي عسره ويسره ، وأنه مثل البحر من حيث العطاء في كل الأوقات وذكر كل مراحل حياته شيبه وشبابه . ومثلهم ابن هرمة الذي يرى أن الجود في ذبح إبله وإكرام ضيفه بها ، وكذلك الخثعمي الذي وجد هويته في الجود بكل ما لديه وقناعته أن التبذير كرما لا يهلكها ، وإن حدث ذلك فسيبقى منها الحمد، متفقا في هذه الفكرة مع سيد الكرم حاتم الطائي .ومن شعراء هوية الفخر بالكرم شريح بن الأحوص وعروة بن الورد والهذلي والطرماح بن حكيم وغيرهم.

ومن يجد هويته في الفخر بالشجاعة والإقدام ووثق ذلك شعرا فأصبحت من جيد أشعار العرب ومشهوره ذلك هو الحصين بن الحمام في قصديته التي مطلعها: (من الطويل)

تأخرت اسـتبقى الحياة فلم أجد *** لنفسـي حياةً مثل أن أتقدما

حتى قوله :

فلست بمبتاع الحـياة بسُبَّة *** ولا مرْتقٍ من خشية الموت سلما[2]

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٢ ص ٢٦٦

(٢) التذكرة الحمدونية ج٢ ص٤٠٠

وقد ذكر خلال أبياته كثرة الدم كناية عن كثرة القتل كما ذكر ظلمة اليوم وأن هذا اليوم كالليل ذي الكواكب من كثرة لمعان السيوف ، ووصف كيفية إعمالهم السيوف التي قطعوا بها أيدي العداة ولم يفته وصف صبرهم في ذلك اليوم،وكانت قناعته بأنه لن يكسب لنفسه الحياة ويوصمها بسبة الجبن، ولن يهرب من الموت باعتلائه سلم الحياة ،فكانت القصيدة تصوير لمشاعر شجاع لم يصارع حب الحياة في دخيلة نفسه ؛إنما وهب لنفسه الحياة بإقدامه على الموت بنفس راضية .

وكثير من الشعراء وجدوا هويتهم في الشجاعة والحياة بعزة أو الموت بصبر وثبات. منهم نضلة السلمي وكعب بن مالك وقيس بن ثعلبة والقتال الكلابي والعباس بن عبد المطلب وزيد الخيل وعمرو بن كلثوم وتأبط شرا وطفيل الغنوي و قطري بن الفجاءة وهؤلاء على سبيل المثال لا الحصر .

الأمانة والوفاء كانت من شيم العرب التي طالما اعتزوا وافتخروا بها وقد تنوعت الأمانة والوفاء وتعددت أنواعهما، فكان الوفاء والأمانة والغدر للعلاقات الإنسانية والسياسية والأخوية ولعلاقة الصداقة. ومن ذلك ما ذكره الحمدوني عن وفاء الأزواج والذي وثقته إحدى نساء العرب ولم يذكر الحمدوني اسمها وقد شاهدها في حكايته سليمان بن عبد الملك تبكي عند أحد القبورفأعجب بجمالها فخطبها لنفسه فأجابته قائلة (من الطويل):

فلا تسألاني عن هواي فإنه *** بحوماء هذا القبر يا فتيان
وإني لأستحييه والترب بيننا *** كما كنت استحييه وهو يراني[1]

فقد كانت وفية لهذه العلاقة الإنسانية النبيلة، واستمرت على ذلك الوفاء حتى بعد موت أحد طرفي تلك العلاقة وهوزوجها ، عاشت وفية لذكراه وقد صورت ذلك الوفاء حياءً..

وفاء الحيوان كان له نصيبه في كتاب التذكرة من خلال قصة الكلب الذي أنقذ صاحبه في الوقت الذي تخلى عنه أخوه وصاحبه ولكن كان الكلب أكثر وفاء منه ، فكشف عنه التراب الذي حثي عليه بعد أن ضرب وكان سبب نجاة صاحبه[٢].

---

[١] المصدر السابق ج٣ص ٢٩
[٢] التذكرة الحمدونية ج٣ ص٤٢

وقد كان الغدر مذموما عند البعض ومحببا عند البعض الآخر فربما كانوا ينظرون إليه كنوع من التدبير والحنكة، ومن ذلك ما حدث مع الزبير بن العوام وعمرو بن جرموز وقد اشتهر الأخير بالغدر وقد مر الزبير بعد معركة الجمل ممسيا بأحد أندية البصرة فوصفوه بالشجاعة، وبعثوا ابن جرموز ليسأله عن أخبار المعركة فأدركه بواد السباع فسأله، فوصف له ما كان يدور في المعركة، ثم أراد الزبير الصلاة، فأمنه عمرو وعندما بدأ الصلاة غدره متهما إياه برمي الشر بين الناس وجعلهم يضربون بعضهم البعض، فحدث نفسه وعزم على ألا ينجو ابن العوام سالما ، وقد وثقت ذلك زوجته عاتكة بنت زيد بن نفيل في بيتين من الشعر وصفته خلالهما بالشجاعة يوم اللقاء ووصفت شجاعته إذا نبه فهو ليس بطائش عند

الرمي ولا مرتعش عند الضرب فقالت: (من الكامل) :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة *** يوم اللقاء وكان غير معرَّد

يا عمرو لو نبهته لوجدته *** لا طائشا رَعِش السنان ولا اليد[1]

ومن الشعراء الذين ذكروا في التذكرة وقد كانت هويتهم في تمجيد صفة أو ذم أخرى الرضي الموسوي وعيسى بن موسى أبو فراس بن حمدان ومسعود بن عبد الله الأسدي وغيرهم ممن ذكر شعره ومناسبته من الوفاء أو الغدر ولكن لم يصرح بهم الحمدوني .

الشعراء الذين وجدوا هويتهم في المدح كثر وقد كان المدح بمثابة توثيق لفضيلة من الفضائل تجعل من الممدوح مركز اهتمام المادح، فيبرز الصفة التي أدت لتلك النعمة ويلحقها بصفات جليلة أخرى. وقد اشتهر في هذا الفن زهير بن أبي سلمى في هرم بن سنان حتى أقسم هرم بن سنان أن يعطي زهير عشرة أعبد وأمة إذا سلم عليه فقط فوصل الأمر بزهير أن يلقي تحية الجاهلية ويستثني ابن سنان ويفضله على الجالسين ، ومن مدائحه (من البسيط) والتي مطلعها :

دع ذا وعد القول في هرم *** خير الكهول وسيد الحضر[2]

---

(١) المصدر السابق ص٣٥

(٢) التذكرة الحمدونية ج٤ص١٠

وقد وصفه بصفات علق عليها عمر بن الخطاب : بأن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا يعني بأنه مدح وأفاض فوصفه بالشجاعة والكرم ومواصلة الأرحام وأنه منور كالبدر وهذا المدح كان هوية زهير بن أبي سلمى التي تذكر كلما ذكر زهير، وارتبط اسمه بالمدح فخلد ما صنع هرم بن سنان ولم تخلد حقيقة تلك العطايا لأنها مما لايخلد وآل إلى الزوال.

وقد سار على النهج ذاته ابنه كعب في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومدحته الشهيرة كانت مدحا واعتذارا وإعلانا لإسلامه به صلى الله عليه وسلم وقد مدح فيها النبي عليه السلام بأوصاف لا توجد إلا في نبي مثله . وممن وجدوا هويتهم في هذا الفن أمية ابن أبي الصلت الثقفي وممن مدح عبد الله بن جدعان ، والشماخ ابن ضرار وحسان بن ثابت وذو الرمة والأخطل ومزاحم العقيلي وليلى الأخيلية .

وكان للاعتذار شعراؤه الذين أجادوا فيه منهم النابغة الذبياني حتى قيل إنه أشعر الناس إذا رهب، فرهبته من قطع العلاقة بينه وبين من اعتذر منهم جعلته يبدع ويضيف لديوان العرب الكثير من القصائد في الاعتذار من النعمان بن منذر. وقد كناه بأبي قابوس في أكثر من قصيدة في أسلوب من أساليب الاعتذار وإدرار العطف والتسامح ومن قصائده في هذا الغرض الذي ارتبط باسمه، تلك التي مطلعها (من البسيط) :

أنبئت أن أبا قابوس أوعدني *** ولا قرار على زأر من الأسد

وقال فيها :

ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه *** إذن فلا رفعت سوطي إليَّ يدي
هذا لأبرأ من قولٍ قُذفت به *** طارت نوافذه حرًّا على كبدي[1]

وكان من أساليب الاعتذار أيضا النكران والتنصل عن الجرم الذي اعتذر عنه ، وذكر إحساس الألم من تلك التهمة .وكذلك أسلوب طريح بن إسماعيل الثقفي في

[1] التذكرة الحمدونية ج٤ ص١٠٧

اعتذاره إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك والبحتري الذي مشى على خطوات النابغة في هذا الفن ووصف بأنه نابغي الاعتذار.

الرثاء هذا الفن الذي يسجل إحساس الحزن والألم على فراق الأهل من أزواج وزوجات وأبناء وأطفال وكذلك الأصدقاء. تكون فيه المشاعر صادقة يسكبها ذووا المتوفى، ومن لهم قدرة على قول القوافي، وكذلك في الملوك والرؤساء، ترثى فيهم إنجازاتهم، وصفاتهم التي أمنت معها رعاياهم. الرثاء يحمل دائما صفات الميت الجليلة ويكون تعازيا في تلك الشخصيات ،ويدلي كل بدلوه في هذا الأمر ومن كبار الشخصيات التي شارك فيها الكثير من الشعراء والمتحدثين بعد النبي صلى الله عليه وسلم، كان عمر بن الخطاب وممن رثاه علي بن أبي طالب و الشماخ ، ومن رثى الأخوة ووجد نفسه وهويته في هذا الفن وارتبط اسمه به هو شاعرة الرثاء الخنساء وقصائدها المشهورة في أخيها صخر، قد أكثرت وأبدعت في وصفه بما لم يوصف به قبله، ومعها ليلى بنت وهب التي رثت أخاها ، وكذلك الأبيرد الرياحي. ومن رثاء الأمم رثاء البرامكة الذي أبدع فيه عدد من الشعراء. ومن رثاء الأزواج ما نظمته عاتكة بنت نفيل والزلفاء بنت الأبيض ، أما رثاء النساء من جواري وزوجات فقد أخذ الكثير من صفحات دواوين الشعراء كالفرزدق في رثاء زوجته التي ماتت بجمع (بجنينها)فكانت مصيبته مصيبتين، وكذلك مسلم بن الوليد فقد وجد هويته في مرحلة من حياته في رثاء زوجته التي كانت له نعم الزوج فجزع عليها جزعا شديدا، فأتاه أحد أصحابه فأقسم أن يزوره حتى يرفه عنه وقدم له الشراب فتمنع وقال (من الطويل) :

بكاء وكأس كيف يجتمعان *** سبيلاهما في القلب مختلفان[1]

وقد ذكر فيها أن حزنه لم ينته، وإنهم لا يجدون ما يجده ، ووصف مشاعره الحزينة بدقة حتى وصلت مرحلة اليأس من تعافيه عن حزنها .ويصعب حصر شعراء هذا الغرض الشعري فقد كانوا ينظمون قصائد الرثاء حتى في المجاملات من أجل

[1] التذكرة الحمدونية ج ٤ ص٢٨٣

التسلي والعزاء ولن يتوقف الموت ولن ينضب معين الشعر عند الشعراء ولم يترك الحمدوني جهدا في جمع وتصنيف هويتهم في هذا الفن .

من الشعراء كذلك من وجد هويته في النسيب والغزل، فأكثروا من الشعر في وصف مواضع جمال المحبوب التي أدت لشدة الغرام والوجد، ووصفوا إعراض المحبوب وصده وما ترتب على ذلك من الشوق إليه وأبدعوا في وصف أحاسيسهم عند الوداع، وكذلك فرحتهم باللقاء كذلك وصفوا ما بين الوداع واللقاء وما وجدوا من البكاء والأرق والنحول والصبر على ذلك.وقد ذكر الحمدوني هوية شعراء التذكرة في أكثر من عشرين نوعا منه منهم من أعلن حبه كحب الزوجات مثل أبي الأسود الدؤلي، وأبي وجزة السعدي وغيرهم أو من شاع خبر حبهما بدون ذلك الرباط، منهم من لم يصرح بذكرها ومنهم من شهر حبه وارتبط اسمه بمحبوبته أمثال كثير وقيس وغيره ، ومنهم من أسر هواه وفضل الكمد وعذابه وقضى نحبه بسبب الهوية التي لم يشأ أن يجد لنفسه منها مفرا: أمثال الصمة بن عبد الله القشيري وكعب بن مالك المعروف بالمخبل ومن ذكرت من النساء في التذكرة الحمدونية حبيشة بنت حبيش من بني عامر بن عبد مناف، ومنهم العباد أمثال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار الملقب بالقس ، وأخرجه الهوى من تنسكه حتى سميت محبوبته بلقبه – سلامة القس – وعاد إلى نسكه بسبب الآية (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) [1] منهم كذلك عبيد الله بن عتبة بن مسعود وسعيد بن المسيب وأبو السائب المخزومي و غيرهم ممن وهبت له الحياة .

من الشعراء من وصف تلك الأحاسيس بدون أن يرتبط اسمه بمحبوب معين ولكن وجدت لهم أشعارا سجلوا فيها مشاعرالغرام أمثال المتنبي والبحتري وأبو نواس وابن الرومي والحسين الضحاك وأبو دهبل وقيس بن الخطيم ومن ذلك شعر المتنبي يصف نظرات الحبيب التي جرى منه الحب مجرى الدم ، وشغله عن كل شيء غيره فقال(من الطويل):

وما هي إلا نظـرة بعد نظرة *** إذا نزلت في قلبه رحل العقل

[1] سورة الزخرف الآية

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي *** فأصبح لي عن كل شغل بها شغل
كان رقيبا منك سد مسامعي *** عن العذل حتى ليس يدخلها العذل[1]

ومن أحسن في وصف طيف الحبيب وخياله وذكراه في الفترة التي غاب عنها هو قيس بن الخطيم في قوله (من الكامل) :

أني سربت وكنت غير سروب *** وتُقَرَّب الأحـلام غير قريبِ
ما تمنعي يَقْظى فقد تؤتـينه *** في النوم غير مصرَّدٍ محسوبِ[2]

فهي بعيدة عنه في اليقظة ، وهو يفكر بها ويشتاق إليها وقد قربتها منه أحلامه وحققت له ما لم يحقق في اليقظة من الرؤية واللقاء بينهما .
ومن وصف الرقة والنحول بسبب الحب والبعاد هو المتنبي في قوله: (من الطويل)

حلت دون المزار فاليوم لوزر *** [3]ت لحال النحول دون العناق

ومن وصف اللقاء والفرح به وبث الشكوى مما يجد المحب قول أحد الشعراء يصف لقاءه مع محبوبته وكيف أنه قضى ليلته يحادثها، وقد ردت تلك الليلة روحه بحديث يحي الميت من (الطويل):

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٦ ص٥٤
(٢) المصدر السابق ص٨٤
(٣) المصدر السابق ص ٨٨

فبتنا على رغم الحسود وبيننا *** حديثٌ كنشر المسك شيب به الخمر

حديثٌ لو أن الميت نوجي ببعضه *** لأصبح حيًّا بعدما ضمَّه القبر[1]

ومن اشتهر في هذا الفن هو قيس بن ذريح وقصته الشهيرة وجميل بثينة وكثير عزة ومن كتب فيه البحتري وذوالرمة وعلي بن الجهم وحميد بن ثور الهلالي والقطامي وغيرهم كثير والشعراء الذين ورد شعرهم في التذكرة كانوا على سبيل المثال لا الحصر، ومنهم من ذكرت قصته في التذكرة ولم يذكر اسمه .

وكثير من الشعراء تعاطى فن الهجاء ووجد هويته وهوايته في أبياته الشعرية ، جعلوه مصدر رزق لهم واستعملوه سلاح وقت الشدائد ، وكتب بعضهم الهجاء من أجل الهجاء ولأن لسانه فطر على ذلك فتعددت أنواعه، منها هجاء قبيلة بحالها وليس مجرد شخص أتى بشيء فجاء عقابه كلمات مقذعة وقد حوت قصائد الهجاء جميل الصور البديعية ، واستعملوا فيه خيالا خصبا مترعا بالصور البيانية ، ومن الشعراء الذين ترددت أسماؤهم جرير والأخطل والفرزدق ودعبل وبشار والطرماح وغيرهم ممن لم تذكر لهم أسماء ومن هجاء القبائل الذي تعاطاه بعض ممن ذكرت أسماؤهم أعلاه ما كتبوه في قبيلتي كليب ونمير غيرهما ويكفى أن أهجى بيت قيل في كليب وهو ما قاله الأخطل: (من البسيط):

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم *** قالوا لأمهم بولي على النار[2]

أما الفرزدق فقد هجى كليبا في قوله (من الطويل):

وما لكليب حين تذكر أولا *** وما لكليب حين تذكر آخرُ[3]

ومن ارتبطت هويته بغرض الهجاء أيضا هو جرير عندما هجا نمير قائلا:(من الوافر)

فغض الطرف إنك من نميرٍ *** فلا كعبا بلغت ولا كلابا

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٦ ص ٨٨

(٢) المصدر السابق نفسه ج٥ ص١٠٢

(٣) المصدر السابق ص١٠٢

فقد جعل جرير هذا البيت وصمة في جبين كل نميري .

ومنهم من هجا أخاه مثل ابن الرومي وابن بسام ، ومنهم من هجا زوجته مثل الفرزدق ومنهم من هجا شخصيات تسببت له في بعض الأذى ومنهم من هجا من أجل الهجاء مثل الحطيئة الذي يذكر اسمه كلما ذكر هذا الغرض، فإنه يجد هويته فيه لدرجة أنه يشعر بأنه يريد أن يهجو ولا يجد من يهجوه فيهجي نفسه بعد رأى وجهه في أبياته المشهورة:(من الطويل):

أبت شـفتاي اليوم إلا تكلُّما *** بسوء فما أدري لمن أنا قائِلُهْ

أرى لي وجها شـوَّه الله خَلْقَه *** فقُبِّح من وجهٍ وقُبِّح حامِـلُه[1]

كما هجا أمه وأباه . فكيف يصدر ذلك من إنسان يعلم أن هؤلاء والداه إلا من يجد هويته في غرض الهجاء وغير ذلك الكثير .

وها قد وصلنا لنهاية هذا المبحث وقد رأينا تنوع هويات الشعراء وفقا للمواقف التي تمر بهم فسجلوا بذلك مشاعر الكره هجاءا ومشاعر الحب غزلا وشكوى ومشاعر التقدير مدحا ومشاعر الطموح للكمال والحياة الكريمة فخرا وجعلوا من كلماتهم دموعا تصف مشاعر الحزن رثاءا .فقد اختلفت هوياتهم كما اختلفت بيئاتهم ، وهذا ما سنعرضه في المبحث التالي بعنوان بيئة الشاعر .

[1] التذكرة الحمدونية ص٩٥ وانظر – الاغاني الإصفهاني ج٢ ص١٣٦

المبحث الثالث بيئة الشاعر:

أظهر الحمدوني في مصنفة البيئات المختلفة التي عاشها شعراء التذكرة الحمدونية بمختلف أنواعها: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وذلك من خلال أشعارهم والمناسبات التي أدت لولادة تلك الأشعار، فمنها ما نطقت بحياتهم الاجتماعية، بما يحبون ويرغبون فيه، وبما يكرهون ويذمون من اتصف به ، كما سجلت كلماتهم كيف يعيشون وبماذا يستمتعون، وما الصفات التي بها يقدمون من يقدمون ويؤخرون من يؤخرون .

تمجد بيئاتهم الاجتماعية السؤدد والرئاسة والهمة العالية وملئت بها قصائدهم كيف لا؟ ألم تكن هي ديوانهم ومن ذلك شعر ابن المعتز فيما يدل على الهمة: (من الوافر) :

وبكر قلت موتي قبل بعل *** وإن أثرى وعدّ من الصميم
أأمزج باللئام دمي ولحمي *** فما عذري إلى النسب الكريم[1]

وأتى بقول شاعر مجهول:(من الطويل) كانت كلماته جزلة تدل على الهمة :

ومن يخش أطرافَ المنايا فإننا *** لبسنا لهنَّ السابغاتِ من الصبر
وإن كريه الموت مرّ مذاقُهُ *** إذا ما مزجناه بطيبٍ من الذكر
وما رزق الإنسان مثل منيَّةٍ *** أراحت من الدنيا ولم يجز القبر[2]

فالحفاظ على النسب الكريم، و كذلك الموت بشجاعة وصبر واعتبار أن الموت الذي يريح من هم الدنيا؛ كانت هذه صورة من صور الهمة لديهم عكستها المقطوعتان أعلاه.

وقد تقاربت نظراتهم لهذه الشجاعة وتشابهت صورها، فهذا مما تطلبه اجتماعياتهم. فهاهو الفضل بن المهلب يرى الشجاعة في أن تجود بنفسك حتى تخلد ذكرك بها،ولا يخلد الذكر إلا بتصرفات تدل على الشجاعة وذلك في قوله: (من الطويل)

هل الجود إلا تجود بأنفسٍ *** على كل ماضي الشفرتين قضيب

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٢ ص٥٥ ولكنها لم توجد في ديوانه
(٢) المصدر السابق نفسه الصفحة السابقة نفسها - وانظر- الأغاني- أبو الفرج الاصبهاني -دار الثقافة- بيروت ج٥ ص ١٩٨

ومن هز أطراف القنا خشية الردى *** فليس لحمدٍ صالح بكسوب

وما هي إلا رقدةٌ تورث العلى *** لرهطك ما حنَّت روائمُ نيب[1]

يعتبر ابن المهلب أن من يخشى الموت لا ذكر حميد له، وهذا ما علمتهم إياه مجتمعاتهم فمن يمت جبانا أصبح عار في جبين أسرته. كما تحمد بيئتهم الاجتماعية السيد الشجاع في مثل قول قيس بن الخطيم: (من الطويل)

وكنت امرءًا لا أسمعُ الدهر سبَّة *** أُسَبُّ بها إلا كشفتُ غطاءَها

وإني في الحرب العوان موكَّل *** بإقدام نفسٍ ما أريد بقاءها[2]

فقد ربط الحرب بسبة الدهر التي يعمل جاهدا على يبعدها عنه، وما هي إلا الشجاعة، والموت بصبر في سبيل تلك الذكرى بعده.

أما الخنساء فقد رأت أن السؤدد يكمن في صفات عدة رثتها يوم رثت أخاها صخروما كانت لتجعلها موضع فقد يستحق الرثاء إلا ما تعلمته من قوانين وعادات قبيلتها وحياتها الاجتماعية بينهم فقالت ترثيه: (من المتقارب)

طويل النجاد رفيع العماد *** ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدوا بأيديهم *** إلى المجد مد إليه يدا

فنال الذي فوق أيديهم *** من المجد ثم مضى مصعِدا

يكلفه القوم ما عالَهُم *** وإن كان أصغرهم مولدا

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ - ص ٤٠٥ وانظر الكامل المبرد ج١ ص ٣١٠

[2] المصدر السابق نفسه ص ٤٠٥ وانظر ديوان قيس بن الخطيم– تحقيق ناصر الدين الأسد –دار صادر – بيروت ١٩٦٧ – ص١٠

ترى الحمد يهـوي إلى بيته *** يرى أفضلَ الكسب أن يُحمدا[1]

الخنساء رأت أن السؤدد في حياتهم التي كانت تقوم على الشجاعة والكرم، ويكمن سؤدده في التميز بين أبناء القبيلة بما لديه من صفات حميدة حتى ساد قومه فرفع عماده كرما وسيادة، وكذلك رأت السؤدد في القوة الجسدية التي جعلت نجاده طويلا وكذلك والعمل على ابتناء مجد حاز عليه من بين أفراد قومه حتى لو كان أصغرهم، وليس هناك مكسب من كل هذا إلا الذكر الحميد الذي تركه بين قومه وفقد عظيم خلدته أخته عبر القرون رثاءً.

ومن ملامح حياتهم الاجتماعية كذلك الجوار واحترامهم له حتى لو كان بقبر ثاو ونجد ذلك في في قول أحد شعرائهم عندما استجار بقبر أبي الفرزدق ، فكان لابد له أن يجيره، ويقع عبء هذه الإجارة على ابنه الفرزدق الذي تلزمه العادات أن ينجز ذلك، وسجل هذا الرجل إجارته شعرا للفرزدق قائلا: (من الطويل)

بقبر أبي ليلى غالبٍ عذت بعدما *** خشيت الردى أو أن أُردَّ على قسر
بقبر امرىءٍ تقري المجير عظامُهُ *** ولم يك إلا غالبا ميتٌ يقري
فقال لي استقدم أمامك إنما *** فكاكُك أن تلقي الفرزدق بالمِصْرِ[2]

ومما سجلته قرائحهم الشعرية، وله مكانته في حياتهم الاجتماعية هو القنص واهتمامهم به كبير. وبالطبع الاهتمام بآلاته كذلك، وقد وصفوه كثيرا في قصائدهم ، كما وصفوا السبل التي كانت يزاول بها هذا النوع من الرياضة، ومن تلك الوسائل ، الكلاب والفخ والطير وغيرها وقد وثق المخزومي للفخ في قوله (من الرجز):

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ ص ٦٦ وانظر ديوان الخنساء (أنيس الجلساء) تحقيق أنور أبو سويلم – دار عمان ١٩٨٨ ص١٥-١٦
[2] المصدر السابق نفسه ص١٤٩

ذو قصر أحدب من غير كبر *** مُحتقَرُ المنـظر جبَّار الخبرْ
مستضـعفٌ لكن إذا ضيم انتصر *** مستأنس فإن مسسناه نفرْ [1]

فقد كان لهذا الفخ مكانه مما جعل المخزومي يصفه شعرا ، مستخدما خياله في الصور التي عكسها لنا عن الفخ، مما يعطي انطباعا بالحماسة والتقدير لتلك الآلة التي درجوا على استخدامها، وصار لها دور هام تؤديه وتكمل متعتهم بما يصطادونه.

ومن الطرق الأخرى التي سجلتها دواوينهم؛ كلاب الصيد في شعر ابن المعتز: (من الرجز):

وكلبة يغــدو بها فتيان *** أطلقــهم من يده الزمان
كأنها إذا تمطَّــت جان *** أو صــعدة وخطمها السنان
ونجمت للحظــها الغزلان *** فلحقت ما لحق العيـان [2]

ووثقت أشعارهم كذلك أوصافا دقيقة لرحلة الصيد معلنة عن وقتها في قول الشمردل: (من الرجز)

قد أغتدي قبل طلــوع الشمس *** للصـيد في يوم قليل النحس

ونلمح التفاؤل والاحساس بالأمل ووصف الأدوات التي معه وكيفية الصيد :

بأحجن الخــطم كمي النفس *** غرثان إلا أكلـة من أمس
يطـرح للطمس وراء الطمس *** كنظر الغضـبان أو ذي المس
حتى إذا عاين بعد الحبــس *** عشرين من حـباريات عبس
يمشين مشي الخاطـبات القُعْس *** أو كالنصـارى في ثيابٍ طلس

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٥ص٢٨٦

[2] المصدر السابق ج٥ص٢٧٥ وانظر ابن المعتز – تاليف ابوبكر بن محمد بن يحي الصولي- منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية – تحقيق د. يونس أحمد السامرائي – بغداد ١٩٧٨ج٢ ص٤٧٩

فهن بين أربعٍ وخمـس *** صرعى ومستدمٍ أميم الرأس[1]

أعطى النوع الذي يصطاده؛ فهو الحبارى ووصف لونه الأسود الجميل وحدد درجة اللون عندما شبهه بثياب النصارى فهي سوداء لامعة السواد. كذلك كيفية مشي تلك الطيور التي تتبختر ولا تدري ما سيجري لها بعد ثوان معدودة. فهي آمنة الآن وأعطى عددها بتركيز ومن تلك الأوصاف تخال الصائد وهو كامن يراقب كل ذلك في انتظار اللحظة التي تكون تلك الطيور بحوزته ويأخذها مستمتعا ، وقد أتت تلك اللحظة عندما وصفها بأنها صرعى بين أربع وخمس قد تبعثرن هنا وهناك .

وقد سيطر اهتمامهم بالرياض والبساتين على حياتهم الاجتماعية فورد كثيرا في أشعارهم مثل قول البحتري المشهور في وصف الربيع: (من الطويل)

أتاك الربيع الطلقُ يختال ضاحكا *** من الحسن حتى كاد ان يتكلما

وقد نبَّه النيروز في غلس الدجى *** أوائل وردٍ كنا بالأمس نوَّما

يفتحه برد الندى فكأنه *** يبث حديثا كان قبل مكتما[2]

وقد أورد الحمدوني وأكثر من ذكرالأشعارفي الرياض والبساتين من أقوال العلوي الحماني وابن الرومي وابن المعتز وأبو نواس ومحمد ابن هانيء المغربي وعبد الكريم بن إبراهيم النهشلي المغربي الذي وصف قصيدته ابن حمدون بأنها بديعة النظم ، وغيرهم كثير وصف تلك الحدائق واستمتاعهم بها وبتلك الطبيعة التي صنعتها أيديهم بتلك المواصفات الجمالية، و انعكس ذلك على حياتهم عواطف جياشة ملأت قصصها صفحات وصفحات من كتاب التذكرة الحمدونية ، وقد كان تعاملهم معها يحمل كل معاني التقدير لتلك العواطف وقصص الحب المشهورة أمثال المجنون وغيره من العامة إلى قصور الخلفاء أمثال معاوية وقصة دهبل وشعره في عاتكة بنت معاوية وكيف أن الشعر قد وصله ! وكيف كان موقفه العاقل وحفاظه على أخلاق بيئته وعاداتها الصارمة. وقد قال فيها الكثير من القصائد ورحل معها إلى أكثر من بلد وذكر اسمها في عدد من أشعاره: (من الطويل)

---

(١) التذكرة الحمدونية ج ٥ص٢٨٧

(٢) المصدر السابق نفسه ص٣٥٧ وانظر ديوان البحتري –ت- حسن كامل الصيرفي دار المعارف مصر ١٩٦٥ - ص ٢٠٩

أعاتك هلا إذ بخلـت فلم تري *** لذي صبوة زلفى لديك ولا حقَّا

وقد ألمح إلى ملك أبيها وكيف أنه حال بينها وبينه مقدما بذلك وثيقة إثبات بأنها هي عاتكة بنت معاوية عندما قال (من الطويل):

حمى الملك الجبار عني لقاءها *** فمن دونها تخشى المتالف والقتل[1]

وهذا ما بعث الطمأنينة في قلب معاوية فاتخذ قرار ذي حنكة؛ وهو أن يزوجه من أحب بنات عمه إليه، فكان ذلك سببا في امتناعه عن قول الشعر في تلك الحبيبة مع تطليقه لمن زوجه إياها، ولسان حاله يقول قد وصلت رسالتك وها أنا أهجر حبها احتراما لها في شخصك. وهذا غيض من فيض من أقاصيص الحب والغرام في بيئتهم الاجتماعية.

ومما يتبوأ مكانة في حياتهم الاجتماعية؛ شرب الخمر فوصفوها بأنواعها وألوانها ووصفوا كؤوسها. وتجد فيها تشبيهات كثر من وحي بيئتهم التي كثر فيها اللهو وشرب الخمر وانتشار الغزل والمجون ومن ذلك قول البحتر ي: (من الطويل)

ألا ربما كأسٍ سقاني سلافَها *** رهيف التثني واضحُ الثغر أشنب
إذا أخذت أطرافُه من فتورها *** رأيت اللجين بالمدامةِ يذهب
كأن بخديه الذي جاء حاملا *** بكفيه من ناجودها حين يقطب[2]

وصف هنا الخمر وحامل الخمر، وقرب لنا المعنى بهذه االصور البيانية التي تخللت الأبيات .

ولم يهتموا بوصف المشروب أو حامله فقط؛ إنما أخذت أشعارهم بعدا آخرا فاهتموا بأقداحها، وأخذت لديهم مكانة مهمة حتى تبادلوها هدايا فيما بينهم ووصفوا تلك الهدايا؛ موثقين بذلك تلك العادة لديهم .وقد كثرت أوصاف الكوؤس في كل مواضعها

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٦ – ص١٨٤

(٢) التذكرة الحمدونية ج٨ ص٣٨٠وانظر البحتري – ديوان البحتري –ج١ ص١٣٥ – حسن كامل الصيرفي دار المعارف مصر

حتى أصبحت ظاهرة في أشعارهم مما يدل على مدى اهتمامهم بها ، وقد أكثر الحمدوني كذلك من ذكرها مستوفيا الكثير من مسمياتها وأوصافها ، فتناول أبو نواس تلك الكؤوس من ناحية الألوان ووصف وسائل المتعة من هذا النوع فقال: (من البسيط) .

الخمر ياقوتةٌ والكاس لؤلؤةٌ *** من كف جارية ممشوقة القدّ[1]

وصف لون الخمر ، ولون الكأس ولم يترك اليد التي قدمتها كما لم يفته وصف جمال صاحبتها . وقد أكثروا من أوصاف الخمر فتناولوا كل جانب وركز الكثير منهم على تمازج الخمر مع الكأس حتى جعل لونها زجاجا سائلا في تشبيه بليغ غاية في الروعة ، ودليلا على صفاء المشروب، وجعل الكأس ماء ولكنه لصلابته قد جمد في تطابق بديع و ذلك قول ابن المعتز: (من السريع)

غدا بها صفراءَ كَرْخيةً *** كأنما في كأسها تتّقدْ

وتحسبُ الماء زُجاجاً جرى *** وتحسب القداح ماءٌ جمدْ[2]

وكذلك وصف التمازج بين الكأس وصفاء ما فيه ؛ أبو القاسم التنوخي مستمدا الألوان المتمازجة من ألوان الطبيعة من ماء وهواء وشمس ، ليذكر لنا خفتها ولونها الذهبي الشفاف شعراً فقال: (من المتقارب)

وراحٍ من الشمس مخلوقةٍ *** بدت لك في قدحٍ من نهارِ

هواءٌ ولكنه خامدٌ *** وماء ولكنه غير جاري[3]

وصفت بكل الألوان منها لون الذهب الذي صرح به مرات وجعل لون الشمس مرات أخرى وكذلك لون الفضة، و اللون الأسود ولون الحبر واللون الشفاف واللون الأحمر وغيره من ألوانها الكثيرة التي يدل كل منها على اسم وصنف معينين.

وكثر ظهور الظبي مشبها به في أشعارهم كثيرا فهو رمزالجمال لديهم ، وشبيه المحبوبات، والخمر إحدى أولئك المحبوبات التي يجدونها متى شاؤوا. فقال بعض الشعراء الذين لم يذكره الحمدوني: (من الكامل)

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٨ص٣٨٦ وانظر ديوان شعر أبي نواس ـــت أحمد عبد المجيد الغزالي بيروت ١٩٥٣-

(٢) المصدر السابق نفسه الصفحة نفسها وانظر ديوان ابن المعتز - ت يونس أحمد السامرائي – بغداد - ص٩٥

(٣) المصدر السابق نفسه – ص ٣٨٥ وانظر يتيمة الدهر- لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ت محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة الحسن – مصر ج٢ - ص٣٣٩

يا ربَّ مجلسِ فتيةٍ نادمْـتُهم *** من عبد شمسٍ في ذرى العلياء
وكأنما إبريقـهم من حسنه *** ظبيٌ على شرفٍ أمام الظباء[1]

و كثير من الشعراء حرصوا على ربط هذا المخلوق الجميل بالخمر أمثال اسحاق الموصلي ، وعلقمة ابن عبدة وهو صاحب البراءة في هذا التشبيه وأبو الهندي وكذلك ابن المعتز وغيرهم. وصفوا الكؤوس مليئة ووصفوها كذلك فارغة.

ومنهم من ركز على الناحية النفسية وتأثير الخمر عليهم ، وأشار بعضهم لفائدتها في نظرهم وذكروا آثارها على العقل فمنهم من جعلها لا تؤثر في عقولهم بشيء ومنهم من جعل لها ذلك التاثير القوي، وأنها تزيل الهم وهو أبو طاهر بن جلنك: (من الخفيف)

مرحبا بالتي بها قُتِل الهمـ *** م وعاشت مكارم الأخلاق
وهي في رقة الصبابة والوجـ *** د وفي قسوة النوى والفراق
لست أدري أمن خدود العذارى *** سفكوها أم أدمع العشاق[2]

أما أبو عثمان الخالدي جعل تأثيرها يحول في أخلاق المرء من النقيض إلى النقيض، ولكنه تحول مقبول في سنة مجتمعهم فقال: (من الخفيف)

هتف الصبح بالدجى فاسقنيها *** قهوةً تترك الحليمُ سفيها
لست أدري من رقَّة وصفاءٍ *** هي في كأسها أو الكأس فيها[3]

سماها القهوة وحدد وقت حاجتها لها، وتاثيرها بتحويل الحلم إلى سفه وهذا من التصرفات التي تتبع الشرب وكان لابد له أن يطبق سنة الأشعار في الخمر بتشبيهها فجعله إنسجاماً بين لونها الشفاف ولون الكأس حتى صعب التمييز بينهما .

وغيرهم رأى تأثيرها في حياتهم من الناحية الاقتصادية، ومن أجلها تتلف الأموال التي جمعت. فقط من أجل اللذة التي يشعرها حينما يشربها؛ وهذا دليل قوي على سيطرة هذا المشروب على حياتهم فقال أبو الهندي: (من الرمل) :

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٨ص٥
(٢) المصدر السابق نفسه - ص٣٩٠ وانظر الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني – ج ٢٣- ص٦٧
(٣) المصدر السابق نفسه ص٣٨٨ وانظر يتيمة الدهر- الثعالبي ـــ ت محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ج٢ ص٢٠٣

أتلف المال وما جمَّـعتُه *** طلبُ اللذات في ماء العنـبْ

واستباءُ الزِّقِّ مـن حانوته *** شائل الرجلين معضوب الذنب[1]

ومما ظهر في حياتهم الاجتماعية ولا يمكن الحديث عن الخمر ومجالسها دون التطرق له؛ هو غزل الغلمان والذي كان دخيلا على الحياة العربية التي كانت ملامحها الخمر والطرد وما إلى ذلك، ولكن في هذا العصر ظهر هذا الغزل الذي ملأ دواوينهم وأصبح مظهر من مظاهر حياتهم الاجتماعية ومن أمثاله قول ابن المعتز :(من الطويل)

له مقلةٌ ترمي القـلوب ووجنةٌ *** تفتَّـح فيها الورد من كلِّ جانبِ

وعَذَّر خدَّاه بخطِّيـن قُوِّما *** كما أثَّر التسطيرُ في رَقِّ كاتبِ[2]

وعذر هذا هو من تغزل فيه ابن المعتز ، وغيره الكثير من هذه الأشعار التي تفوق وصـف الغـواني فـي الرقـة والجمـال. ومـن عـرف بوصـف أولئـك الغلمـان أبـو نـواس والحسين بـن الضـحاك الخليـع وغيرهمـا. ولا يعنـي هـذا أن الجانـب الأنثوي لـم يأخـذ نصيبه، بل أكثر الشعراء من أوصافهن؛ فوصفوا زينتهن ولباسهن وأصوات من يمارسن الغناء منهن. كيف لا؟ وهؤلاء قد مثلن شريحة مهمة من شرائح المجتمع العباسي .

وقد ظهر جانب التطواف والترحال في حياتهم الاجتماعية بشكل واضح يحمل وجهات نظرهم في تلك الأسفار هنا وهناك فهذا زهير ابن أبي سلمى يرفض الترحال ويفضل استقرار المرء في داره فقال من الوافر :

---

(١) المصدر السابق نفسه ص٣٨٤ وانظر ديوان شعر أبي الهندي وأخباره – جمع عبد الله الجبوري بغداد ١٩٦٩ ص١٧-١٨

(٢) التذكرة الحمدونية ج٥ –ص٣١٨ وانظر- ديوان المعاني لأبي الحسن بن علي بن سهل بن نصير بن هلال العسكري– مكتبة القدسي مطبعة الاندلس ج١ ص٢٤٧ وانظر ديوان ابن المعتز ت ص- ٢٢٩ وفيه المزيد من المعلومات

فحلي في ديارك إن قـوما *** متى يَدعَوا ديارهم يهونوا[1]

فهو يرى أن ترك الدار سبيل للهوان والذل لأن من ترحل إليهم لا يعرفوا عنك شيء ولتنتظر حتى تأتيك الأيام بظروف تظهر فيها أخلاقك .

واختلف معه في الرأي آخرون برهنوا على فائدة السفر بذكر أغراضهم من أجله وتظهر فيها جلية الناحية الاقتصادية بجانبيها الغني والفقير خاصة. فهذا البحتري يصف سفره من أجل أن يحقق مطلبا كريما ولهذا الطموح أحب السفر والترحال وسجل ذلك في شعره:(من الكامل) :

وأحب آفاق البـلاد إلى الفتى *** أرضٌ ينال بها كريم المطلب[2]

أما الطائي الذي وضح من خلال شعره أنه رجل يحب التجدد وهذا في حد ذاته

وطولُ مقامِ المرءِ في الحي مُخلقٌ *** لديباجتيه فاغتربْ تتجدَّدِ

فإني رأيت الشمـ زيدت محبةً *** إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد[3]

باعثا على السفر والترحال، ولا ننسى ما لذلك من تأثير نفسي رائع على الشخص وقد كان الطائي سباقا لذلك التأثير إذ قال: (من الطويل):

فأثبـت وجهـة نظـره بالمقارنـة بالشـمس وغيابهـا ، ومـن ثـم إشـراقها مجـدداً علـى حيـاة النـاس ويظهـر اهتمـامهم بالمـال لعـدة أغـراض؛ منهـا المحامـد التـي تـدوم بعـد مـوت الشـخص لـذا يكسـب صـاحب المـال مكانـة كبيـرة فـي حيـاتهم الاجتماعيـة. فالمـال هـو مـا يجعـل وضـيع النسـب لـديهم مرفوعـا بمـا يفعـل، وقـد صور ذلك أحد شعرائهم: (من المنسرح)

كم من لئيم شـرفـه ال *** مال أبوه وأمــه الورق

ومن كريم الجـدود ليس له *** عيب سـوى أن ثوبه خَلَق[4]

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٨ ص١٢٦ واتظر ديوان شعر زهير بن أبي سلمى - ص١٩٢

(٢) المصدر السابق نفسه ص١٢٣ وانظر ديوان شعر البحتري ـــج١ – ص٢٨٣

(٣) المصدر السابق نفسه ص١٢٣ وانظر– محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء – للراغب الأصفهاني - مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٠

(٤) التذكرة الحمدونية ج٨ ص١٠٢

أما مالك بن حريم الهمذاني ينظر للمال نفس نظرة الشاعر أعلاه ، ويتفق معه في أن المال جالب للحمد ومساعد على تسلق درجات المجد وباعث على الثقة بالنفس فقال:(من الطويل) :

أنبيك والأيام ذات تجارب *** وتبدي لك الأيام ما لست تعلم
بأن ثراء المال ينفع ربَّه *** ويثني عليه الحمد وهو مذمم
وإنَّ قليل المال للمرء مفسدٌ *** يحز كما حزالقطيع المخذم
يرى درجات المجد لا يستطيعها *** ويقعد وسط القوم لا يتكلم[1]

فجعل هذا الشاعر أن المال هو العلاقة القوية التي تربط المرء بمجلس قومه وكأن مدار حديثهم كله تضحيات مالية ، ومن ليس لديه المال يعيش معهم ومنفصل عنهم، وليس له مجال لتبادل الحديث بينه وبينهم، فليس لديه الثقة الكاملة بالنفس للمشاركة في مجالسهم وأخبارهم ومعالجة أمورهم الحياتية. فكلها تعتمد على الكرم وبذل المال، ومن توفر له ذلك فهو ذو الحمد حتى لوكان ذميما لديهم لسبب أو لآخر فهذه هي حياتهم الاجتماعية التي تستند من هذا الجانب على الناحية الاقتصادية وملك المجتمع هو صاحب المال مهما كان أصله .

أما الجانب المهضوم فهو الجانب الاقتصادي الفقير وكيف يوجه له المنظار الاجتماعي وقد ظهر في أشعارهم مستوى معيشي متدني وصل بأصحابه لدرجة لم يستطع أن يوفر حتى الدقيق، واعتمد على الآخرين في ذلك ومنهم ابن الرومي الذي سجلت كلماته هذا العطاء غير الدائم فقال: (من الرمل)

لك جار كلما قلتُ جرى *** فتشوفتُ له قيل انقطعْ
فرحٌ ينتج منه ترحٌ *** وأمان يُجْتنى منه فَزَعْ
لا تكن كالدهر في أفعاله *** كلما أعطى عطاياه ارتجع[2]

---

[1] المصدر السابق ج٨ ص١٠٥

[2] التذكرة الحمدونية ج٥ ص٤٧ وانظر ابن أبي عون – التشبيهات ت عبد المعيد خان كمبردج ١٩٥٠ ص٣٧٤ وانظر ا[ن الرومي – ديوان شعر – تحقيق حسين نصار – دار الكتب المصرية – القاهرة – ١٩٧٣ - ١٤٨٦

وجه ابن الرومي هذا العتاب لأبي سهل النوبختي والذي كان قد أجرى عليه جراية دقيق ثم توقف عن ذلك. فما كان من ابن الرومي إلا أن وجه له عتابا دام مدى الأزمان، ولم يثبت له شكرا لما كان يقدمه فقد أنساه الفقر المدقع أن يذكر ذلك إلا في تنبيهه بالدهر الغادر الذي لا يدوم صفوه؛ إنما يتبدل بين فينة وأخرى ، وربما قطعه لأنه هو الآخر لم يستطع ذلك أوربما فعل ذلك لسبب آخر ، ولكن هذا يدل على المستوى المالي لدى البعض .

ومنهم من لا ينتظر من يعطيه ولكنه يطلق من لسانه هجاءً يبقى عبر القرون فيعطى خوف هذا اللسان اللاذع أمثال الحطيئة ، ولما عاقبه عمر على ذلك رد أن السبب هو أسرته التي في حاجة للعائد من ذلك الهجاء فهو أسلوب لكسب العيش ومحاربة الفقر فقال في رده على عمر (من البسيط): –

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ *** زُغْبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شَجَرُ
ألقيت كاسيهم في قعر مظلمةٍ *** فاغفر عليك سلام الله يا عمر[1]

فلما رمي عائلهم في السجن أصبحوا لا عائل لهم، ولما كان عمر عطوفا فقد أخرجه وحذره من الهجاء فقال أن هذا هو أسلوب حياته لكسب رزقه ورزق عياله ، وهذه صورة أخرى من العيش التعيس الذي كان في حياتهم الاقتصادية .

[1] التذكرة الحمدونية ج٥ ص١٠١

المبحث الرابع : علاقة الشاعر برجال عصره

لشعراء التذكرة علاقات متباينة مع رجالات العصر من الأمراء والوزراء والشعراء، وكانت تقوم تلك العلاقات على الود والاحترام والتقدير أحيانا وتشوبها بعض الأمور التي تؤدي إلى تعكيرها حين آخر، ويقوم الشعراء بتوثيق كل ذلك في قصائدهم التي تنبيك عن تلك الأحداث التي أدت لولادة قصائدهم .

فقد كانت لبعضهم علاقة طيبة بدليل الهدايا التي تم استبدالها، ولو لا العلاقة التي بينهم لما تم ذلك الاستبدال فهي في نظر البعض سحر له مفعوله في النفوس فقد صورها البحتري: (من الكامل المجزوء)

إن الهدية حُلْــوةٌ *** كالسحر تجــتلب القلوبا
تدني البعيد من الهــوى *** حتى تصــيره قريبا[1]

غير أنها تجذب الود بين الناس؛ فإنها تقرب البعيد بالذكرى الطيبة، ويتحول البعيد محسوسا إلى قريب معنوي. فمن العلاقات الودية ما ظهر مثلا في شعر أبي العتاهية عندما أهدى لرجل الدولة الفضل بن الربيع ، وكانت عبارة عن نعل ، كتب عليها أبيات شعر تحمل الأمنية الجميلة التي تمناها لصاحبه ، وهذه الهدية كانت بمناسبة عودة الفضل من مكة فكتب عليها (من الكامل المرفل) :

نعل بعثت بها لتلبســها *** قدمٌ بها تمشي إلى المجـد
لو كان يصلح أن أشــرِّكها *** خدي جعلت شراكها خدي[2]

فقد كان إعجاب الفضل بهذين البيتين عظيما ، حتى أهداها إلى الأمين ، وتحويل الهدايا بين بعضهم البعض إشارة إلى تلك العلاقات الطيبة الخالية من التكلف، وقد تهادى الشعراء بينهم البعض أشياءا مختلفة كالشمع والنبيذ والناقة والفرس والجواري والمداد وغير ذلك من الأشياء التي كان يتطلبها العصر ، وقد أهدى البحتري لعبد الرحمن بن خاقان فرسا وكتب إليه معها: (من الكامل)

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٥ ص٩
(٢) المصدر السابق نفسه ص٢٤

ماذا ترى في مدمج عبْلِ الشَّوى *** من نسل أعوجَ كالشهاب اللائح
لا ترىُهُ الجذع الذي يعتـاقُهُ *** وهـن الكلال وليس كلَّ القارح
يختال في شِيَةٍ يموج ضـياؤها *** موج القتير على الكمي الرامح
لو يكرع الظـمآن فيهاا لم يُمِل *** طرفا إلى عذب الزلال السـائح
أهديتُه لتروح أبيض واضـحا *** منه على جـذلان أبيض واضح
فتكون أول سـنةٍ مأثورةٍ *** أن يقبل الممدوح رِفْدَ المادح[1]

وربما تصل العلاقة بين الشاعر وأحد رجال عصره أن يستهدي ما يريد سواء كان جارية أم مملوكا أم فرسا وغير ذلك ومن أشعار استهدائهم ، فقد استهدى السري الرفاء مشروبا إلى أبي الهيجاء ابن حمدان فقال : (من الطويل)

تجنبني حسن المـدام وطيبها *** وقد ظمـئت نفسي وطال شحوبها
وعندي ظروفٌ لو تظرَّف دهرُها *** لما بات مُغرىً بالكآبة كوبـها
وشـعث دنان خاوياتٍ كأنـها *** صـدور رجالٍ فارقتها قلوبها
فسقياك لا سقيا السحاب فإنما *** بي العلة الكبرى وأنت طبيبها[2]

ومـن العلاقـات الطيبـة هـي العلاقـات بـين الشـاعر وعامـة الشـعب إذ يكـون لسانهم ويوثق العلاقة الطيبة بينهم وبين رجال دولتهم. ومن ذلك ما حدث مع أبي شراعة وإبراهيم بن المدبر الذي ولي البصرة ،فأحسن إلى أهلها ،فلما صرف عنها شيعه أهلها ، فجعل يودعهم واحدا واحدا إلى أن وصل إلى شاعرهم أبي شراعة الذي وثق الخبر ووثق العلاقة الطيبةو من خلال هذه اللحظة فقال: (من الرمل) :

يا أبا اسحق سر في دعة *** وامض مصحوبا فما منك خلف
ليت شـعري أي أرض أجدبت *** فأغيثت بك من بعد العجـف
حكم الرحمن باللطـف لهم *** وحرمناك بذنـب قد سلف

(١) التذكرة الحمدونية ج٥ ص١٣
(٢) المصدر السابق ص١٤،

إنما أنت ربيع باكر *** حيث ما صرفه الله انصرف[1]

خلدت مناسبة الوداع هذه العلاقة التي ربطت بين هذا الشاعر وهذا الوالي فوصفه بأن ليس له من يخلفه بالمواصفات التي تمتع بها من حسن العلاقة مع من حوله حتى شبهه بالغيث ، وأن أرضه قد أجدبت بعد ذهابه عنها ، وأن ذهابه ما هو إلا عقاب من الله بذنب ارتكبوه ، وختم بان شبهه بالربيع هذا الفصل الغني عن التعريف بما يصاحبه من جمال وراحة نفسية

ومن العلاقات الطيبة إسداء المعروف بين الناس بعضهم لبعض ولكن المعروف في الشعراء يخلد بشعر ربما يكون أجمل من الفعل نفسه ، وقد تأتي به لحظات عابرة ولكن تخلدها الأيام ، ومن ذلك الشكر الذي سجله القطامي في زفر بن الحارث الكلابي عندما أطلق سراحه من بني قبيلته وقام دونه وحماه وكساه وأعطاه مائة ناقة فسطر القطامي ذلك قائلا: (من البسيط)

من مُبْلغٌ زفر القيسي مدحته *** عن القطامي قولا غير إفناد

اني وإن كان قومي ليس بينهم *** وبين قومك إلا ضربةُ الهادي

مثنٍ إليك بما استبقيت معرفتي *** وقد تعرَّض مني مقتل باد[2]

وقد كانت قصيدة طويلة مدحه فيها بشتى الأوصاف الجميلة التي بقيت فخرا لصانع المعروف ، وحسنت العلاقة بين قبيلتين ربما أدى سوؤها لما لاتحمد عقباه.

ومن العلاقات التي لم تكن صافية وخلدت الكثير من الشعر في أغراضه المختلفة مثل ما حدث بين دعبل عندما عاتب مسلم بن الوليد قائلا: (من الطويل)

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٨ ١٣٥وانظر – الأغاني - أبو الفرج الاصبهاني– ج١٢- ص١٧٩

(٢) المصدر السابق ج٤ ص٩٩

أبا مخلد كنا عقيـدي مودَّة *** هوانا وقلبانا جميعا معا معـا

أحوطك بالغيب الذي انت حائطي *** واجزع إشفاقا من أن تتوجعا

فصيَّرتني بعد انتكاثك مُتهِما *** لنفسي عليها أرهب الخلق أجمعا

غششت الهوى حتى تداعت أصوله *** بنا ابتذلت الوصل حتى تقطعا[1]

كانت علاقتهما علاقة صداقة طيبة تبادلا فيهاالأسرار ، وخافا على بعضهما من أي طارق سيء، وإذا كان دعبل يشفق على مسلم فبالتأكيد كان يبادله ذلك الحرص والشعور الطيب ، ولكن قد تقطعت تلك العلاقة وتفتت أصولها ، حتى أصبح يحدث نفسه ، ويبحث عن سبب ذلك الفتور الذي أصاب علاقة الصداقة ويتهم نفسه بانه سبب ما حدث من انقطاع الوصل بينهما وما هذا إلا حرصا منه على عودة تلك العلاقات إلى سابق عهدها.

ومن العتاب الذي حدث بين الشعراء والأمراء ما حدث بين المتنبي وابن حمدان عندما تركه وقصد كافور فعرض به قائلا :

رحلت فكم باكٍ بأجفان شادنٍ *** عليَّ وكم باك بأجفان ضيغم

وما ربة القرط المليح مكانه *** بأجزعِ من رب الحسام المصمم[2]

وهكذا استمر في التعريض به ووصف ما حدث بينهما من الشكوك بسبب كلام أعدائهما ،ووصفه بأن أفعاله قد ساءت لذلك ساءت ظنونه ، وعادى محبيه تحقيقا لقول عداته ، وما كل جميل مكتمل لمن أراده سواء كان هاو للجميل أو فعال له ومن مثل هذه العلاقة ما حدث كذلك من دعبل عندما تولى المعتصم: (من الطويل)

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٥ ص٥٦

(٢) المصدر السابق ص٦٦

ملوك بني العباس في الكتب سبعةٌ *** ولم تأتنا في ثامنٍ لهم الكُتبُ
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعةٌ *** خيارٌ إذا عُدُّوا وثامنهم كلب
لقد ضاع أمر الناس حين يسوسهم *** وصيف وأشناس وقد عظم الخطب)[1]

من الواضح أن دعبل كان رافضا لولاية المعتصم ، وقد وثق رفضه للتاريخ هجاءا فقد أنكر وجوده خليفة من بين بني العباس ، ثم عقد مقارنة غير مباشرة بينه وبين كلب أهل الكهف ، ثم ختم بضياع سياسة الدولة وأمر الناس وهذه مصيبة عظيمة .

العلاقات البشرية أنواع ليس لها حدود من علاقات طيبة بأنواعها من الأخوة والصداقة وتبادل الهدايا والأشعار والمشاركة في المناسبات المختلفة إلى توتر العلاقات وما يشوبها من شوائب كالعتاب واللوم والهجاء ، ومهما كانت نوعية هذه العلاقات بين الشاعر ورجال عصره من الشعراء ورجال الدولة ، فإنها أضافت لديوان العرب أشعارا مختلفة باختلاف تلك العلاقات. وبهذا التوثيق يمتع الآخرين ويعطيهم شواهد تفيدهم في حياتهم .

[1] التذكرة الحمدونية ج٨ص١٦٨

المبحث الخامس :مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية في حياة الشاعر:

حياة الشعراء في العصر العباسي ما هي إلا مظاهر بيئتهم المتداخلة فنجد أن السياسة جزء مهم من حياتهم كما أن مجتمعهم واختلاطهم بالثقافات الأخرى فرضت عليهم مظاهر كثيرة طبعت بصماتها واضحة في حياتهم، وبالتالي وجدت في دواوينهم الشعرية وأكثر ما كان واضحا في حياتهم هي المظاهر الاجتماعية السياسية في كثير من جوانب حياتهم .

فمن هذه المظاهر التي سادت في ذلك الوقت ووجد منها الشعراء ما وجدوا هي محاولة اتصالهم بالأمراء حيث يأتي الشاعر من مكان بعيد؛ ليجد أن دونه ومن قصد الحاجب، فيسجل اعتراضه أو عتابه أو هجاءه شعرا فهو مظهر سياسي ولكن أثر على الناحية الاجتماعية والعلاقة بين الشاعر ورجل الدولة الذي قصده حاملا معه آمالا. وبالطبع لم يكن من عادات هؤلاء أن يحجبوا، ولكن فرض وجوده عليهم لسبب أو لآخر ومن ذلك ما سجله أبو تمام قائلا :(من الطويل)

سأترك هذا الباب ما دام إذنه *** على ما أرى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته متعمدا *** وما فاز من قد نال منه وصولا
إذا لم نجد للإذن عندك موضعا *** وجدنا إلى ترك المجيء سبيلا[1]

فصار الحجاب مظهرا ضروريا عند الخلفاء والأمراء والوزراء ، وفي الوقت نفسه كان مظهرا اجتماعيا سياسيا مثل مصدرا من مصادر الضيق بالنسبة للشعراء

ومن المظاهر السياسية الضغائن التي كان يحركها الشعراء في نفوس المسوؤلين وتحقق أهدافهم منها، ومن ذلك ما حدث مع عبد الملك بن مروان وزفر بن الحارث لما استنزله من قرقيسيا وأجلسه معه على السرير. ولكن هيهات له ان يهنأ بذلك والأخطل موجود ، فدخل على عبد الملك وأنشد مقطوعته: (من الوافر) :

وكأس مثل عين الديك صرف *** تنسِّي الشاربين لها العقولا

إلى قوله :

[1] التذكرة الحمدونية ج٨ ٢٠٢ وانظر الأغاني - لأبي الفرج الأصبهاني ـــ-ج٥ ص٢٩٦

مشى قرشيةً لا شك فيها *** وأرخى من مآزره الفضولا

فلما استفسره عبد الملك عن سبب هذا الشعر وضح له السبب قائلا:حين يجلس هذا عدو الله معك على سريرك وهو القائل بالأمس:(من البسيط)

وقد يَنْبُتُ المرعى على دِمَنِ الثرى *** وتبقى حزازاتُ الصدورِ كما هيا[1]

وما أن ذكر هذا البيت إلا كان له ما أراد من توتر العلاقة بين زفر وعبد الملك .إذ قبض رجله وضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير، وقال: لا أذهب الله حزازات تلك الصدور. مما جعل زفر يقول: ما أيقنت بالموت قط إلا تلك الساعة حين قال الأخطل ما قال.وقد تكرر هذا كثيرا بين الخلفاء وغيرهم من الطبقة الحاكمة وبين الشعراء وربما تصل لحد القتل كما حدث مع سديف والسفاح عندما حرضه على بني أمية في مقطوعته الشهيرة :(من الخفيف)

يابن عم النبي أنت ضياء *** استبنا بك اليقين الجليا
جرد السيف وارفع السوط حتى *** لا ترى فوق ظهرها أمويا[2]

فعمل على قتلهم جميعا ، فكان هذا المظهر السائد في الحياة السياسية التي غلبت عليها الأهواء، و سهولة القتل والترويع ، وكأن الحاكم ينسى وتكون ذاكرته بيتا من بيوت الشعر فيتخذ على أساسه قراره الذي يصبح رهن التنفيذ، وتطير فيه أعناق الرجال.

وقد كانت كلمات الشعراء لها سحر نافذ في تغيير القرارات الحكومية التي تصدر، فلما ظفر المأمون بقاطع الطرق أبا دلف العجلي وأمر بقتله ، أنشده هذين البيتين : (من مجزوء الرمل)

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٥ ص١٩١ و انظر الأغاني –أبو الفرج الأصفهاني – ج٨ص٢٩٦
(٢) المصدر السابق نفسه ص١٩٩

بـع بي الخلـق فإني *** خلــق ممن تبيع
واتخــذني لك درعا *** قلصــت عنه الدروع
وأرم بي بحــر عدو *** فأنا السهم السـريع [1]

فأطلق سراحه ، فكانت مثل هذه المواقف من المظاهر السياسية الواضحة في ذلك الوقت ، فتأخذ صور العفو أحيانا وصور العجالة أحيانا أخرى ونظن أنها صورا للضعف وليس الاستعجال فقط .

المظاهر الاجتماعية التي انعكست على دورهم وحياتهم اليومية؛ كانت مظاهر متوارثة وأخرى غير ذلك مثل مظاهر الترف الدخيل على حياة العرب الذين كانوا يلتحفون الأرض، ويستظلون السماء، ويركبون الأنعام، وينامون فوق صوفها ويستظلون به بيوتا ويشربون من ألبانها، بها تسير حياتهم الاجتماعية من دفع ديات القتلى وكرم الضيافة ، وكانت حياتهم طبيعة في كل شيء حتى جاء العصر العباسي فانفتحت البلاد، وتغيرت عادات العباد وظهرت على مجتمعاتهم العديد من المظاهر التي عايشوها مستمتعين، ووثقوها في أشعارهم .

ومن ذلك انتشار الغلمان وبالتالي انتشر التغزل فيهم ، وكان أول من جعل هذا المذهب هما أبو نواس والحسين بن الضحاك وتبعهم الشعراء ومن هؤلاء :

ابن المعتز في قوله : (من الكامل المرفل)

ظبي يتيه بحسن صـورته *** عبث الفتـور بلحظ مقلته
وكأن عقرب صـدغه وقفت *** لما دنت من نار وجنتـه[2]

وصف رقيق لو قيل في أنثى، فما بالك وقد قيل في رجل. ولكن كان أحد مظاهرالعصر ، ومن الغلمان انتشر السودان منهم ولم يفت الشعراء تسجيل ذلك فوثقه بشار:(من الوافر)

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٨ـص٦٦
(٢) المصدر السابق ج٥ص٣١٨

يكون الحـال في خد مليح *** فيكسـوه الملاحة والدلالا
ويوقفه لأعين مبصـرية *** فكيف إذا رأيت اللون خالا[1]

ومن مظاهر مجتمعهم اهتمامهم بالخمر وأنواعها وكؤوسها وندماء شربها وهذه من المظـاهر التـي توارثوهـا جيـل بعـد جيـل، وكثـرت أشـعارهم فيهـا ولكـن مـن المظـاهر الاجتماعيـة التـي كانـت دخيلـة وصـبغت حيـاتهم بصـبغتها هـي البسـاتين والريـاض ، فعرفوا أنواع الزهور وصفاتها وأفضلها وأزكاها عطرا وأجملها شكلا فلونوا أشعارهم بها وجملوها بأسمائها، وعطروها بشذاها وأكثروا من صفاتها تلك فقال أبو نواس يصف عدد من ألوانها: (من الطويل)

لدى نرجس غض القطـاف كأنه *** إذا ما منحناه العيـون عيون
مخالفة في شكلهن فصفـرة *** مكان سواد والبياض جفون[2]

فقد وصفوا وأبدعوا في ذلك ، فشبهوا بها وجوه الحسان وجعلوها سببا لجمال دنيـتهم فجسـدوها حينـا ، وجردوهـا حـين آخـر ، ناجوهـا حينـا وجعلـوا منهـا التشـبيهات العديدة حينا آخر وأثروا بما ألفوا من قصائد ديوان العرب . وقد تناول الحمدوني جهود الشعراء وألحقها بقليل من نقده ونقد الآخرين وذلك ما سنعرضه في المبحث التالي بعنوان نقد الحمدوني .

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٥ ص٣٢٠
(٢) المصدر السابق نفسه

الفصل الثالث: نقد الشعر

المبحث الأول : نقد الحمدوني

المبحث الثاني : نقد الآخرين مما أورده الحمدوني

المبحث الأول : نقد الحمدوني:

الحمدوني أورد في تذكرته نقده الخاص الذي يحمل رؤيته النقدية التي لا تختلف كثيرا عن نقاد التذكرة الآخرين، فألحق بعض المقطوعات الشعرية بقليل من الأحكام النقدية العامة غير المعللة، وقد اكتفى فيها بقوله قصيدة من جيد أشعار العرب، وكان اختياره هذا لقصيدة الحصين بن الحمام الشهيرة والتي مطلعها :(من الطويل)

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد *** لنفسي حياة مثل أن أتقدما[1]

وقد أورد منها مقطعا مكونا من ستة أبيات، ولكنه لم يعمد للنواحي البلاغية فيها ولا المعاني الرصينة التي تحملها ولا القيم الاجتماعية التي يفتخر بها كالشجاعة والصبر. ورغم كل هذه المعاني اكتفى بالحكم الذي ذكر أعلاه "إنها من جيد أشعار العرب في هذا الفن .) [٢]. ن الفخر بالشجاعة والصبر وتلك القيم الجميلة في حياة العرب قديما. ومثل هذا النقد قوله ومن بليغ الشعر في الحرب والبأس والنجدة قول محمد بن هانيء (من الطويل) :

ومضرمة الأنفاس جمر وطيسها *** شرنبثَةُ الكفين فاغرة الفم

وقد أورد ستة عشر بيتا في حاجة لشرح معاني مفرداتها وإبراز نواحي الجمال فيها من استعارات، مثل فاغرة الفم ومضرمة الأنفاس وضروس لها أبناء وغيرها وفيها أبيات فخر جزلة مثل:

رفعت على هام العدى منه قسطلا *** خضبت مشيب الفجر منه بعظلم

ومن الأبيات التي تحمل النصائح الحربية في هذه القصيدة :

فلا تتكلف للخميس من العدى *** خميسا ولكن رُعْهُ باسمك يهزم

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٢ ص ٤٠٠ وانظر الأغاني- أبو الفرج الأصبهاني - ج١٤-ص٧-٨

(٢) المصدر السابق والصفحة نفسها

كمـا فيهـا أبيـات رائعـة المعـاني تحمـل دلالـة عميقـة علـى كثـرة القتـل التـي توحي ربما بالنصر لهم وذلك في بيته :

وفاض دما موج الفرات فلم يَجُزْ *** لوارده طـهر بغير تيمم[1]

كما حملت معان إسلامية مثل الطهر والتيمم ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب (رعه باسمك يهزم).

وغيرها كثير حفلت به أسطر هذه القصيدة كانت أحرى أن تبرز للقارىء ويظهر فيها ابن حمدون قدرته ويكون رائدا من رواد النقد القائم على تحليل المعاني وإبراز الجوانب البلاغية فيها ليتناسب ذلك مع هذا الاختيار الموفق، ويثبت بذلك أنها من بليغ الشعر فعلا، ولكنه اكتفى فقط بهذا القول بدلا من يوضح بلاغتها بأسلوب نقدي آخر.

وله نوع آخر من التعليق على ألفاظ الأبيات ومعانيها دون إضافة شيئا مفيدا في قول الحطيئة:(من الطويل)

إذا هم بالأعـداء لم يثن همَّه *** كَعَابٌ عليـها لؤلؤ وشنوف[2]

فقال: أن اللفظ وبعض المعنى أخذه كثير فقال لعبد الملك: (من الطويل):

إذا ما أراد الغـزو لم يثن همه *** حصـان عليها عقد در يزينها[3]

وكان هذا النوع لديهم واضحا في موازناتهم وسرقاتهم، وفي ما جمع الحمدوني من كتب الحماسة. فلا يبذل الناقد جهدا أكثر من أن يأتي بالبيت المشابه ويثبت الحق لصاحبه الأول، ويكتفي بذلك كما فعل الحمدوني دون أن يبدع جديدا .

وله أسلوب آخر حيث يوضح مصدر أحد الأبيات الشعرية، كما فعل مع أبيات جرير: (من الطويل)

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٢ ص٤٤٥ وانظر ديوان شعر ابن هانيء الأندلسي– دار صادر – بيروت ١٩٥٢ ص١٦٠

(٢) التذكرة الحمدونية ج ٢ ص٤٤٠ وانظر حماسة البحتري – ضبطها شيخو اليوسعي – المطبعة اليوسعية بيروت ت الأب شيخ اليسوعي –بيروت ١٩١٠ص٣٤ وانظر ديوان الحطيئة – ت د. نعمان محمد أمين طه - دار صادر بيروت ص٢٥٦

(٣) المصدر السابق نفسه ، الصفحة السابقة وانظر - ديوان كثير عزة – جمع وشرح د. إحسان عباس بيروت ١٩٧١ص٢٤٢

حملت عليك حماة قيس خيلها *** شُعْثا عوابس تحمل الأبطالا
ما زلت تحسب كل شيءٍ بعدهم *** خيلا تكرُّ عليهمُ ورجالا[1]

فأتى الحمدوني بمصدر إلهام هذا البيت من القرآن في الآية (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فأحذرهم) [٢].

ومن المفردات التي استخدمها في نقده؛ كلمة فصيح واصفا بها بعض الشعر وهو قصيدة عبدة بن الطيب. فقال: هي من الوصايا المأثورة وفصيح الكلام (من الكامل):

أبني إني قد كبرت ورابني *** بصري وفي لمصلح مُسْتمتَع
فلئن هلكتُ لقد بنيت مساعيا *** يبقى لكم منها مناقبُ أربع[3]

وهي طويلة فصل فيها هذه الأربع وهي (ذكر، ووراثة الحسب، ومقام، والكسب) ثم أعطا هذا الأب الخبير بأمور الحياة وصاياه الكثيرة التي تنير لهم طريق حياتهم وتحفظهم من المكائد منها: تقى الله، وترك الضغائن، وعصيان النمام وغيرها عديد من الوصايا. وتخللتها تعليقات الحمدوني أو بالأحرى نقده البسيط غير المحلل التحليل الذي ينبغي أن يكون عليه، والذي بدأه بشرح مفردة وأتى هذا التحليل مكملا لمعنى تلك المفردة وذلك عندما شرح معنى ظلفات الرجل في البيت :

ومقام خصم قائم ظلفاته *** من زل طار له ثناء أشنع

فشرح ظلفات الرجل : ما وقع على الأرض من عيدانه فاستعاره للخصم .اكتفى بهذا الشرح فجاء تفسيرا للكلمة أكثر مما يكون نقدا بالمعنى المفهوم .

ويقول الحمدوني كذلك مقارنا شعر الشاعر ببعضه: "أنه من عيون شعره" وذلك في فتح عمورية وتناول ذلك في قول أبي تمام الطائي: (من البسيط)

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ص٤٤٩ وانظر ديوان جرير شرح محمد بن حبيب ت د. نعمان محمد أمين طه دار المعارف القاهرة ١٩٧١ج١ص٥٣

[٢] سورة المنافقون الآية ٤

[٣] المرجع السابق نفسه ج٢ ص٣٤٩

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكتب *** في حدِّه الحد بين الجدَّ واللَّعب
بيض الصَّفائح لا سود الصفائح *** في متونهنَّ جلاء الشكَّ والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعةً *** بين الخميسين لا في السبعة الشهب[1]

فاختار منها بعض المقاطع ثم ذكر مناسبتها مفصلة،ولم يضف على الحكم الذي ذكره آنفا .

ورغم أنه يطلق أحكاما لا تتعدى الكلمتين كما رأينا ولكن له اختيارات شعرية اعتمد فيها على التشبيهات أو الأوصاف مثل اختياره لبيت دعبل: (من الطويل)

أرقتُ لبرق آخر الليل منصب *** خفيٍّ كبطن الحية المتقلب[2]

ووضح أنه اختار هذا البيت لأنه اعتمد على التشبيه الذي ربط بين البرق وبطن الحية المتقلب، وأتى لنفس الشاعر بأبيات أخرى، في تشبيه البرق ذاته: (من البسيط)

ما زلت أكلأ برقا في جوانبه *** كطرفةِ العينِ يخبو ثم يُخْتَطَف
برق تحاسر من خفَّان لامعُهُ *** يقضي اللبانة من قلبي وينصرف[3]

ولنفس السبب وهو اهتمامه بالتشبيه وعلى أساسه يأتي اختياره للشعر مثل تناوله لأبيات كلثوم بن عمرو بن العتابي من (البسيط):-

أرقت للبرق يخبو ثم يأتلق *** يخفيه طورا ويبديه لنا الأفق
كأنه غرة شهباء لائحة *** في وجه دهماء ما في جلدها بلق
أو ثغر زنجية تفترُّ ضاحكة *** تبدو مشافرها طورا وتنطبق

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٤ ص١٤٢ وانظر شرح ديوان الحماسة (حماسة أبي تمام) للمرزوقي - تحقيق أحمد أمين عبدالسلام هارون . مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ط٢ ١٩٦٧ج١ص٤٥

(٢) المصدر السابق ج٥ - تحقيق محمد يوسف نجم- دار صادر بيروت- ص٢٥

(٣) ديوان دعبل بن علي الخزاعي – مرجع سابق ص١٠٨

أو سلة البيض في جأواء مظلمة *** وقد تلقَّت ظباها البَيْضُ والدرق[1]

أعجب بالتشبيهات التي لم يخل منها بيتا ؛ من تشبيه بالغرة في أحدها وبثغر الزنجية في آخر وسلة البيض في ثالث . تشبيهات اعتمدت على لون الليل الأسود ولون البرق الذي يشق تلك الظلمة، في مقطوعة شعرية واحدة؛ هذا الكم من التشبيهات المختلفة ولكن الحمدوني لم يزد على أن الشاعر ذكر أنواعا من التشبيه فنبه ابن حمدون: "وذكر أنواعا من التشبيه" دون أن يجهد نفسه أكثر في شرحها أواستخراج ما فيها من درر تحملها تلك التشبيهات الجميلة، أو لربما ضيق الوقت والحالة التي جمع فيها هذا الشعر –كما أسلفنا –جعلته لا يقف عند نواحي الجمال التي خلت منها نفسه.

وله نقد أبرز فيه الجانب النحوي والتشكيل وذلك في بيت حميدة بنت النعمان بن بشر:(من الطويل)

وهل أنا إلا مهرةٌ عربيةٌ *** سليلةُ أفراسٍ تحلَّلها بغْلُ

فإن نتجت مهرا كريما فالبحرى *** وإن يكن إقرافٌ فما أنجب الفحل[2]

فنبه إلى أن هناك إقواء؛ فمن أراد تجنبه يقرأه على الحالة أعلاه والرواية في قولها : فمن قِبَلِ الفحلِ ليكن البيت :–

فإن أنتجت مهرا كريما فالبحرى *** وإن يكن إقراف فمن قبل الفحل

فالرواية الأولى برفع كلمة الفحل ، وفي الرواية الثانية بكسرها ليظهر الإقواء الذي حاول البعض تجنبه. ولم يوضح أكثر من ذلك .

---

(١) المصدر السابق نفسه ـ ص٣٤٣ و٣٤٤

(٢) التذكرة الحمدونية ج٥ ص١٦٩ وانظر_ بلاغات النساء تاليف ابي الفضل بن ابي طاهر المعروف ابي طيفور لأبي الفضل أحمد بن طاهر أحمد طاهر طيفور ـ صححه وشرحه أحمد الألفي – القاهرة – مطبعة والدةعباس الأول ١٩٠٨ ص١٠٦

وله نظرة عروضية في أبيات العلاء بن المنهال (من الوافر):

فليت أبا شـريك كان حيا *** فيُقْصـرِ حين يُبْصرُهُ شَرِيكْ

ويترك من تدرِّيه علـينا *** إذا قلـنا له هذا أبوك[1]

نبـه ابـن حمـدون لاحتمـال خطـأ الشـاعر فـي العـروض وجعـل السـبب رشـاقة الشعر ،وربط ذلك بضبط الكلمات،"فإن عروضه من الوافرويتم الوزن بحرف النفاذ، فإنفعل ذلك كان البيت الأول مرفوعا والثاني منصوبا وهذا لم تستعمله العرب في إقوائها المستهجن " واستنكر وجوده في مثل هذا الشعر اللين ؟ وقد جعلهما المحقق:شريكُ،أبوكا.

ونقد على طريقة العرب قائلا هذا أهجى بيت قالته العرب ، في قول الأخطل:(من البسيط)

ما زال رباط الخيـل معلمةً *** وفي كليب رباطُ الذل والعـار

النازلين بدار الذلِّ إن نزلـوا *** وتسـتبيح كليب حرمة الجار

قوم إذا اسنتبح الأضـياف كلبهم *** قالو لأمهم بولي على النار[2]

ولماذا هو أهجى بيت قالته العرب ؟ فالإجابة في التوضيح الذي أعقب ذلك وهو مع دناءة هؤلاء القوم وابتذال أمهم جعل الشاعر على حسب ماجاء في الخبر نارهم ضئيلة تطفئها البولة . وأنهم بالتأكيد يطبقون ما تربوا عليه وإلا لم يطيعوا هذه الأم، وتحمل الأبيات غير ذلك من وجوه اللؤم مثل التعامل السيء مع الجار واستباحة حرمته وهذا ضد عادات وتقاليد العرب في حق الجار.

وأتى كذلك بطريقة الأقدمين في النقد مثل قوله :"ومن الجيد في وصف أخلاقهن" إذ النص يتحدث عن أخلاق النساء في المقطوعة باختلاف في روايتها ما بين يزيد بن الحكم ، وابن قيس الرقيات: (من البسيط)

إن النسـاء إذا يُنْهيْن عن خُلُقٍ *** فكلُّ ما قيل لا يَفْعَلْن مفعـولُ

وما وعدْنك من شـرٍّ وفين به *** وما وَعَدْن من الخيرات تضـليلُ

---

(١) المصدر السابق نفسه- ص١١٠

(٢) التذكرة الحمدونية ج٥ - ص١٠٢

إن النســاء كأشجارٍ نبتن معا *** فيهن مرٌّ وبعض المرِّ مأكول[1]

فمن أي ناحية كانت جودة هذا الشعر ؟ هل جودته في نظر هذا الحكم بمقياس الصدق وأنه يتفق مع الشاعر بأن النساء لا يصدقن في الخير ويصدقن في الشر بغض النظر عن التجربة التي حملت الشاعر على هذا القول . أم أن جودته في المثل الذي تضمنته الأبيات .أم في الناحية البديعية التي ظهرت طباقات في الأبيات؟ هذا ما لم يوضحه ابن حمدون .

وأورد الحمدوني نقدا بيانيا في شعر الحارث بن حلزة اليشكري والذي دار حول العجيزة:(من الكامل المرفل)-

وتنوء تثــقلها روادفها *** فعل الضعيف ينوء بالوسق[2]

وهذا من المقلوب، إنما الوسق ينوء بالضعيف، وقد أتى من القرآن بما يدعم هذا الرأي ﴿ وما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ﴾[٣].

وله وقفة عند شعر آخر هو شعر النابغة (من الكامل) :-

وإذا لمست لمست أخثم جاثما *** متحــيزا بمكانه ملء اليد

وقد نوه: "هي أبيات قدمت على جميع ما قيل في معناه حتى قال بشار في ذلك :(من السريع)

عجزاء من سـرِّ بني مالك *** لها حِرٌ من بطنــها أرفع

زيِّن أعلاه بإشــرافه *** وانضمَّ من أسفله المشرع[4]

وقد دعم ابن حمدون الرأي القائل بالتقديم، وإذا لم يقل النابغة: "غير متحيزا بمكان لكفاه فصاحة وحلاوة[٥] يعترض على إعطاء بشار مكانة بأبياته المذكورة أعلاه ويرى سبب الإطراء على أبيات بشار لأنها محدثة والناس مولعون بالمحدث ، ولكل جديد لذة" . ولكل منهما خصوصيته في جانب جماله ، فهذا أجزل وذاك فصل .

نقل الحمدوني أبيات أبي حاتم لرجل من كليب: (من الطويل):

---

[١] المصدر السابق نفسه ص٣١٠

[٢] المصدر السابق نفسه ص٣١٣ وانظر التشبيهات ابن أبي عون – تصحيح محمد عبد المعين خان ص١١٣كمبردج ١٩٥٠

[٣] سورة القصص الآية ٧٦

[٤] التذكرة الحمدونية ج٥ ص ٤٤١

[٥] المصدر السابق الصفحة نفسها

لقد منعت برد المقيل وقطـعت *** برمان أنفاس المطي صعـود
قصيرة هم الروح أما شـتاؤها *** فسخن وأم قيظها فبرود[1]

فأتى نقده كأنه مقارنة بين صاحب الفكرة ومن أحسن وأجاد، فكان الحكم لصالح عمر بن أبي ربيعة الذي قال عنه: أخذ قوله فزاد وأحسن:(من الخفيف)

سخنة في الشـتاء باردة الصيـ *** ـف سراج في الليلة الظلماء[2]

فزيادة ابن أبي ربيعة بالتشبيه الموجود في الشطر الثاني من البيت ، قد أضاف تفصيلا وتقريبا للمعنى ولكن لابد أن تسجل براءة تركيب الكلمات لأبي حاتم الذي كان مصدر الايحاء لقائل البيت أعلاه .ولكن الحمدوني لم يفصل كعادته ولم يأت بسبب هذا الحسن،كما لم يوضح الزيادة .

وله تحليل لأبيات أبو ذؤيب (من الطويل) :

عصـاني إليها القلب إني لأمرِهِ *** مطيعٌ فما أدري أرُشْـد طلابْها

فأتى بتوضيح لهذا البيت شارحا مبدأ العرب في الحذف إذا فهم المعنى ، وقدر أن بعد رشد طلابها أم غي، ونوه لأن العرب تحذف إذا بقي ما يدل على الحذف ويرى العرب ذلك فصاحة . وبرهن على ذلك من القرآن ﴿ سرابيل تقيكم الحر﴾[٣] (ولم يقل : سرابيل تقيكم البرد) [٤] أن الحر هو ما بقي ليدل على المعنى الذي حذف لذا جعل رشد طلابها أم غي لأن ما بقي يحمل في معناه الحيرة أرشد العصيان؟! وبقي جزء آخر هو من يكمل المعنى مفصلا ولكن لا تسمح له المساحة الشعرية ، كما أنه يقلل من جمال البيت ويحرم من متعة التأويل .

---

[١] التذكرة الحمدونية ج٦ ص ١٢٩
[٢] المصدر السابق نفسه الصفحة السابقة نفسها والبيت لم يرد في ديوان ابن أبي ربيعة
[٣] سورة النحل الآية ـ ٨١
[٤] المصدر السابق نفسه ص١٣١ وانظر شرح ديوان الهذليين ـ أبي ـسعيد الحسن بن الحسين السكري– حققه عبد الستار فرج – راجعه محمد محمود شاكر – دار العروبة مصر ج١ ص٤٣ وما بعدها

وأتى بأشعار كثيرة من مختلف الشعراء ، يربط بينها الغرض فجميعها في الغزل، وأطلق عليها مستحسن الشعر في المعنى .ولم يوضح مواضع استحسانها والجمال فيها كما لم يتعمق في الجوانب التعبيرية أو الفكرية أو الموسيقية ونورد منها على سبيل المثال أشعار ذي الرمة: (من الطويل) :-

عدتني العوادي عنك يا ميّ برهةً *** وقد يُلْتَوي دون الحبيب فيُهْجَر
على أنني في كل سير أسيره *** وفي نظري من نحو أرضك أَصْوَر
فإن تُحدِثِ الأيام يا ميُّ بيننا *** فلا ناشرٌ سرّا ولا متغيّر
أقول لنفسي كلما خفت هفوة *** من القلب في آثار مي فأكثر
ألا إنما مي فصبرا بليَّة *** وقد يبتلى المرء الكريم فيصبر[1]

وكذلك في مقطوعة أخرى لذي الرمة وفي شعر لجرير، ولأبي ذؤيب الهذليين وقيس بن الملوح والصمة وغيرهم كثير أتى بأشعارهم تحت "مستحسن الأشعار في المعنى"

وللحمدوني نقد يأخذ فيه الجانب البديعي عندما يجد أن هناك حاجة لذلك ، مثل ذلك قول أسماء بن خارجة (من الخفيف):

منطق صائب وتلحن أحيانا *** وخير الحديث ما كان لحنا[2]

فأورد الحمدوني آراء الآخرين في هذا النوع من الأحكام كالجاحظ الذي قال:" يستحسن من النساء اللحن"وأنشد البيت أعلاه فقال:علي بن الجهم قلت له: امثلك يقول هذا ؟ وإنما أراد وصفها بالظرف والفطنة ، وأنها توري عما قصدت له، وتتنكبُ التصريح فأعترف بذلك وقال أني تنبهت له من بعد ؛ قلت: فلم لا تغيره من الكتاب ؟فقال:كيف بما سارت به الركبان؟[3] تنبه لذلك ولكن سبق السيف العزل . أما الحمدوني كان له رأي آخر فوضح أن اللحن هنا: الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الايضاح به، وأتى من القرآن بما يثبت ذلك ويقوي حجته ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول﴾[4] وأورد رأي بن قتيبة عندما ذكر أبيات مالك واعتذر لها من لحن

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٦ ص ١٨٥
(٢) المصدر السابق نفسه ج٧ص٢٧١
(٣) المصدر السابق نفسه – ص- ٢٧٢
(٤) سورة محمد الآية٣٠

أصيب فيه واستشهد الحمدوني بقول الرسول صلى الله عليه وسلم " لعل أحدكم ألحن بحجته[١] أي أفطن وأفصح كذلك من الحديث النبوي الشريف .

وأحيانا يقف الحمدوني على الكلمات ويصفها بالصفاء والدقة ، وقد أعطى هذا الوسام لزهير بن أبي سلمى، فوصف شعره: "بأنه أصفاهم لفظا وأدقهم كلاما ثم أتي بالشعر: (من الطويل)

فأقسمت جهدا بالمنازل من منى *** وما سُحِقت فيه المقادمُ والقملُ

فنبه للفظة القمل ووصفها بأنها أهجن لفظة وأبعدها من الاستعمال ، والمقاطع أولى بالمراعاة ، فإنها ملموحة مكشوفة ، وعليها يقف الكلام[٢]. فهذه الكلمة تشعر بالتقزز وقد نبه لها ومست معنى البيت رغم أنه وصف المقاطع بأنها ملموحة مكشوفة .

---

[١] التذكرة الحمدونية ج٧ ص٢٧١
[٢] المصدر السابق نفسه ص٢٨١

المبحث الثاني : نقد الآخرين مما أورده الحمدوني

يورد الحمدوني الخبر كما هو وينقل معه النقد الذي يصاحبه في معالجة الشعر دون أن يضيف أو يصحح أو يتفق أو يعارض وتلك عادته في كل جوانب الموضوعات التي أتى بها في كتابه ومن ذلك نقد في وقت كان الناقد يكتفي بالتعليق على المعنى ، أو اقتراح كلمات بديلة للتلك التي استعملها الشاعر معتمد في ذلك على حسه فقط ويندر من يأتي بسبب لحكمه ،أو برهان على صحة ما أطلقه على الأبيات الشعرية . ومن ذلك نقد عبد الله بن جعفر عندما أنشد قول الشاعر (من الكامل):

إن الصنيعة لا تكون صنيعةً *** حتى يصاب بها طريق المصنعِ

فقال عبد الله : "هذا شعر رجل يريد أن يبخل الناس؛ إذ أمطر المعروف مطرا فإن صادف موضعا فهو الذي قصدت ، وإلا كنت أحق به) [1] فربما يرى الشاعر أن المعروف لا يكون معروفا حتى يحقق ما أسدي من أجله، ولكن يرى عبد الله بن جعفر أن ذلك بخل لأن فيه نوع من الصدف ، وعدم التركيز فيما صنع له وإلا سيكون من نصيب من يلتقيه كأنه المطر ورأى الحمدوني الصمت دون أن يشير لشيء يوضح به هذا الرأي أو يخالفه .

ومن النقد الذي أورده الحمدوني ما يكتفي صاحبه بأحد أسماء التفضيل: كأن يقول أحسن من هذا وأفضل ذلك... دون أن يوضح صاحب هذا الرأي؛ السبب الذي قاده لهذا الحكم أو السبب الذي جعل بعض الأبيات أفضل من الأخرى. ومن ذلك أبيات استشهد بها معن عندما زاره قوم من أهل الكوفة وهو والي أذربيجان فأنشدهم قول:عباد بن عبادالمهلبي(من الطويل) ومطلعه

إذا نوبة نابت صديقك فاغتنم *** مَرَمَّتها فالدهر بالناس قُلَّب

فوثب رجل من القوم ، فقال أنا أنشدك ما هو أحسن من هذا لعمك بن هرمة فأنشده الشعر الذي مطلعه:(من الطويل)

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ ص٢٦٣ وانظر منصور بن الحسين الرازي ابو سعد الآبي – نثر الدر

وللنفس حاجات تحل بها العرى *** وتسخو عن المال النفوس الشحائح[1]

فأقر زهير حكمه بقوله: أحسنت والله وأجزل له العطاء ، ولكن دون أن يوضح السبب في قبوله هذه الأبيات. والاختلاف بين المقطوعتين في أن الثانية منها أتى بذكر الموت وإذا الإنسان لم ينفع حيا فلن ينفع ميتا؛ وليس هناك سبب يحمل الإنسان على منع ماله . أما المقطوعة الأولى اكتفى فيها فقط بضرورة بذل المال.

ومن أساليب النقاد في التذكرة الحمدونية؛ تغيير المعنى للأفضل ولكن دون ذكر مواضع معينة في الشعر، وإنما يكتفي فقط بقول : ألا قال ؟! ومن ثم يغير بعض البيت الشعري أو جميعه ومن ذلك، عندما قابل العباس أحمد بن يحيى فتى من الفتيان فطلب منه أن ينشده بعض الأبيات فأنشده:(من الكامل)

فإذا مررت بقبره فاعقر به *** كوم الهجان وكل طرفٍ سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها *** فلقد يكون أخا دمٍ وذبائح

فتضاحك وسكت ساعة ثم قال : ألا قال :-

أذهبا بي إن لم يكن لكما *** عقر إلى ترب قبره فاعقراني

وانضحا من دمي عليه فقد كا *** ن دمي من نداه لو تعلمان[2]

فقد بدل بأسلوب يعترف فيه بما قدم، وقد استبدل الهجن التي كان الشاعر يفضل ذبحها لأن المقبور كان جوادا بها وعندما يذبحها الشاعر يكون ذلك إكراما له ، ولكن الناقد استبدلها بنفسه، فقد كان دمه من كرمه ، وهذا نوع من المبالغة وإن كان أبلغ وأعمق في المعنى، وأكثر تعبيرا عن مدى كرم صاحب القبر .

ومن أساليبهم في النقد غير المعلل مثل رأي عبد الملك بن مروان عندما سألهم أي المناديل أفضل؟ ورد عليه جلساؤه ردودا لم تشف غليله فيما قصد ، فأجابهم بشعر عبدة بن الطيب :

لما نزلنا أصبنا ظل أخبية *** وفار للقوم باللحم المراجيل

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ ص٣١٢

[2] المصدر السابق نفسه ص٣٥٣ وانظر الأذكياء الإمام ابن الجوزي – دار الآفاق -بيروت ص ٢٠٤ و٢٠٥

ورد اشقر ما ينــهيه طابخه *** ما غير الغلي منه فهو مأكـول
ثمت قمنا إلى جود مسـومة *** أعرافهن لأيدينا منـاديل[1]

فقد حـاول أصـحابه أن يجيبـوا عليـه بأمـاكن صـنعها وتشـبيه جودتهـا ، ولكنـه فضل أن تكون الإجابة شعرا ليس فقط ما تفضلوا به ،فأعطى حكما نقديا مختصرا غير معلل وقال أفضل المناديل، ثم ذكر الأبيات أعلاه .

ولعبد الملك بن مروان نظرة نقدية أخرى عندما سأل عن أشجع الناس في الشعر فقال عمر بن معد كرب ، فاستبعده بسبب أبيات قالها الشاعر : (الطويل)

وجاشــت النفس أول مرة *** وردت على مكروهها فاستقرت[2]

فأبعده إقبال نفسه واستقرارها على الحرب مكرهة ؛ من أن يكون أشجع الناس وقد كان يريد لنفس الشاعر أن تأتي طائعة محبة للموت .وكذلك فعل مع شعر عنترة وأبعده لنفس السبب في قوله :

إذ يتقون بي الأسـنة لم أخِم *** عنها ولكني تضـايق مقدمي[3]

فقد كان يريد لإقدامه أن يكون باتساع صدر وتوافر زمن، وكان أشجع الناس في رأيه قيس بن الخطيم لأنه لم يرد لنفسه البقاء في قوله:

وإني لدى الحرب العوان موكل *** بإقدام نفس ما أريد بقاءَها

وقول العباس بن مرداس (من الوافر)

أشد على الكتيــبة لا أبالي *** أحتفي كان فيها أم سـواها[4]

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٢ ص٤٠٨ وانظر الزمخشري - ربيع الأبرار- ت د.سليم النعيمي ج٢ ص٦٧٧-٦٦٨
(٢) المصدر السابق ص ٤١٦
(٣) المصدر السابق ص٤١٦
(٤) المصدر السابق ص ٤١٧ وانظر ديوان قيس بن الخطيم – تحقيق د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر بيروت ١٩٦٧

لأنه لا يهتم بموته مع هؤلاء أم أؤلئك ولكن نعتقد أن الصبر هو الفيصل بين الشجاع والجبان. وهكذا مع المزني الذي كان يشعر بطيب النزول والنزال ، ولا يمكن ذلك بدون الصبر. في قوله :

دعوت بني قحافة فاستجابوا *** فقلت رِدوا ألا طاب النزول[1]

فللأسباب المتقدم ذكرها كان تفضيل عبد الملك لقيس بن الخطيم الأوسي والعباس بن مرداس السلمي وثالثهم رجل من مزينة لم يذكر اسمه إنما ذكرمنسوبا لقبيلته(المزني).

وروي أن امرأة عمران بن حطان قالت له : ألم تزعم أنك لا تكذب في شعرك؟ قال : بلى. قالت : أفرأيت قولك : (الكامل المجزوء)

وكذاك مجــزأة بن ثو *** رٍ كان أشجع من أسامه[2]

أيكون رجل أشجع من أسامه ؟!

وجهت إليه امرأته النقد بميزان الصدق والكذب، واعتبرته كاذبا لما حللت المعنى مجردا من كل مبالغة شعرية أو فخرية أو غير ذلك. ولقد كانت له فلسفته في الرد عليها: "بأن الأسد لا يقدر على فتح مدينة وأن مجزاة بن ثور فتح مدينة كذا وكذا " فرد عليها بطريقتها المجردة من الأمور النقدية ، معتمدا على الواقع الذي بنت عليه نقدها .

وهنا أثبت صدقه في بيته الشعري وفي من مدح . وهذه الحقيقة الواقعة ودافع عن نفسه بنفس المعيار ولا سبيل غير ذلك .

اسم التفضيل بكلمات أشجع ، وأعف ، وأكرم بيت في شعر المحدثين هذه مواصفات نقدية طلب على أساسها المأمون من أبي الحسين الراوية أن ينشده بيت يحملها فأنشده: (من الطويل):

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٢ ص ٤١٧

(٢) المصدر السابق نفسه ص٤٥٤

ومن يفتـقر منا يعش بحسامه *** ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وإنا لنلهو بالسيوف كما لهـت *** عروس بعقد أو سِخابِ قرنفل

والسخاب هو القلادة التي تتخذ من قرنفل والمحلب وليس فيها من اللؤلؤ والجواهر شيء[1]، فسأل عن صاحبه فعرف أنه بكر بن النطاح فواصل نقده بالكلمة المعهودة (أحسن والله) ولم يوضح أن العروس تلهو مستمتعة بعقدها الجميل اللامع أو بسخابها وعطره الفائح ، وفي كلا الحالين هناك استمتاع سواء كان بالعقد أو بالسيف، مع فارق الحذر واليقظة في اللهو بالسيف عن اللهو بالعقد. ثم استخدم مقياس الكذب قائلا لكنه كذب في قوله، فما باله يسأل أبا دلف ويمدحه وينتجعه؟! هلا أكل خبزه بسيفه كما قال ؟![2] .

ومن يستعمل هذا المقياس في شعره يربط بينه وبين أفعال الشاعر والشعراء ولا يضع في اعتباره أن الشعراء هم الذين يقولون ما لا يفعلون .

كما أن المأمون لم يفته ذلك التشبيه الدقيق والاحساس العميق بمتعة ما يقوم به مستعملا"[3]" السيف وهو في لحظة موت أو حياة وهنا قمة الشجاعة ، فنظر كيفية التعامل مع السيف المصحوب بإحساس الراحة ربما بالفرح لأن العروسة التي تلعب بالعقد القرنفلي لا تلعب وهي خائفة ، إنما تلعب وهي فرحة بحالها وسعيدة بعقدها ومزهوة برائحة القرنفل والمحلب التي تفوح منه وذلك كله في قول الشاعر أعلاه .

وكذلك قال الفرزدق للكميت: " أنت أشعر من مضى وأشعر من بقى " حينما عرض عليه شعره ليختبر موهبته في الشعر فإذا كان شعرا أصيلا نشره وإلا فستره وكانت أبياته : (من الطويل)

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب *** ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب
ولم تلهني دارٌ ولا رَسْمُ منزلٍ *** ولم يتطرَّفني بنان مخضَّب

إلى قوله: (من الطويل)

---

[1] المعجم الوسيط –ص ٧٨٢
[2] المصدر السابق نفسه ص٤٥٩ وانظر الأغاني أبو الفرج الأصبهاني – ج١٩ ص٢٣٩

بني هاشم رهط النبي فإنني *** لهم وبهم أرضى مرارا وأغضب
خفضت لهم مني جناحي مودة *** إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء *** مجنا على أني أذم وأقصب
وأُرْمى وأَرمي بالعداوة أهلها *** وإني لأوذى فيهم وأؤنب[1]

ومن أول تجربة وضحت قدرته التي لا تخفى وظهرت براعته في استخدام المحسنات البديعية من طباق (أرضى ، وأغضب) واستعارات (خفضت لهم جناح مودة) واعتبره الفرزدق أشعر من مضى ومن بقى معتمدا على تذوقه الفطري للشعر واحساسه بالمعاني وهو من الشعراء الأفذاذ، وهذه مرحلة النقد وطبيعته في ذلك الوقت .

ومن النقد في التذكرة الحمدونية ما نحى منحى المقارنة ومن ذلك المقارنة التي عقدها أبو السائب المخزومي عندما سمع شعر ابن أبي عتيق: (من الطويل)

ولست براضٍ من خليل بنائلٍ *** قليلٍ ولا أرضى له بقليل

فقد رفض الشاعر مبدأ القلة سواء كان في العطاء أم العكس، فهو يريد أن يعطي كثيرا ويجد من يبادله هذا العطاء ليتم التوافق والانسجام بينهما. ولكن ابن السائب كان له وجهة نظر أخرى ؛ رأى أن هذا ليس بكلام عاشق ، ولم يذكر كيف يكون العاشق من فكره إنما لجأ للمقارنة والإثبات بأن هناك من لم يقيس عطاءه على هذا المعيار فأتى بشعر عمر بن أبي ربيعة (من الخفيف) :-

ليت حظي كطرفة العين منها *** وكثير منها القليل المهنا

وابن قيس الرقيات (من الوافر):-

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٤ ص٣٩

رُقيَّ بعيشكم لا تصـرمينا *** ومنّينا المنى ثم امطـلينا

عدينا من غد ما شـئت إنّا *** نحـب وإن مطلت الواعدينا)[1]

فكل منهما اكتفى بالقليل من محبوبته ويراه كثيرا لصعوبة منالها وكل ما صعب الشيء زادت قيمته وأصبح قليله مفرحا ، وهذا ما رآه بن مخزوم وطلب توفره في البيت الذي عرض عليه ، وأخذه معيارا قاس عليه الشعر المقبول لديه والذي ينال على إعجابه إذا تحقق فيه هذا المطلب .

ومنهم من يقارن الشاعر في شعره ، بين قصيدة وأخرى معتمدا على معيار الخطأ والصواب وذلك مثل أبي بشر الآمدي في بيت البحتري:(من الخفيف)

ما نقضي لبانة عـند لبنى *** والمعنى بالغانيـات مُعنَّى

هجرتنا يقـظى وكادت على مذ *** هبها في الصـدود تهجر وَهْنا

فقال الآمدي : أخطأ البحتري في قوله هجرتنا يقظى ، قال: لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها، أيقظى كانت أو وسنى؛ قال: والجيد في هذا المعنى قوله:(من البسيط)

أرد دونك يقـظانا ويأذن لي *** عليك سُكْرُ الكرى إن جئتُ وسنانا[2]

ويخالف بعضهم بعضا في نقد الأبيات فهناك من يرى أن هذه الأبيات حسنة وغيره يرى فيها عكس ذلك ، ويتم ذلك بمعيار بسيط يعتمد مجمله على تذوق الشعر ويتضح ذلك في قول عبد الله بن عبيد لأبي السائب المخزومي والذي رأى أن عروة بن أذينة قد أحسن في قوله:(من الكامل)

لبثوا ثلاثَ منى بمنزل غبـطة *** وهم على غرض هنالك ما همُ

متـجاورين بغير إقامـة *** لو قد أجد رحيلهم لم ينـدموا

إلى آخر مقطوعته.

قال المخزومي لا والله ما أحسن ولا أجمل، ولكنه أهجر وأخطل في صفتهن بهذه الصفة، ثم لا يندم على رحيلهن ، أهكذا قال كثير حيث يقول :(من الطويل)

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٦ ص١٤٦وانظر الأغاني- ابو الفرج الاصبهاني– ج٥- ص ٨٥-٨٦

(٢) المصدر السابق ص٨٤ وانظر الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري أبي القاسم الحسن بن بشر الامدي ٣٧٠هـ تحقيق السيد أحمد صقر ط٤ دار المعارف ١- ٣٥٣ - ٣٥٥

تفرق أهواء الحجيج على منىً *** وصدَّعهم شعب النوى صُبْحَ أربع
فريقان منهم سالك بطن نخلة *** وآخر منهم سالك بطن تضرع
فلم أر دارا مثلها دار غبطة *** وملقى إذا التف الحجيج بمجمع
أقل مقيما راضيا بمقامه *** أكثر جارا ظاعنا لم يودع

ثم أعطى المخزومي الشاعر صفات لم يفصلها فوصفه بأن تقدمت شهادته علمه وكفى لسانه ببيانه ، ثم وضح قليلا من المعنى: وهل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به ولكن مكره أخوك لا بطل) [1]. ولكن بالنظرة الأخرى فالحجيج فرحين بما أدوا من شعائر ولذا لا مجال للندم على الرحيل فالحج أيام معدودة وهدفها محدد ، بهذا جرد المخزومي المعنى من الحسن والجمال بغير نظرة عبدالله بن أبي عبيد الذي رأى فيها الحسن ولكنه اعتمد على تذوقه فقط. ولم يعط أي تفصيلا أو إضافة أو توضيحا ومقارنة أخرى ما قامت بها قطام صاحبة بن ملجم بعد أن تحدثت مع كثير عزة وسمعت شعره الذي يقول فيه:(من الطويل)

فما روضة بالحَزْن طيبةُ الثرى *** يمُجُ الندى جثْجاثُها وعرارُها
بأطيب من أردان عزة موهنا *** وقد أُوقدت بالمندل الرطب نارُها
فإن خفيتُ كانت لعينك قـرَّة *** وإن تبد يوما لم يغمُّك عارُها

فقالت : تا الله ما رأيت شاعرا قط أنقص عقلا ولا أضعف وصفا منك حيث تقول هذا ، ألا قلت كما قال امرؤ القيس :(من الطويل)

ألم تريانى كلما جئت طارقا *** وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

رأت قطام من هذه المقارنة السريعة غير المفصلة أن امرؤ القيس أصاب أكثر منه لأنه وصف محبوبته أكثر عمقا؛ لأنه لم يذكر عملية تطييب نفسها أو إيقاد نارها

[1] المصدر السابق ص١٧٣ وانظر ديوان شعر العرجي – عبد الله بن عمر بن عمرو – شرحه وحققه خضر الطائي ورشيد العبيدي ، بغداد ١٩٧٠مكتبة الاندلس وانظرشعرعروة بن أذينة – جمع وتحقيق الدكتور يحي الجبوري – ساعد على نشرها جامعة بغداد ١٩٨٦ استاذ بجامعة بغداد وجامعة قطر – مكتبة الأندلس ، بغداد ١٩٧٠ ص٣٦٧ -٣٦٨

فأظهرها كأن العطر خلق معها، وذلك دون شرح مما يدل على عمق فهمها للأبيات فعمدت لإثبات رأيها بهذه المقارنة وأفحمت الكثير[١].

وأورد الحمدوني بعض المقارنات بين أشعار الشعراء وأخذهم المعاني من بعضهم البعض ومن ذلك ما دار حول بيتي جرير والمخبل السعدي فأتى بقول الحمدوني من الشعر والشعراء بأقسام الشعر قائلا قال نقاد الشعر: الشعرأربعة أضرب: :ضرب حسن لفظه ومعناه ، فإذا نثر لم يفقد حسنه نحو(من البسيط) :

في كفه خيزران ريحه عَبِقٌ *** من كفِّ أروع في عرنينِهِ شمم
يغضي حياءً ويغضي من مهابته *** فما يُكلِّم إلا حين يبتسمُ

وضربٌ حسن لفظه وخلا معناه نحو (من الطويل) [٢]

ولما قضينا من منىً كل حاجةٍ *** ومسَّح بالأركان من هو ماسحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا *** وسالتْ بأعناق المطيِّ الأباطحُ

وهكذا حتى أتي بنقد الآخرين ورأيهم في أضرب الشعر الأربعة، مصحوبة بنماذج من الشعر يحمل دليلا على ما قدم من ضرب .ومن النقد الذي أورده الحمدوني ما كان فيه قليل من التفصيل والتعليل للحكم الذي يصدر في حق البيت الشعري حيث يعتمد أحيانا على المعلومات العامة التي يتجاوزها الشاعر. ومن ذلك نقد نصيب لأحد أبيات الكميت بن زيد عندما أنشده : (من البسيط)

إذا ما الهجارس غنّينها *** تجاوبن بالفلوات الوبارا

فقال له نصيب : الوبار جمع وبرة وهي دابة معروفة لا تسكن الفلوات
فصحح نصيب معلومة أخطأ فيها الكميت وكأنه بذلك قد هدم البيت الذي لم يحمل غيرها وكأن الكميت قد اعتاد ان يبني شعره على معلومات لا يتعب نفسه في تحري صحتها وكان ذلك في بيت آخر من القصيدة :-

---

[١] التذكرة الحمدونية ج٧ ص٢٢٥ وانظر الأغاني– أبو الفرج الأصفهاني - ج ١٥ ص ٢٢٤-٢٢٥
[٢] المصدر السابق ٢٨٤وانظر الشعر والشعراء - محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة - دار الثقافة بيروت ١٩٦٩ص ١٢-١٥

كأن الغُطــامط من جرْيها *** أراجيز أسلم تهجو غفارا[1]

وكان له نصيب أيضا بالمرصاد فصحح معلومة أدبية بأن أسلم لم تهجو غفار ؛ مما اسكت الكميت لأن التشبيه الذي اعتمد عليه لا وجود له في الواقع ، وهذا خطأ لا يغفر للكميت حيث لا توجد علاقة بين طرفي التشبيه، فكان مقحما على البيت الشعري. ومن نقاد التذكرة الحمدونية ما قدم نقدا ورآه الشاعر صحيحا نحو قصة بن شبرمة مع ذي الرمة في بيته (من الطويل)

إذا غير النأي المحبين لم يكد *** رسيس الهوى من حب مية يبرح [٢]

فقال له ابن شبرمة قد برح يا ذا الرمة، مما جعله يغير من تركيب البيت ويقول لم أجد رسيس الهوى من حب مية يبرح، ولكن غير رأيه أذ كان قول ابن شبرمة صحيحا واعتمد على دليل قرآني في قوله تعالى: (إذا اخرج يده لم يكد يراها) [٣] هو لم يرها ولم يكد وبهذا صبح حبه لم يبرح ولم يكد، وتغيير ذي الرمة لبيته يدل على عدم ثقته بما بنى من تراكيبه الشعرية في هذا البيت، وجعله ذلك يغير الأصح بالصحيح ولكن وضحت في هذا الموقف سرعة بديهته .

وأتى الحمدوني بنقد سكينة بنت الحسين لشعر الأحو ص وجرير ونصيب وكثير لما أدعى كل منهم أن صاحبه أشعر، واتفقوا على أن يحكموها ، فبينوا لها ما دار بينهم ، فجاء نقدها متنوعا؛ مرة باستبدال كلمة مكان أخرى وذلك في شعر جرير . فقالت لراويته أليس صاحبك الذي يقول (من الكامل) :-

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا *** حين الزيارة فارجعي بسلام

وأردفت نقدها ؛ وأي ساعة أحلى من الطروق ؟ قبح الله صاحبك وقبح شعره ، ألا قال ادخلي بسلام . فأظهرت باستبدال هذه الكلمة معاني أخرى لهذا البيت ، ففي

---

(١) التذكرة الحمدونية ج٢ ص٢٨٩ وانظر الأغاني - الأصبهاني - ج١ ص٣٢٧ -٣٢٨

(٢) المصدر السابق نفسه ص٢٩٠ وانظر – الأصبهاني الأغاني - ج١٥ ص١١٠-١١١

(٣) سورة النور الآية ٤٠

البيت الأصلي انتهى الأمر إلى إرجاعها ، وكيف يرجع صائدة القلوب ويستغني عن تلك اللحظة فمس مدى تعلقه بها، إنما بالكلمة الجديدة ففيها حفاظ على الطبيعة العربية الكريمة في الاستقبال حتى لو كان في الشعر مما يعطي معنى الكرم والاستقبال حتى لو كان في وقت غير مناسب . وغيرت أسلوب نقدها لما جاء دور الرد على راوية كثير واختارت قوله (من الطويل)

يقر بعيني ما يقر بعينها *** وأحسن شيء ما به العين قرت

وجاء حكمها سريعا بأن ليس شيء أقر بعينها من النكاح ، أفيحب صاحبك أن ينكح ؟ قبح الله صاحبك وقبح شعره. تعاملت مع المعنى وأبعاده ولمن تصلح هذه الكلمة وكانت كلمة للمذكر. فاستعملت هذه الثغرة التي وجدتها في نسيج البيت حيث اعتبرت أن ما يقر عينها هو النكاح ؛ فربما كانا لا يطمحان لأكثر من رؤية بعضهما البعض لصعوبة ذلك، وقد حدث منه ما تقر به عينهما ولكن فكرت سكينة بأعمق من هذا لتضع نهاية سعيدة لمعانتهما .

ثم وجهت النقد التالي لراوية جميل في بيته (من الطويل)

لو تركت عقلي معي ما طلبتها *** ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فنظرت لسبب طلبه لها فوجدته يطلب عقله ولا يطلبها لأنه يهواها. لذا قبحته وقبحت شعره كما سلف مع زميليه. ونعتقد أن الشاعر أراد أن يثبت أنها سلبته عقله ، ولكن هذا كان في نظرها تصوير سلبي لمشاعره التي وضحت فيها البحث عن مصلحته الذاتية .أما نصيب فقد غيرت في شعره ليكون المعنى أقوى (من الطويل)

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت *** فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

بدلا من بيته :

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت *** فواحزنا من ذا يهيم بها بعدي

فكان نقد سكينة بنت الحسين أن كل همه من سيأتي بعده وبعد وفاته ، وهو يريد أن تعيش على ذكراه ولكنه لم يجد منها غير قبحه الله وقبح شعره .

أما الأحوص في بيته : –

من عاشقين تواعدا وتراسلا *** ليلا إذا نجم الثريا حلقا
باتا بأنعم ليلة وألذها *** حتى إذا وضح الصباح تفرقا[1]

فغيرت هنا في كلمات البيت فاستبدلت كلمة تفرقا بكلمة تعانقا. وكيف يكون ذلك في الصباح؟ وأين عيون الرقباء والتقاليد الحاسمة في ذلك الوقت، والتي لا تجيز اللقاء ناهيك عن العناق أم كان عناق الوداع رغم كل شيء. فقد أنهت تلك الجلسة النقدية بحكم عادل ولم ترجح كفة أحدهم على الآخر وشبيه بهذا النوع من النقد ما جاء على لسان كثير وغيره من الشعراء وهم عمر ببن أبي ربيعة والأحوص ونصيب فهي نفس المجموعة أعلاه ولكن هنا قد تناول هؤلاء الشعراء أشعار بعضهم البعض بالنقد الذي كان أشبه بتصيد الأخطاء منه بالنقد فقد بدأه كثير عندما وجه نقده لعمر بن أبي ربيعة في أبياته:(من المنسرح)

قالت تصدي له ليعرفنا *** ثم أغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها قد غمزته فأبى *** ثم اسبطرت تشتد في أثري
وقولها والدموع تسبقها *** لنفسدن الطواف في عمر

فكان نقد كثير لما تجاهله عمر بن أبي ربيعة من التقاليد التي تكون فيها الفتاة هي المطلوبة ليست الطالبة وإنما الحرة منهن هي التي يجب أن توصف بالحياء والإباء والامتناع. وهذا ما يدور حوله معظم الشعر في ذلك الوقت لما فيه من احترام لها وزيادة في قيمتها فكل ممنوع مرغوب، ولكن ابن أبي ربيعة لم يلق بالا لذلك وبث نرجسيته في هذه الأبيات وترك تلك الصفات المحمودة في فتاته والتي تفرضها القوانين الاجتماعية آنذاك .

وأتى من شعر الأحوص ما يحمل هذه المعاني في قوله (الطويل)

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٧ ص٢٩٠-٢٩١ وانظر الأغاني - الأصبهاني –ج١٦ ص١١٠-١١١

أدور ولولا أن أرى أم جعفر *** بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى *** إذا لم يزر لا بد أن سيزور

مما أشعر الأحوص بالفخر ليعاجله بنقد مماثل ، ثم تابعهم واحدا تلو الآخر يمدح أحدهم ثم يأتي بما يناقض ذلك من شعره. وبعد ذلك يأخذ مقاليد الأمور هؤلاء الشعراء ليوجهوا له النقد لشعره بنفس الأسلوب الذي أتبعه هو معهم وقد تناوبوا عليه واحدا تلو الآخر فبدأه نصيب في أبياته المشهورة:(من الطويل)

ألا ليتنا ياعز كنا لذي غنى *** بعيرين نرعى في الخلاء ونعزب
كلانا به عَرٌّ فمن يرنا يقل *** على حسنها جرباءُ تُعدِي وأجرب
إذا ما وردنا منهلا صاح أهلُهُ *** علينا فما ننفكُّ نُرمى ونُضرب
وددت وبيت الله أنك بكرة *** هجان وأني مصعب ثم نهرب
نكون بعيري ذي غنى فيضيعنا *** فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب[1]

وقد أخذ عليه أمنيته لها بالجرب والرق والرمي والطرد وما إلى ذلك من الأمنيات السيئة التي يتمناها المرء لعدوه وليست لمحبوبته وقد كان يهدف لأن يكون معها باستمرار دون أن يتطلع آخر لهما ولكنه لم يحسن الأسلوب الذي اختاره ليكونا معا، وقد أورد الحمدوني القصة كاملة مفصلة بأقوالهم ونقدهم لشعره ونقده لشعرهم.

ومن أقوال النقاد في التذكرة قول أبو القاسم بن بشر الآمدي حينما أخذ توضيح وجه ما سماه بالخطأ في بيت البحتري (من الخفيف)

ما نقضي لبانة عند لبنى *** والمعنى بالغانيات معنى
هجرتنا يقظى وكادت على مذ *** هبها في الصدود تهجر وهنا[2]

(١) التذكرة الحمدونية ج٧ ص٢٩٤ وانظر الأغاني - الأصبهاني - ج١٢ ص١٠٤ وما بعدها
(٢) التذكرة الحمدونية ج٦ ص٨٤ وانظر حلية المحاضرة في صناعة الشعر- محمد بن حسن الحاتمي –ج١– تحقيق د. جعفر الكتاني – دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٩ ص٢٠٧ وانظر ديوان البحتري تحقيق - حسن كامل الصيرفي- القاهرة ١٩٦٣ص٢١٤٣

ووضح الآمدي أن الخطأ في قوله هجرتنا يقظى ، لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها ، أيقظى كانت أو وسنى ؛ وعذا سبب هذا الخطأ قول قيس بن الخطيم، إذ أن ما تمنعه في اليقظة قد تؤتيه في النوم وذكر أن لبيت قيس هذا الكثير من التأويل ، فقوله تؤتيه في النوم غير تؤتينه وهي نائمة ، وقد يجوز أن يحمل على أنه أراد ما تمنعني يقظى أي وأنا يقظان ، فقد تؤتينه في النوم ، أي نومي ، ولا يسوغ مثل ذلك في بيت البحتري لأنه قال : وسنى ولم يقل : في الوسن .وبيت قيس بن الخطيم (من الكامل) :

أني سربت وكنت غير سروب *** وتقرب الأحلام غير قريب
ما تمنعني يقظى فقد تؤتينه *** في النوم غير مصرّد محسوب[1]

فقد تناول الآمدي الأبيات الشعرية من الوجه اللغوي وبحث معانيها وتأويلاتها في مختلف تصريف الكلمات ولم يفته أن يعقد المقارنة بين أكثر من مقطع شعري حيث أتى ببيت آخر للبحتري (من البسيط)

أرد دونك يقظانا ويأذن لي *** عليك سكر الكرى إن جئت وسنانا[2]

وقد فضله على بيته السابق معتمدا على الأسلوب النقدي عينه . أورد الحمدوني كثيرا من جهود النقاد والشعراء في الشعار التي مرت عليهم ، كلهم على حسب رؤيته، وما كان سائدا في ذلك الوقت ولم يكن منهم من أبدع في ذلك ، كذلك الحمدوني الذي لم يزد على أنه نقل قط .

(١) انظر ديوان شعر- قيس بن الخطيم ـــت ناصر الدين الأسد- دار صادر بيروت ١٩٦٧ ص١٥
(٢) التذكرة الحمدونية ج٦ ص ٨٤

الباب الرابع

النثر الفني في التذكرة الحمد ونية

الفصل الأول: القرآن الكريم والحديث النبوي.

الفصل الثاني: الحكم والأمثال والمواعظ

الفصل الثالث: القصة القصيرة

الفصل الرابع: الخطب والرسائل

الفصل الخامس: المناظرات الأدبية

النثر الفني في التذكرة الحمدونية

النثر الفني أحد جناحي الأدب، وصفحة ثانية في كتاب حياتهم يسجل ملامحها أسوة بالشعر، ولكنه رغم ذلك جناح ضعيف بالمقارنة بينهما ولم يجد القدر الكافي من الاهتمام " فالشعر في نظر النقاد من العرب أكثر حظا في الفن ،وأولى بالنقد والوزن. "والنثر مهما احتفل أصحابه بإتقانه وتجويده لم ينل من أنفس النقاد منزلة الشعر لذلك قلت العناية به" [١] فرونق الشعر وجرس كلماته تجذب أنفس النقاد جذبا، وتدعوهم لدراستها فيقبلوا وهم مستمتعون بذلك، فيكسب بذلك التحدي مع النثر، ويجعله قليل الحظ من العناية.ويرى البعض أن التحدي الذي يحمله الشعر في أبياته للنقاد هو ما جعلهم يهتمون ومن ذلك ما رآه أبو إسحق الصابي في حديثه عن ضيق امتداد الأبيات لأنها محكومة بالوزن معتمدة على المعنى فقال:"احتاج إلى أن يكون الفضل في المعنى فاعتمد أن يلطف ويدق، ليصير المفضي إليه والمطل علية بمنزلة الفائز بذخيرة خافية استفادتها، والظافر بخبيئة دفينة استخرجها واستنبطها ثم إن للمتأمل وقفات على إعجاز الأبيات ، وقد وضعت لإدراك المعنى والفطنة للمغزى، وفي مثل ذلك تحسن خفايا الأثر وبعد المرمى"[٢]

فهذا ما يجده الناقد في فنون النثر؛ لأنها تعتمد الوضوح، فجاءت خالية من الذخيرة المعنوية الموجودة في الشعر التي لا يجدها إلا غواص ماهر في فنون الشعر ، وكلما ما وجد لؤلؤة بحث عن غيرها، فزاد اهتمامهم بالشعر دون النثر، كذلك سهولة تنقل القصائد بين الناس فقد يسمعها المتعلم والأمي، ويفهمانها أو يحاولان فهمها بخلاف الأنواع النثرية التي في حاجة لمن يستطيع قراءتها مثل القصص ، وأنواع نثرية أخرى قد اندثرت أو كادت ؛ باندثار ميدانها الذي يصول فيه فرسان النثر من الكتاب والنقاد مثل الرسائل؛ ونظن أن هذه من الأسباب التي جعلت الشعر يجد كل العناية والاهتمام من قبل النقاد .

---

[١] النثر الفني في القرن الرابع ج١ د.زكي مبارك – دار الجيل – بيروت ص١٧

[٢] التذكرة الحمدونية ج٦ص٣٥٨

الحمدوني رغم تعامله مع طرفي الأدب بمختلف أنواعه بشكل متساوٍ إلا أنه – تصديقا لما أدلى به الصابي و د. زكي مبارك أعلاه– نجد أن الأبواب ذات النزعة النثرية نصوصا دون دراسة أو تحليل ولم يستغن بها عن الشعر فقد كان يلجأ إليه أحياناً في عرضه للمادة كما سنرى لاحقاً مما جعل الباب قصيرا مقارنة بالباب الثالث الذي خصص للشعر،وهو على القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف وكيفية تناول الحمدوني لأهم مصدرين للشريعة ، ومن ثم الحكم والأمثال والمواعظ ، والقصة القصيرة والخطب والرسائل ويختم بالمناظرات الأدبية . هذه الأنواع تفاوتت كميتها من نوع لآخر ولكنه قد بثها في متون الأجزاء جميعها كل في موضعه المناسب.

الفصل الأول: القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

بدأ الحمدوني كتابه بالحديث عن المصحف الشريف ، ووضح أنه افتتح به مصنفه ليشرفه به، وجعله في البداية تيمنا ببركة هذا الكتاب العظيم والأول في حياة كل مسلم ، وسبب آخر جعله يحصر هدفه في هذا التيمن ولم يذهب لأبعد من ذلك هو أن تقصي آياته وطلب غاياته شأو بعيد المنال وطريق صعب لا يمكن أن يسلك بأسلوب يعطيه الحق الكافي الذي يتناسب معه، ولا يستطيع القول بأنه قد تناوله مفصلا ومن كل الوجوه التي لا تحصى في الذكر الحكيم، ولو حاول ذلك لكانت حاجته ماسة لكتاب ضخم حتى يكتب قليلا عن المصحف، وكذلك لتبدل الهدف الذي من أجله جمع مادته ، ولوجد نفسه ليس في حاجة لقصص أو أشعار أو لنماذج أدبية أخرى، ولأصبح كتابه في تخصص مختلف تمام الاختلاف ، ومهما كتب ومحص في الذكر الحكيم لجاء كتابه ناقصا؛ لأنه لا يمكن أن يكتب كل شيء عن هذه الآيات وسحرها الذي لا ينتهي ومعانيها الدائمة التجدد ومعجزاتها التي للآن ما زالت تتحقق؛ لذا حسبه أن يكتفي فقط بتشريف مصنفه ببضع آيات اختارها اختيارا يدل على تنظيم صادر من عقلية استوعبت الكثير مما تعني الآيات.

ووفقا لهذا التنظيم قسم القرآن الكريم إلى أقسام قليلة: وهي المواعظ والإنذار، والآداب ،ورأى أن آيات الكتاب العزيز لا تخرج من بين هذه التقسيمات: " قد حوى هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه المواعظ والإنذار والآداب[1] ومن خلالها الطريق إلى الجنة لمن نفذ ما أمر به في معانيها، فهي لا تنفصل عن بعضها البعض ، فمن عمل بمواعظها؛ انتبه لما ينذر به من العذاب إذا لم يحسن عمله ، ومن يأخذ بالمواعظ ويخشى الإنذار أولى له أن يتأدب بما جاء من آداب، وسهلت المخاطر التي بالجنة،أما من تهاون في المواعظ فيمر بما حملت الآيات من إنذار دون تريث أو خشية من

[1] التذكرة الحمدونية ج١ص٣٣

ذلك، وكذلك يصنع بآيات الآداب ويسلك طريقا للنارسهلاً، ولا يلقى لكل ذلك بالا، ويضع أصبعه في أذنه ويصر ويستكبر استكبارا إلى أن يأتيه اليقين الذي لا مناص منه.

ومن الآيات المختارة للمواعظ مثل ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾[1] وفيها عبرة لمن اعتبر، وفيها وصف لتلك الساعة التي تصطك منها الأقدام، وتذهل كل مرضعة عمن كان أغلى من تملك ، وغيرها سكارى من هول وشدة العذاب . فقد اختار هذه الآية التي تصور هول ذلك اليوم العظيم، من آيات العظة والذكرى لمن كان له قلب يعي ما تحمل من عظة وغير ذلك من الآيات التي جعلها في قسم العظات والعبر.

ومن آيات الإنذار ﴿ لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾[2] فأي إنذار أصعب من هذا بعد أن وضح لهم ما يحل بهم و بهؤلاء الشركاء الذين جروهم لما هم فيه الآن، ومن ثم تبرؤوا منهم فهل يا ترى من سامع ومجيب؟ .

ومن آيات الآداب ما علمنا به حفظ الأمانات والعدل ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم أن تحكموا بالعدل ﴾[3] وذكر غيرها الكثير من الآيات التي تحمل بين متونها الآداب التي أدبنا بها الخالق عز وجل ودعانا على أن نسير على نهجها كالفضل بين الناس في قوله:﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير﴾[4] وغيرها العديد من الآيات التي وجد الحمدوني أنها تعني بالآداب الإسلامية مثل الأمور التي يوسوس بها الشيطان لابن آدم، مثل وعده لنا بالفقر ، وأمرنا بالفحشاء في الوقت الذي يعدنا

---

[1] سورة الحج الآية (١-٢)

[2] سورة الأنعام الآية ٩٤

[3] سورة النساء الآية ٥٧

[4] البقرة الآية ٢٣٧

فيه الخالق عز وجل بالمغفرة والفضل العظيم؛ لذا طلب منا اجتناب وسوسة الشيطان ،وإتباع الأمر بالمعروف والاعتصام بحبل الله المتين ، وعدم أكل مال اليتيم وإقام الصلاة وقراءة القرآن .....الخ وكلها آداب تؤدي لاستقرار الفرد والجماعات على حد سواء إذا تم التمسك بها. وقد أكثر من الآيات التي تتحدث عن الآداب مقارنة مع آيات المواعظ والإنذار .والآيات التي أوردناها اختيرت هنا على سبيل المثال لا الحصر، لأن الحمدوني يكاد يكون قد جمع كل الآيات التي تتحدث عن كل قسم من الأقسام التي جعل آيات القرآن تندرج تحتها .

هذا ما كان في بداية الكتاب ولكنه لم يترك ما تبقى من أجزاء الكتاب الأخرى بدون أن يتطرق للقرآن الكريم، ولم يكتف بأن جعل القرآن فاتحة لكتابه فقط ؛ إنما شرف به كل الأبواب والأجزاء؛ حيث يستفتح كل منها بالآيات التي يرى أنها تناسب المقام وسيأتي تفصيله.

أما ثاني أهم مصدري الشريعة الإسلامية هو الحديث النبوي الشريف فقد جاء في التذكرة لصيقا للقرآن الكريم حفظا لمكانته العالية، وقد جعل له فصلا خاصا، به كما بثه كذلك في كل أجزاء الكتاب، وجعله افتتاحية تالية للقرآن في كل موضوع من موضوعات التذكرة الحمدونية، وأحيانا لا يذكر القرآن ولكنه يأتي بالحديث ليس واحدا أو اثنين فحسب إنما يأتي بمجموعة من الأحاديث جميعها تتحدث في الموضوع نفسه ، ما عدا الصفحات التي قصد فيها الحديث ذاته وعالجه مادة لذلك الباب – كما سبق ذكره– أتي بها نصوصا دون إسناد مكتفيا بقال: أو عنه صلى الله عليه وسلم.

وسنعرض هنا لمصدري الشريعة الأساسيين قرانا وحديثا بالتفصيل من حيث كيفية تناوله لهما خاصة الثاني منهما، والمواضع التي استشهد به، إذ أنه لم يقسم الحديث إلى أقسام رئيسة؛ حوت عدد من الأحاديث كما فعل عند استعراضه لآيات القرآن الكريم. فالحديث يتبع حياة الناس وينظمها؛ فيوسع، أو يشرح ما أتى في القرآن الكريم، أو يقر أو يمنع ما

يأتي من تصرفات الناس اليومية. وفي هذا الصدد أتى بجملة أحاديث تتحدث عن المعاملات بين الناس وإرشادهم مثل قوله: صلى ألله وسلم [1]: أغد عالما أو متعلما أو مجيبا أو سائلا ، ولا تكن الخامس فتهلك" مجد العلم والتعلم ودعا لسبيل ذلك وهو السؤال والإجابة ولم يذكر الخامس ولعله الجاهل فالجهل. بالأمور لا تحمد عقباه وقد وضحها لنا وهي الهلاك. أما في موضوع الرياسة الدينية، فقد استشهد بحديثه صلى الله عليه وسلم:" تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والحلم ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم[2] يحمل الحديث إن جاز لنا تسميته بذلك – معان طيبة تؤهل صاحبها لأن يكون في موضع مسؤولية كالعلم والحلم وغيرها؛ رغم أنه من ضعاف الحديث، وأورده بروايات غير متفقة في النص فالرواية الثانية لا تحتوي على (ولا تكونوا من جبابرة العلماء) ولكن الحمدوني، استشهد به دون التنويه لضعفه النص.

والحمدوني على علم لضعف الأحاديث وصحتها أو مرتبتها بين المراتب التي وضعها العلماء المختصون ، فيأتي بالضعيف ولا يتركه حتى يأتي بآخر صحيح ، ومما جاء صحيحا في هذا الموضوع قوله صلى الله عليه وسلم: " من تعلم العلم لأربعة دخل النار: ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يأخذ به الأمراء، أو يميل به وجوه الناس إليه) [3] ورغم صحة الحديث ولكن جعله الحمدوني في عامة حديثه ولم يخصصه بذكر النبي صلى الله عليه وسلم ؛إذ اكتفى بروي في الحديث. وهذا يوحي بضعف الحديث ليس بصحته وعلى عكس ذلك كان تعامله مع الحديث الضعيف فقد بدأه بقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يشعرك بالثقة في صحة الحديث رغم ضعفه.

أما في جزء آخر من موضوع الرياسة وهو صفة الحلم والصفح والعفو فقد أورد الشاهد الأول القرآن الكريم﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾[4] ؛ لأن الحمدوني جعل الحلم والعفو

---

[1] التذكرة الحمدونية ج١ ص٣٥٧وانظر كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس – إسماعيل الشافعي - العجلوني— باعتناء أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة –بيروت ١٩٧٩ - ط٢ – ج١-ص ١٦٧

[2] المصدر السابق نفسه الصفحة السابقة

[3] المصدر السابق نفسه ج٢ص٩١ وانظر- ضعيف الجامع الصغير وزيادته - محمد ناصر الدين الألباني — المكتب الإسلامي – بيروت رقم ٢٤٤٧، وفيه بعض الاختلاف

[4] سورة الحجرالآية ٨٥

والصفح من صفات الرياسة، فلابد للساسة أن يكونوا حليمين عند القدرة، ويصفحون عن المسيء دون ضعف، فأتى بالشاهد على ذلك دليلا على صحة قوله.

أما ما جاء في مكارم الأخلاق من جانب الأحاديث النبوية الكثير، دون أن يتقدمه الذكر الحكيم لوحده إنما جعلهما معا بترتيب يشعرك بقدرة الله تعالى، وتقديس كلامه وعلوه على كل كلام، وقرب حبيبه وصفيه صلى الله عليه وسلم ،فبدأ بالحديث الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين جبريل عليه السلام والذي يتخلله القرآن الكريم وتفسير ما يحمل من معان: وقد بدأه مباشرة " جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أتيتك بمكارم الأخلاق : أهل الجنة وأهل الدنيا في ثلاثة أحرف من كتاب الله ﴿ خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ﴾[1] وهو يا محمد أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك" . فقد جعل أهل الجنة في هذه الأحرف الثلاثة فمن وصل رحمه تحلى بالكثير من الأخلاق الفاضلة، واستفاد فوائد كثيرة منها الرزق، وإذا وصل رحمه لابد أنه معطي من حرمه لأن صلة الرحم لا تعامل بالمثل فيها فإنك تصل من قطعك ومن وصلك منهم،فتتعلم العطاء دون انتظار أن تأخذ مقابلا، وبالتالي يسهل عليك أن تعطي من حرمك، ، وتتعلم أيضا جهاد النفس وتعفو عمن ظلمك وطالما هو عفو فمن المؤكد عند القدرة على ذلك، وتصبح عادة غير أنها عبادة فيتعامل بتلك الأخلاق مع من له صلة رحم ومع غيره دون ضعف، ومن تحلى بهذه الصفات وبغيرها فيسهل له الطريق إلى الجنة. ومن تخلى عنها فإنه قاطع رحم ومتعامل بالمثل مع من حرمه، ومن يكن هذا مبدأه فهو لن يعفو عمن ظلمه حتى يأخذ حقه ولكنه أضاع ثواب العفو وتعجل بأجره في الدنيا، وربما سلك طريقاً في أخذ حقه يورده إلى النار. وقد أكثر الحمدوني في ذلك من القرآن . وعدد آخر من الأحاديث التي تحمل في معانيها مكارم الأخلاق .

[1] سورة الأعراف الآية١٩٩

وتناول الآيات التي تتحدث عن البخل والجود ﴿ ولا تحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شرًا لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾[١] وكذلك جاء شاهده من الأحاديث النبوية ولكنها من المرتبة الضعيفة أو من الأحاديث الموضوعة، وتحمل معنى الآيات نفسه، وتحث على الجود والكرم وتحذر من البخل وهذه أخلاقه صلى الله عليه وسلم، وأعقب ذلك خلق كريم آخر مفتتحا إياه بالقرآن والسنة ألا وهو الوفاء وضده الخيانة ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا ﴾[٢] وهاتان الصفتان مسؤولية أمام الله ، وأمام الناس في المجتمع الذي يعيشه المرء، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا إيمان لمن لا أمان له،ولا دين لمن لا عهد له"[٣] وعندما حضره موضوع التواضع والكبر؛ أتى بوصفه تعالى عز وجل في كتابه العزيز مخاطبا نبيه ﴿واخفض جناحك للمؤمنين ﴾[٤]، وقال تعالى ﴿ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾[٥] ومن السنة النبوية أتى بما يطابق هذا المعنى ؛قال صلى الله عليه وسلم: "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه[٦] وبذلك نادى الإسلام في مصدري شريعته بالتواضع والابتعاد عن الكبر والخيلاء و أتى ابن حمدون بعدد لا بأس به من القرآن الكريم والحديث الشريف .

استخدام الحمدوني لهذه المادة كثير في مواضع تبدو لا علاقة لها بالآيات القرآنية أو الأحاديث النوبية الشريفة، مثل: باب التهاني وموضوعاته: النكاح والفتوح والولد.... وما إلى ذلك ولكن ابن حمدون وجد ما يناسبها في القرآن الكريم واستشهاده في الآية الكريمة ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فأدخلوها خالدين﴾[٧] فقد اعتبر هذه الآية وما يماثلها يتضمن البشرى بما أتيح من مآل الخير وبهذا الأسلوب نجد أن الحمدوني استشهد بالكثير الكثير

---

[١] سورة آل عمران الآية١٨٠

[٢] سورة الإسراء الآية٣٤

[٣] التذكرة الحمدونية ج٣ ص٨

[٤] سورة الحجرات الآية٨٨

[٥] سورة الإسراء الآية٣٧

[٦] المصدر السابق نفسه ٣ص٩٣

[٧] الزمر الآية٧٣

من الآيات والأحاديث يكاد يكون في معظم الموضوعات التي حواها كتاب التذكرة الحمدونية مثل: القناعة والطمع وصون السر والنميمة وفي معاني العدل والجور أكبر دليل على اهتمامه بكل ما له علاقة بالنثر ، ولم يترك ما أتى به القرآن والحديث في العقل والحكمة والحمق وغيرها من الموضوعات المتشابهة ، واستفتح بهما المشورة والرأي ، كذلك ما أدبنا به القرآن وعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم في الوصايا والعهود ،أو الفخر والمفاخرة أو في تهدئة النفوس وزرع الود بين الناس سواء كان بالشكر على جميل أو اعتذار عن خطأ ، أو من خلال المودة والإخاء والمعاشرة وكذلك بالهدايا . قصص القرآن كثيرة وفياضة بالعبر والأخبار مثل قصة سيدنا نوح ودعائه الله سبحانه وتعالى أن يعذب الكفار من قومه ، ولم يسرد الحمدوني القصص فحسب إنما عمل حسه الأدبي في اختيار أي القصص التي تناسب هذا المقام أو ذاك من القرآن الكريم أو الحديث الشريف بالوقوف على أروع التشبيهات وأبدع الأوصاف .

تمحص في موقف القرآن من الشيب والشباب وقد تناول القصص التي تحمل ذكر تلك المرحلتين وخاصة الثانية منهما وهى مليئة بالعطاء واستشهد بقوله تعالى : ﴿ وآتيناه الحكم صبيا ﴾[١] ،كما وقف مع القرآن على الأمثال مثل ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾[٢] وكذلك الأحاديث التي تضرب لتقريب المعاني، وبما أن القرآن حجة للمرء له أو عليه، فقد أورد ما فيه من الحجج القاطعة وكما قال: ليكون غاية لمن تمثل به[٣] وكذلك فعل من السنة في قوله صلى الله عليه وسلم:"لا يلسع المؤمن من حجر واحد مرتين"[٤]

---

[١] سورة مريم الآية١٢

[٢] البقرة الآية٢٦١

[٣] التذكرة الحمدونية ج٧ص١٨٥

[٤] المصدر السابق نفسه ص١٢

ولما كانت الفأل والطيرة من صفات العرب والتي كانت تسير حياتهم في كل نواحيها ، وهي ذات الصفات التي نهى عنها القرآن الكريم ؛ فقد حرص الحمدوني كل الحرص على أن يثبت ذلك في الصفحات التي جمع مادتها حول هذا الموضوع، ولكنه جعل الأحاديث في هذا الباب قليلة أسوة بغيره ؛ وبالمقابل ضمنه قصصا قيلت في حقه صلى الله عليه وسلم وكانت هذه القصص تدور حول فراسة القوم الذين نازلوه العداء وثبتت فراستهم رغم أنوفهم ، ومن ذلك قصة صاحب الروم الذي بعث رسولا ليرى الخاتم والشامة ويصف له ما يراه وقد وجده على مكان عال وقدميه في الماء ، فقال صاحب الروم ليعلون، وليملكن ما تحت قدمي ،وغير ذلك من القصص التي حملت أخبار فراستهم وصحة خبرها.

كما أورد الحمدوني الآية تلو الأخرى وكذلك الأحاديث فيما جاء في الخمر متتبعا ذلك من قبل تحريمها حتى وصل لآخر آية حرمتها تحريما كاملا .

ذكر كذلك موقف القرآن من الغناء والمغنيين وختم بالآيات القرآنية والسنة النبوية الشريفة بما جاء في آخر الأبواب من فنون السير والأخبار﴿ولقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾[1]

وقد ذكر الحمدوني في أول كتابه بأنه افتتح كل باب بآي الذكر الحكيم وأثر منه صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يبدأ الباب الثالث والعشرين والذي جمع مادته حول الهجاء والمذمة ؛ بالقرآن الكريم ؛ فقد بدأه بشرح معنى كلمة الهجاء وأعقبها بقصة سيدنا عمر رضي الله عنه مع الحطيئة تنزيها للقرآن الكريم عن مثل هذه الأمور التي يجب أن تترفع عنها نفس المؤمن وكذلك الحال مع الباب التاسع والعشرين بعنوان (في النسيب والغزل) لم يبدأه على حسب النظام الذي تبعه في بقية الأبواب التي افتتحها جميعا بالقرآن الكريم ويتلوه الحديث الشريف، فدخل في موضوع الباب مباشرة معددا أنواعه. إذ لا يمكن أن يبدأ مثل هذا الباب بالذكر الحكيم. كما أن بعض الأبواب قد خلت تماما من الآيات القرآنية في المطلع إلا من جاء

[1] سورة يوسف الآية١١١ .

في عارض الحديث ومن ضمن المادة ، فقد أتى بآية من الذكر الحكيم في خبر سؤال أحد الفقهاء عن الحيل في الفقه فقال : قد علمنا الله عز وجل ، فإنه قال:﴿وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث ﴾[1] وكذلك مع عدد من الأحاديث النبوية الشريفة ، وايضاً بعض الفصول التي لم يذكر في بدايتها قرآنا أو حديثا مثل فصل التعريض إلا ما كان في حاجة له خلال عرض المادة.

وإذا دققنا النظر لوجدنا أن تلك الأبواب ترفع الحمدوني بالقرآن الكريم عنها لما دار فيها من موضوعات ، فقد كانت موضوعاتها الغزل والنسيب والتشبيب والهجاء والمذمة وكل هذه الأمور قد نهى عنها الإسلام ،وضن الحمدوني بالقرآن ليكون بداية لها ؛ إنما جعله شرفا لكل باب من أبواب المصنف غير هذين البابين حيث يستفتح بالآيات التي تناسب المادة المطروحة والملاحظ أنه يوردها بنصها دون تصرف فيها باقتباس أو تفسير لها سواء كان جزئيا للمفردات مثلا أو كليا للآية كاملة إلا ما سبقها من حديثه الذي تجد فيه العلاقة بين الموضوع والآية،مثل بدايته لباب الكهانة والقيافة و....الخ قائلا :" قد نهى الله عز وجل عن الطِيرة ، ودل على ذلك قوله عز وجل حكاية عن الكافرين:﴿ قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون﴾[2] ويتابع عرض مادته.

أما عن معالجته للحديث النبوي الشريف، فقد جاءت مشابهة تماما لأسلوب معالجة النصوص القرآنية فقد أفرد لها فصلا، ثم تابع إيراده في بداية كل باب تاليا للقرآن و مناسبا للمادة المطروحة كما سبق توضيحه.

وقد جاء بتلك الأحاديث بدون ترتيب أو تقسيم معين، كما أنه لم يكن دقيقا في إيرادها فقد ضمنها عددا من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة؛ مثل الحديث الذي جاء فيه: "

---

[1] سورة ص الآية٤٤

[2] سورة النمل الآية٤٧

الضعيف الذي يقول: "من أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي[1] رغم أن ما يحمل هذا الحديث من معنى يصور واقع ما يحدث فمعظم الذنوب ترتكب والقلب في غفلة إلا من الضحك وكذلك واقع ما سيحدث فلا ضحك يوم القيامة وسيبكي مرتكب الذنب بكاء الندم الذي لا يجدي نفعا. وغيره من الأحاديث الضعيفة ، ولا نظن أنه لا يعلم عن مرتبة الحديث الذي يستخدمه ، فهو رجل واسع الاطلاع ولابد من معرفة درجة الكتاب الذي يجعله مصدرا لمادته.

[1] التذكرة الحمدونية ج ١ ص٥٦

الفصل الثاني: الحكم والأمثال والمواعظ

الأمثال والحكم وسيلة لإيصال معني معين وخلاصة تجربة مر بها العاقلون الأوائل، وقد جاء في القرآن الكريم أبلغ الأمثال التي ضربها الله سبحانه وتعالي لتقريب ما أراد من معني لعقول عباده. فقال سبحانه وتعالي:﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد ﴾[1] فلا شيء يبقي من تلك الأعمال وهم الخاسرون في ذلك اليوم وقد وضح مدى خسرانهم من هذا التمثيل الموجود في الآية الكريمة فقد صورهم أبلغ صورة، فقد وصلوا للاشيء من أعمالهم كالريح التي لا تبقي على شيء من رماد فهو خفيف جدا وهي قوية، كذلك أعمالهم إذ ضاع كل ما عملوا بسبب كفرهم بالله العلي القدير . ومن أمثال نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم السلام قوله:" الإيمان قيّد الفتك[2] ويقصد من ذلك أن الإسلام حاجز عما حظره، فالمسلم الحق يمنعه وازعه الديني، وورعه عن أن يأتي بما حظره دينه الإسلامي عنه، وليس هناك قيد محسوس إنما أسلوب من أساليب التشبيه للأشياء غير المحسوسة أو المعنوية بالملموس لتقريب المعنى وتأكيده .

وقد تناول الحمدوني الأمثال وقسمها إلى عدة أنواع فوصفها بعدة أوصاف كالخامل والنادر، والبعيد المغزى، والعقِد المعنى، والجافي اللفظ.ولكنه لم يوضح ما يقصد بهذه التسميات، ولكنه في اختياره لما يناسب المادة التي تخص هذا الموضوع اعتمد على المشهور المعروف، وما كان سهل اللفظ،وحسن الاستعمال في عصره ، ولم يكن بعيد عن الملائمة، فسهل بذلك فهم ما قدم من أمثال . أما ترتيبها فقد صنفها في اثنين وسبعين موضوعا. بدأها كما بدأ كل فصول الكتاب بالمثل في القرآن الكريم، واختلف قليلا عن أسلوب استخدام الآيات القرآنية في هذا الباب إذ جمعها معا تحت عنوان (من شواهد الكتاب العزيز)إلا حديثين أحدهما للنبي صلى الله عليه وسلم والآخر لمن يدعى الحسن ولم

---

[1] سورة إبراهيم الآية١٨

[2] التذكرة الحمدونية ج٧ ص١٢

يوضح إذا كان هو الحسن بن علي أم غيره، ثم تلا ذلك بالأمثال في الحديث النبوي الشريف، وبعده ما جاء بلفظ التفضيل ثم توالت الموضوعات التي جمع الأمثال المتعلقة بها. منها ما كان في الحنكة والتجارب والبر والعقوق، والحمية والأنفة والصدق والكذب وغير ذلك من عناوين الموضوعات التي أملتها الأمثال لديه.

وقد جاءت الأمثال على حسب ما مر بها العرب في حياتهم، وكانت بذلك حاضرة في كل جوانب الحياة، وكذلك في الأساليب التي اتبعوها في التعبير عما في صدورهم جراء تلك التجارب، فمن الطرق التي كان يعبر بها العربي عن شيء معين هو استعمال اسم التفضيل وبالتالي كانت لهم أمثال بنيت عليه؛ وهذه كانت متعددة الموضوعات منها ما كان في العز والمنعة فقالوا : " إنه لأمنع من أم قرفة وهي إمراة مالك بن حذيفة بن بدر التي كان يعلق في بيتها خمسون سيفا كلهم محرم ،وقيل هي بنت ربيعة بن بدر الفزارية" [1]. وأي كانت، فهي في عز ومنعة ولا يمكن أن يوجد من تحدثه نفسه بالاقتراب منها حتى لا تقطعه هذه السيوف، وبذلك كانت من يستحق أن يكون في قمة المنعة والعز والحماية ومن يضرب به المثل في ذلك حتى لو لم يصل درجتها من ذلك.

ومما جاء في غلبة الأقدار" إذا جاء القدر عشي البصر"[2] قاله ابن عباس لنايف بن الأزرق عندما سأله عن بصر الهدهد و حدة نظره للماء تحت الأرض؛ ولا يرى الفخ نصب له تحت التراب، فكان رده يحمل معنى أن حدة البصر لا تبعد القدر إذا اكتملت دورة العمر ،وإيمانهم بالقدر قويا وقد وضح ذلك في أشعارهم التي دارت حول المعني كالشعر الذي تمثل به عمر بن الخطاب عندما استشهد بمثل أكثم بن صيفي :"من مأمنه يُؤتى الحَذِرُ " فصاغها شعرا (من المتقارب):-

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٧ ص١٣ وانظر الأمثال – لأبي عبيد القاسم بن سلام - -تحقيق د.عبد المجيد قطامش- دار المأمون –دمشق -١٩٨٠م- ص٣٦٢

[2] المصدر السابق نفسه ص٣٠

هوِّن عليك فإن الأمــورَّ *** بكــف الإله مقاديرُها

فليس بآتيك مَنهــيُّها *** ولا قاصر عنك مأمورها[1]

وغيرها عدد من أبيات الشعر التي دارت حول نفس المعنى؛ مما يدل على أن الأشعار في حديثهم شعرا كانت أم نثرا.

ومن موضوعات الحنكة والتجارب يقولون:" حلب الدهر أشطره" أي اختبر الدهر شطريه من خير ومن شر. وخلال ذلك صقل شخصيته وعرف ملامح الخير والشر في غيره، . وقد نقل الحمدوني المثل بموضعه في الواقع قائلا:" وأصله من حلب الناقة، يقال:حلبتها شطرها أي نصفها،وأعطى في معرض حديثه هذا؛ المثنى شطرين والجمع أشطر وهكذا مع ما كانت هناك حاجة لشرحه من الأمثال. واستشهد بمثل سيدنا علي بن أبي طالب :"رأي الشيخ خير من مشهد الغلام"[٢] وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أهمية التجارب وأثرها على الرأي فيكون بذلك رأي ذي التجربة خير من مشهد غلام صغير ، فحتى لو شاهد شيئا لن يفهم كنهه مثل ما يكون من فائدة في ما يقوله الشيخ وهذا تأكيد على صحة و أهمية ما تصل إليه بالتجربة في إدارة الأمور وأثر ذلك على حياة الفرد فيحلل ويفهم ويثق في ما يرى أكثر ممن شاهد ولا تجربة له.

ومن الأمور الهامة في حياتهم؛ الحزم والاستعداد للأمر، وقد بدأها بمثل النبي صلى الله عليه وسلم المشهور الذي يقول فيه:" أعقل وتوكل"[٣] أي لا تترك الأمور بدون ترتيب بل نظم مع الإيمان بالله وأن ترد الماء بماء أكيس وكلها تدور حول الاستعداد لمواجهة الأمور ومن أمثالهم التي وردت في عارض شعرهم مثل قول القطامي:(من البسيط)

قد يدرك المتأني بعض حاجته *** وقد يكون مع المستعجل الزلل[4]

---

[١] التذكرة الحمدونية ج٧ ص ٣٠

[٢] المصدر السابق ج٧ص٣٤

[٣] المصدر السابق نفسه ص ٣٦

[٤] التذكرة الحمدونية ج٧ ص٣٧ وانظر ديوان شعر – القطامي – تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب – دار الثقافة – بيروت ص٢٥

فمن تأنى رتب أموره في هدوء، فيحقق بعضها بنجاح ولكن من يستعجل ولا يترك لنفسه فرصة التأني والترتيب فهو عرضة للزلل والأخطاء.

أما بشار فقد كان حازما في نظرته لهذا الأمر، فجعل عدم الحزم والاستعداد من شيم الضعفاء في قوله: (من الطويل)

وخل الهُونيا للضعيف ولا تكن *** نؤوماً فإن الحزم ليس بنائم[1]

ومن أمثالهم في الاغترار والتحيل ووجود الشئ الذي لا ينتفع به (مرعي ولا أكولة) أو عشب ولا بعير فقد توفر العشب ولم يوجد ما ينتفع به من الأنعام، وغير ذلك كثير من الأمثال التي تخللت الباب المعني بها بدون عنوان بارز كبقية الأمثال ، فأتى بأمثال في الأطماع ، والمبالغة في الشيء دون التفكير في عاقبة أموره ومن أمثالهم شعراً في الاغترار قول كعب بن زهير (من البسيط):

فلا يَغرَّنْك ما منت وما وعدت *** إنّ الأماني والأحلام تضليل[2]

لا يريد كعب في البيت أعلاه أن يعتمد على الأماني والأحلام التي يمني المرء نفسه بها، لتحقيق ما يصبو إليه، فهي ليست إلا تضليل للإنسان عن الطريق الصحيح، وليس أمامه إلا سلوكه؛ حتى لو كان محفوف بالمتاعب. فلابد للعمل والاستعداد حتى لا يغتر بالوعود والأمنيات.

أما في البر والعقوق فكانت للعرب الكثير من الأمثال التي تحفز على العلاقات الإنسانية القوية التي تقوم على التعاون كيف؟ وهم من كانت حياتهم تقوم على أساس متين

---

[1] المصدر السابق نفسه ص ٣٨

[2] المصدر السابق نفسه ص٤١

من التماسك والإخاء في مجتمع كان من مظاهره الهامة؛ الغارات والحروب ولابد من النصر ولا يتم ذلك إلا بالنجدة والاستغاثة ولا سبيل لتحقيق هذا والمحافظة على هيبة وتماسك القبيلة والأسر إلا بالمروءة ؛ لذلك كانت أمثالهم في هذه الناحية عديدة مثل قولهم:" أعن أخاك ولو بالصوت " فلابد من إعانتك له فإذا لم تستطع أن تضع يدك في يده من أجل ذلك وتقويته فقم بأقل شيء يمكن أن يساعده، مثل أن تستصرخ له حتى يأتي من يغيثه وبالتالي تكون هذه مساعدة له. وقد سطر هذا المعنى طرفة بن العبد: (من الطويل)

وأعلم علماً ليس بالظن أنه *** إذا مات مولى المرء فهو ذليل[1]

يؤكد شاعرهم أن من فقد سيده فقد عزته ، لأن هذا الفقد يضعفه والضعيف في مجتمع العرب ذليل مهان ، ومن فقد سيده فقد حمايته وفقد من يقوم بمساعدته .

وفي الحمية والأنفة كانت أمثالهم كثيرة لما لهذا الأمر من أهمية لديهم ومنه (الخيل تجري على مساويها) [٢] يعني حتى لو كان بها عيوب فلابد من القيام بعملها. وكذلك نجد معاني الأنفة والحمية واضحة في شعر شعرائهم أمثال النابغة الذبياني ومعارك بن مرة العبدي وغيرهما .

ومن المعاني والأمور التي تهم العرب أيضا الحلم والثبات فقالوا فيه: " إذا نزل بك الشر فاقعد[٣] وإذا قابل المرء شرا وتمالك نفسه حتى يجلس فإنه لن يكن في عجالة من الأمر، بل يهب لنفسه فرصة التفكير والتصرف بحلم، مما يدل على قوته التي مكنته من تمالك نفسه عند الغضب .

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٧ ص٤٤ وانظر – ديوان شعر - طرفة بن العبد – شرح الأعلم الشنتمري- ت درية الخطيب ولطفي الصقال- دمشق ١٩٧٥ ص٨١

[٢] المصدر السابق نفسه ص٤٥

[٣] المصدر السابق ص٤٨

أما معيار الصدق والكذب كان له مكانته في حياتهم وأفكارهم الأدبية والنقدية والآن نجده في أمثالهم (لا يكذب الرائد أهله) و (سبني وأصدق) فجعلوا الصدق من صفات من يتحمل مسؤولية قومه ويستشيروه فلابد أن يقول ما لهم وما عليهم ودليل أهميته في صفة السماح بالسب؛ بشرط أن يبنى على الصدق وهذا يثبت رفضهم للكذب في حياتهم فظهر ذلك في أمثالهم.

وعندما يصفون جوانب من حياتهم كوصف الرجال بالأفعال الحميدة وكثرة التجربة وفي المحافظة والحمى ومن وصف بالشدة والشراسة ومن كان وفيا يوثقونه في صفحة الأمثال من كتاب حياتهم. وكذلك وصفوا فيها المبرز والمقدام والكريم وما إلى ذلك من أمثال شتى قام الحمدوني بجمعها وتوضيح ما صعب معناه منها .

وقالوا في التوسط في الأمور، وفي التمسك بالأمر الواضح والمجازاة والتفرق وحفظ اللسان والتصريح والمكاشفة والتسويق والمكر والمداهنة وحفظ المودة بالتباعد والضرورة والاعتذار وتعذر الكمال، ووضع الشيء في موضعه وفي غير موضعه وإصلاح المال وتسهيل الأمور، وفي العداوة والشماتة، وما جاء في الاتفاق والمحبة، وفي قوة الخلق والتخلق، وفي النفع والضرر، وفي المبالغة والأمر النادر الوجود، وفي أمور الجهل والحمق والجبن ،والذل وخيبة الأمل،و والسعي وإلزام الأمور بصاحبها، والجاني على نفسه والكثير والكثير غير ذلك فلم يترك جانب من حياتهم إلا ولهم فيه أمثال وتخللت كذلك في أشعارهم ، وأكثر أمثالهم على صيغة أفعل [1]. وقد بلغت نيف وسبعين موضوعا تكاد تغطي كل ما يمر بهم في حياتهم ، ولكن ابن حمدون كالعادة اكتفى بالنقل في معظم الأمثال ، وفي بعض منها كان يذكر القصة التي قيل فيها المثل ، ولكنه لا يذكر مضربه في مواضع أخرى مشابهة تكررت في حياة أناس آخرين ، وبعضها يدعمه بالشعر كما سبق أعلاه ،

[1] أنظر التذكرة الحمدونية ج٧ ص٤٨

وبعضها يكتفي فقط بذكر نصها دون قصتها وكذلك دون توضيح الموضع الذي تضرب فيه بعد ذلك .

أما **الحكمة** فقد جمعها الحمدوني من الحكماء العرب، وغير العرب ومن العصر الجاهلي وما صدر من الصحابة في العصر الإسلامي، وممن جاءت الحكمة على لسانه نتيجة موقف وجد نفسه فيه. وقد أسلفنا ارتجالهم لكثير من التعبير عما يجيش في صدورهم خاصة ما كان له أهمية في حياتهم كالعقل والقناعة والصبر والعفو والصداقة وغير ذلك

فمن حكم الصبر قول أكثم بن صيفي: الصبر على جرع الحلم أعزب من جني ثمر الندم) [١]، فعندما يكون الإنسان حليما ويتصرف بعقل وحكمة حيال موقف يثير حفيظته،يبعده هذا عن أفعال لا تحمد عقباها،. هنا يختلف الحليم عن غيره، وليس بسهل فأنه من الجهاد الأكبر. جهاد النفس القاسي وممارسة ضغط العقل على العاطفة ولكن في نهاية المطاف أفضل في نظر أكثم بن صيفي من ندم المرء على شيء يقوم به في لحظة غضب ومن ثم يحاول إصلاحه ولات حين مناص .

وقال أحد الحكماء: "امتحن صبر العباد بالعلة وشكرهم بالعافية[٢]، فالعافية هذا التاج الجميل لا ينتبه الكثير من الناس إلى وجوب شكر الله عليه،ولا يستيقظ إلى أنه امتحان، ولا يتذكرها إلا حين يفقده وتهاجمه العلة والمرض. ومن نجح في امتحان العلة حري به أن ينجح في امتحان العافية؛ فيقارن بين حاليه ويشكر الله على نعمه عليه. هذا من ناحية الصحة واعتلالها ولكن هناك من نظر الصفات الخلقية وساوى بين الصبر عند الجود وعند البأس فجعل بينهما وشيجة الأخوة فقال: الصبر عند الجود أخو الصبر عند البأس[٣].

فقد وضحت بعض المواضيع التي يحمد فيها الصبر عند العلة، وكذلك عند حلول المصيبة وعند الشدائد. ؛ وللحكماء آراء في هذا فمنهم من فضل الصبر كما رأينا في المواضع السابقة ومنهم من فضل الجزع، وقدموا جزع المرء في مصيبة صديقه على

---

[١] التذكرة الحمدونية ج٢ ص١٤١
[٢] المصدر السابق ج٤ ص٣٠٢
[٣] التذكرة الحمدونية ج٤ ص٢٩٧

صبره؛ فهو في مصيبة الصديق يعكس عدم اهتمام بما حل به ، وغياب الشخص عن صديقه في الضيق والمحنة فاهتز بذلك معنى من معاني الصداقة. وقد وصفه على بن أبي طالب بأنه انتصار وشجاعة فمن لم ينجحه الصبر أهلكه الجزع[١]وقال: الصبر يناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان والصبر شجاعة[٢]. وإذا تأملنا قوله رضي الله عنه نجد أن الصبر ليس إلا قوة تحمل لما يشعر به الإنسان وهذا ما يجعله قريب من الشجاعة التي يقاوم فيها المرء خوفه وقوة مقاومته لهذا الإحساس مهما اختلفت أسبابه.

وقالوا في الحكم التي تصف العفو بشتى الطرق فجعلوا التأني في العقوبة طرف من العفو، واعتبره البعض أول إشارات التثبت، فعندما يتأنى ولي الأمر في حكم من الأحكام فهذه فرصة له بأن تتضح له الأمور في المقبل من الأيام، وقد سرد الحمدوني عدد من القصص منها ما كان ولي الأمر في عجالة من أمره وندم على ما أقدم عليه، ومنهم من تأنى وعفا فقال في الحكمة:" التأني في العقوبة طرف من العفو [٣].

ولهم فى العقل وتمجيده حكم منها ما قاله لقمان: "أن تكون أخرس عاقلاً خير من أن تكون نطوقاً جاهلا[٤]، فالعاقل لا يتحدث ما لم يكن متأكدا من قوله وازنا له؛ ويكون صامتا بخلاف الجاهل الذي يظن في نفسه العقل والتفتح والعلم فيقدم بنفسه دليل جهله فور نطقه .

وقال عبد العزيز بن زرارة لمعاوية: "جالس الألباء أعداء كانوا، أو أصدقاء فإن العقل يقع على العقل[٥]، فانظر كيف كان اهتمامه بالعقل حتى لو كان عقل عدو، بإمكاننا أن نستفيد منه، ولأنهم يعظمون الجوار فقد وصفه الحسن البصري :" ليس حسن الجوار كف الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى[٦]، فإن تكون جارا صابرا خير من تكون جارا

---

[١] المصدر السابق ج٤ ص٢٩٩
[٢] المصدر السابق نفسه ص٢٩٩
[٣] المصدر السابق نفسه ج٢ ص ١٣٣
[٤] المصدر السابق نفسه ج٣ ص٢٣٢
[٥] التذكرة الحمدونية ج٢ ص ٢٤٤ وانظر -الآبي – نثر الدر– ج٤ ص٢٠٦
[٦] المصدر السابق ج٢ ص١٥٧

كاف للأذى،لأن محاولة كف الأذى ربما تسفر عما يفصم هذه العلاقة المقدسة في الإسلام وقطع شعرة معاوية بين الناس.

وكذلك كانت الحكمة في محاسن الأخلاق والالتزام بها وأهميتها في المجتمع العربي فجعلت صفة حسن الخلق تجعل صاحبها ذا قرابة عند الأجانب ومن يبتلى بسوء الخلق يجد نفسه غريبا بين أهله وهذه خلاصة ما تعلمه بعض السلف فقال : " الحسن الخلق ذو قرابة عند الأجانب، وسيء الخلق أجنبيا عند أهله "[1] فحسن الخلق ذلك هو جواز المرور للقلوب ووثيقة الترابط والقرابة حتى مع الأجانب أما سئ الخلق يكون أجنبياً عند اهله بسبب سياج العزلة الذي يقيمه الأهل حوله خوفاً من شره .

أما برز جمهر رتب الحياة والصحة والغني والمرض والفقر وهذه عصب حياة الإنسان قائلاً : "إن كان شيء فوق الحياة فالصحة وإن كان شئ مثل الحياة فالغني وإن كان شئ فوق الموت فالمرض، وإن كان شيء مثل الموت الفقر" فحياة المرء بين فقر وغني وصحة ومرض وجعلها جعفر بن محمد رضي الله عنهما القليل من هذه الأشياء كثير ثلاث مثليهم كثير النار والفقر بالمرض عدو الإنسان والفقر قاهر جبروته مما يجعله ذليلاً بين أهله .

ولم يترك الحمدوني الصداقة والعلاقات بين الناس وحسنها، والأخوة والعتاب ، وفي الهدايا وآثرها على النفوس ، والزمان وأراهم المختلفة فيه ، فقد حملت الحكم مظاهر حياة الناس في تلك الأوقات، بثت فيها الصفات المحببة، والأخلاق المذمومة، وظهر من خلالها مدى فهمهم لحياتهم وتثبيتهم في وصفها.

ولما ذكر أعلاه كانت لهم عظات وجهت من كبارهم لصغارهم ومن عقلائهم لملوكهم ومن آبائهم لأبنائهم، ومن خلفائهم لرعيتهم.فمن عظات علي بن طالب التي وجه من خلالها للسعي والطلب والاعتدال فقال :" لا تجاهدوا الطلب مجاهدة الغالب ، ولا تتكلوا على القدر

[1] المصدر السابق نفسه ص٢٢٧

اتكال المستسلم فان ابتغاء الرزق من السنة والإجمال في الطلب من العفة ، وليست العفة بدافعة رزقاً ، ولا الحرص بجالب فضلاً[1] فهو يعظ بالوسطية في الأمور، فلا يكلف الإنسان نفسه فوق وسعها ، ولا يتركها خاملة دون سعي فيعمل بما يحفظ عفته، ويتسبب في رزقه.

أما سعد بن وقاص فقد وعظ بأهمية القناعة، والبعد عن الطمع وجعل اليأس المكروه في الأحيان في غنى النفس عما عند الناس، وجعل الغني الذي لا يترك فرصة يحتاج فيها للبشر مثله. فقال: "يا بني إذا طلبت الغني فاطلبه بالقناعة فإنها مال لا ينفذ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر وعليك باليأس فإنك لم تيأس من شئ قط إلا أغناك الله عنه الغني من استغنى بالله والفقر من افتقر إلى الناس[2]، وصور الطمع بأنه فقر لأن الطماع لا يرضى بشيء، وبالتالي يجد نفسه فقيرا،وعلى الإنسان ألا يرجو ما في أيدي الناس ، فيتساوى مع الغني في عدم الحاجة عند الغير ، فهي نظرة عميقة وفكرة دقيقة.

أما لقمان أعطى ابنه حكما راسماً له طريق الشرف والمجد ورضا الخالق من خلالها، فوعظه قائلا:"يا بني أن غاية الشرف والسؤدد في الدنيا والآخرة حسن العقل؛ لأن العبد إذا حسن عقله غطى ذلك عيوبه ، وأصلح مساوئه، ورضي عنه الخالق. وكفى بالمرء عقلا أن يسلم الناس من شره[3] فجعل حسن العقل أساس الشرف والسؤدد بما يغطي من عيوبه باستغلال عقله خير استغلال،فيكون في نظر الناس خالٍ من معظم العيوب ، راجح العقل؛ فيسودهم، ، ومن ناحية أخرى شغل نفسه بإصلاح عيوبه بما هو مفيد وأبعدها عن الناس وأذاهم .

قال أعرابي لابنه : يابني ابذل المودة الصافية تستفد إخوانا وتتخذ أعواناً ، فإن العداوة موجودة عتيدة، والصداقة مستعزة بعيدة جنب كرامتك اللئام؛ فإنهم إن أحسنت إليهم لم

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٣ص١٣٨
[2] المصدر السابق نفسه ج٣ ص١٣٣
[3] المصدر السابق نفسه ج٣ ص٢٣٢

يشكروا وإن نزلت شديدة لم يصبروا[1] فهذا يرى أن أهم ما يعلم ابنه ليفيده في حياته هي المودة فمنها يكون صداقات تفيده في حياته،يجدهم عند الأنس ، واستند عليهم عند الضيق ، فيخففوا عنهم ، ومعهم وبهم تسير حياته ، وهو قوي في اجتياز عقباتها. وإذا أقبل على المودة فبالمقابل عليه الابتعاد عن الخلق السيء ممثلا في اللؤم وما يتبعه من شر وصفات ذميمة،وعواقب لا تحمد .

ومن الأمور التي وعظ بها على بن طالب رضي الله عنه أهمية الصبر وعدم الجزع وجعل ما ضاع كأنه لك في قوله: "إن كنت جازعاً على ما يفلت من يديك، فاجزع على كل مالم يصل إليك[2]. فأسلوبه أسلوب مقنع بعدم جدوى الجزع، وكل ما يجزع عليه من الله سبحانه وتعالى،ولا يجزع المرء على شيء لم يكن لديه ،وبالفقد تساوت الأمور إذ أن النتيجة :ليس بحوزته شيء، ووعظ بعض الحكماء داعياً للنظر الصحيح للأمور وأهمية الحزم، وجعلها طريقة للظفر ، وضمنها أهمية المشورة لأن بها يتأكد الإنسان من صحة رأيه وبصيرته فقال: "صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور ، والحزم في الرأي سلامة من التفريط، وداعية إلى الظفر والتدبر والتفكر: يبحثان عن الفطنة ويكشفان الحزم ومشاورة الحكماء بيان اليقين وقوة البصيرة . ثم رتب بعض المفاهيم ونتائجها ، ولم ينس أن يذكِّر بفائدة التجارب ومرور العمر سريعا، واستعماله لفهم ما تقوم به الأيام فقال: "فكر قبل أن تعزم، وأعرض قبل أن تصرم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تندم، وأفعل ما أفادتك التجارب فإنها عقل ثان، ودليل هاد وأدب مستفاد واذكر ما مضي من عمرك بما بقي منه وافهم الأيام وإخبارها فقد أوضحت آثارها ثم وعظ بكيفية التعامل مع ما تأتي به الأيام وعدم تجاهلها والأخذ بعين الاعتبار لما قدمته لنا من عظة وضرورة التحلي بفكر عميق ليبعد الغفلة عن الإنسان ويوضح ما خفي من الأمور فقال في هذا الصدد:" واتعظ بما وعظته به

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٤ ص٣٧٥

[2] المصدر السابق نفسه ج٤ص٣٢٢

الأيام، وتأملها تأمل ذي الفكرة فيها فإن الفكرة تدرأ عنك عمى الغفلة وتكشف لك عن خفيات الأمور"[١] فإعمال الفكر يولد الانتباه والتركيز ويظهر ما خفي من أمور .

كما جمع الحمدوني ما درجوا عليه من الوعظ والوصايا سواء كان لأنفسهم أو لبعضهم البعض على الصعيدين الشعري والنثري، ومن ذلك قول عبد الله بن المعتز لنفسه شعراً :

لهذا الزمان الصعب يانفس فاصبري *** فما ناصحات المرء إلا تجاربه

ولاتحزني إن أغلق الصبر بابه *** فبعد انغلاق الباب يأذن حاجبه[2]

وعظ نفسه بالصبر حتى تقاوم صعوبة الزمان، وعليه أن يستفيد من تجاربه ويوظف نتائجها لصالحه، وعليه ألا يحزن إذا لم يستطع الصبر ، فستأتي اللحظة التي يستطيعه فيها، مشبها الصبر بأحد حكام زمانه الذين يضعون الحجاب لمنع الناس أحيانا والسماح لهم أحيانا أخرى.

وتتداول وتتكرر الموضوعات بين الحكم والعظات ومن ذلك اهتمامهم باختيار الصداقة ودوام المودة والعوامل التي تؤدي إلى ذلك . فقد ذكرها عمر بن الخطاب فقال : "ثلاث يثبتن الود في صدر أخيك: أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب الأسماء إليه[٣]، فإلا سلام هو الباعث على الاطمئنان في نفس من تلقى عليه التحية، والتوسيع في المجلس، يصل بحبل من المحبة ويوحي لمن توسع له بقبولك له ، وعندما تدعوه بأحب الأسماء له تجد في نفسه لك مكانا لأنك حافظت له عما يحبه ، أما على بن أبي طالب جعل ذلك في لطف الحديث ولين الكلام ، وهذه من الأمور التي نادى بها الدين الإسلامي أن نتخاطب بلين القول ، ومن غلظ قوله وخشن يجد أن الكل قد انفض من حوله .

---

[١] التذكرة الحمدونية ج٣ص٣١٦

[٢] المصدر السابق ج٨ ص٦١ وانظر – ديوان شعر – تحقيق يونس أحمد السامرائي ابن المعتز -بغداد ١٩٧٨ ج١ ص٢٨٥

[٣] التذكرة الحمدونية ج٤ ص٣٥٩

ومن الأمور التي كثرت في خطب على رضي الله عنه كانت العظات ومنها الحفاظ على الدين وإقامة أموره فقال: "عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا . وحاسبوها قبل أن تحاسبوا ، ونفسوا قبل ضيق الخناق ، وانقادوا قبل عنف السياق واعلموا من لم يعض على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ [1]، فجعل نفس الإنسان هي واعظه ولا سبيل آخر لمن يذكره ويعظه غيرها، لأن من عصت عليه نفسه لا تجدي معه العظات حتى لو سمعها .

فقد اهتم الحمدوني كثيرا بهذا الجانب واختار ما رأى أنه يفيد القارئ ، منها ما أرفق قصته معه، ومنها ما كتبه دون ذلك ، كما أنه اهتم بالعظات والحكم والتجارب وخلاصتها، وكذلك الحال فقد غطت العظات معظم جوانب الحياة.

وجاء بالقصص وما تحمل من عنصر التشويق، والجذب دون أن يعمل فيها خياله، أو أن يضيف من عنده شيئا، وهذا ما سيأتي في المبحث القادم بعنوان: القصة القصيرة.

المبحث الثالث:القصة القصيرة

اعتمد الحمدوني في مصنفه على فن القصة كثيرا مما أعطي هذا الكتاب عنصرا جاذبا للقارئ الذي يجد نفسه مشدوداً من صفحة لصفحة حتى يفرغ من الجزء الذي بين يديه، ويسرع الخطى ليبدأ بالذي يليه؛ لما في القصص التي اختارها من عبر نافعة وتشويق وافر وفائدة عامة؛ بصفة أو حكمة أو سمة خلقية ندر توفرها في زمانه أو زماننا وتوافرت في زمان آخر وصارت معلماً يستبان به وخبر يتلى على مر العصور،لذا كثرت قصصه بكثرة أجزائه وتعددت بعدد موضوعاته وإن خلا بعضها من الحبكة القوية، وأخذت صورة الخبر مع توافر عنصر الشخصيات والأحداث والزمان الذي تلمحه في جزء من يوم، أو وصف تخلله السرد

[1] المصدر السابق نفسه – ج٦ ص٢٤٠

أما المكان يصرح به أحياناً ويجهله أحياناً أخرى. وربما كان الهدف هو إبراز ما يثبت الموضوع الذي تدور حوله الصفحات ليس إلا .

فمن قصص الحفاظ على حقوق المسلمين ما ورد عن قرابة الرسول (ص) منها قصة سيدنا علي رضي الله عنه وابنه الحسن عندما نزل بالثاني ضيف، فاستلف درهما واشترى خبزاً واحتاج للأدام فطلب أن يفتح له أحد زقاق العسل التي قد وردت من اليمن، فأخذ منه رطلا، فعرف بذلك والده فغضب ورفع عليه الدرة، فقال: "بحق عمى جعفر" فسكن وسأله الخبر: فقال: "إن لنا فيه حقاً فإذا اعطيتناه رددناه" فقال: علي وإن كان لك فيه حق فليس تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم؛ لولا رأيت رسول الله (ص) يقبل ثنيتك لأوجعتك ضرباً ثم دفع فاشترى أجود العسل[1]، فأين حق الضيف وإكرامه؟! ولكن ، سيدنا علي كان يختلف في تفكيره عن ابنه سيد شباب أهل الجنة، أراد أن يكرم الضيف من حق المضيف وليس من مال المسلمين حتى لو كان ضيفا ، ولم يشأ أن يترك فارقا زمنيا حتى لو كان قليلا بين إرجاع الحق لنصابه وبين توزيع الحق الآخر من العسل، ورد حق المسلمين بأسلوب آخر؛ لأنه لن يضمن أن يفاجئهما الموت أحدهما أو كليهما قبل أن يقوم بالتوزيع رضي الله عنه. وما يلفت النظر كذلك الرباط المقدس بينه وبين أخيه الطيار فقد كان محبا لجعفر ومكرما له؛ عندما هدأت ثورته وسكن غضبه لمجرد ذكر اسمه ، كما أنه بار بحق مال المسلمين وحريص عليه، وتقديمه ذلك على حق ابنه ونصيبه من هذا العسل ، وعند تطبيقه لاقتراح ابنه، لم يفكر في إمكانية حدوث ذلك كما أنه لم يتوان عن العقوبة إلا ببره وتقديسه للرسول صلى الله عليه وسلم في شخص ابنه وما رده عن تلك العقوبة – الضرب بالدرة – إلا لأنه لم يشأ أن يمس جزءا من جسم قد لثمه النبي صلى الله عليه وسلم، وما يلفت النظر أيضا أن ابن علي بن أبي طالب تمر عليه لحظة ولا يملك ما يكرم به ضيف، وما أبسط ذلك! أدام فقط رضي الله عنهم وأرضاهم، فقد كانوا فقراء لله أغنياء من الناس.

---

[1] التذكرة الحمدونية ج١ ص٨٣

كما نرى وضوح صفة الكرم مع عدم توافر القدرة المادية مما يؤدي للاستلاف ، فقد اتضحت تلك الصفة في شخص الحسن بن علي واهتمامه بضيفه وكرمه، وتصرفه ذلك على سبيل السلف وخلو يده وهو حفيد رسول الله، فأي خلق نبيل هذا ؟ ويا لها من تجربة تربوية علم ابنه من خلالها قوة العزم في الحفاظ على حقوق المسلمين. ووضحت الحبكة عندما وصل به الغضب ذروته حتى هم بضربه، ثم حلت رويدا رويدا إلى أن انقشعت ظلمة الغضب عنه رضي الله عنه وعوض مانقص من حق المسلمين رضي الله عنهم أجمعين .

ومن قصص الشجاعة والوفاء: قصة أبي محجن الثقفي المشهورة في حرب القادسية وهو محبوس لدى سعد بن وقاص لشربه الخمر وعدم استجابته لطلب سعد بتركها له إلا أن يتركها لله ، ولما اشتد القتال أطلقته زوجة سعد ونزل أرض المعركة حتى عجب الناس من صنيعه وعرفه سعد وعرف حصانه ولكنه استبعد ذلك، وعرفت زوجة سعد السبب وأعلمت سعد بما فعل فكان سبباً فى توبته وإطلاق سراحه، وأهم من ذلك كان قوة على قوة المسلمين حققت لهم النصر.

فنجد هنا المكان واضحاً، وكذلك الزمان لمعرفة وقت تلك الحرب وكانت نهاراً (وأضاء النهار وتصاف الناس"[1] كما ظهرت صفة الوفاء والالتزام بكلمة قالها لزوجة سعد وكان بإمكانه ألا يعود في تلك الظروف. وكذلك صفة الشجاعة التي جعلته يخرج من أجل الحرب وموته محتمل وبإمكانه أن يبقى مكانه، ويجعل من الحبس حجة شرعية عن تغيبه عن منازلة العدو ومشاركة المسلمين تلك المعركة، ولكن أبت نفسه الشجاعة إلا أن يخرج كما أبت نفسه الوفية إلا العودة .

وكما أكثر من قصص الوفاء فقد أورد قصص الغدر، وكان منها قصة غدر هذيل بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ عندما طلبوهم ليعلموهم القرآن الكريم، ثم غدروا بهم

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ ص٤٥٦-٤٥٧

وذكر ما بها من كرامات ظهرت على الصحابة المغدورين: مثل خبيب الذي رؤي بيده العنب وما في مكة من ثمر[1]، وكيف أن جثمانه اختفى بعد أن أطلق من خشبته التي قتل عليها، فهنا يظهر المكان بمكة والزمان معلوم أيام انتشار الإسلام الأولى والعقدة ظهرت لحظة أن استعدت بهم هذيل التي ظهرت فجأة بسيوفها قرب الحجاز.

تتفاوت الأقاصيص التي أوردها الحمدوني بين الطول والقصر فليس هناك قصة طويلة جداً، ومعظم القصص لا تزيد عدة أسطر وأطولها لا يزيد عن صفحتين أو ثلاث صفحات ولا تخلو ورقة في الكتاب من قصة، كما أن هناك أقصوصات أتى بها للمبالغة في المعني الذي تدور حوله ولا تزيد عن سطرين، مثل تلك القصص التي أوردها في المنكر من الأقوال الكاذبة .

ومن ذلك ما حكي عن رجل من آل الحارث بن ظالم : بأنه غضب يوما فانتفخ في ثوبه ، فبدر من عنقه أربعة أزرار ففقأت أعين أربعة من جلسائه[2]، عنصر الكذب فيها واضح وعقدتها غير محكمة وشخصياتها تفتقد الموضوعية والظهور المتسلسل، وقد أتى الحمدوني بالعديد منها لحفظ نوع من أنواع القصص عند العرب في السابق. وقد جاء بما يماثل هذه القصص القصيرة ولكنها تحمل عنصر الصدق فقد دار معظمها إن لم تكن جميعها حول النبي صلى الله عليه وسلم ومن حوله من الرجال الذين لم يعرف عنهم الكذب عرف عنهم كرهه كما علمهم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك عندما أتاه رجلٌ وقال له إنما أوخذ من الذنوب بما ظهر وأنا استسر بخلال أربع : الزنا والسرق وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركت لك سراً قال دع الكذب فلما تولى من عنده صلي الله عليه وسلم فهم بالزنا فقال يسألني رسول الله فإن جحدت نقضت ما جعلت له وإن أقررت حددت[3]. وهكذا كلما هم بفعل أحدها خاف الكذب فتركهن جميعاً .

ولما وجد الحمدوني أن عصر النبي صلى الله عليه وسلم مليء بالتواضع والمتواضعين لم يكن أمامه بدا من جمع عدد كبير من قصص التواضع لأناس قد رفع الله قدرهم ولكن

---

[1] المصدر السابق نفسه – ج٢-ص٤٦٠

[2] المصدر السابق نفسه –ج٣- ٥٣ وما بعدها

[3] انظر العديد من قصص التواضع في التذكرة الحمدونية ج٣ ص٤٩

أبت عقولهم إلا أن يأخذوا نفوسهم بنوع من الإذلال فمنهم من حمل الحطب وهو لا يحتاج لذلك،وعندما سئل قال: ليقمع الكبر ومنهم من حمل القربة وهو أمير كيف لا؟ وأن من علمهم التواضع هو نبي الله صلى الله عليه وسلم، وذلك عند ما أتاه رجل ليكلمه فأخذته رعدة، فقال له صلى الله عليه وسلم :"هون عليك فإني لست بملك وإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد"[١]. نعم كانت تأكل القديد ولكن هل هي مثل كل النساء، وهل هو مثل كل ابن من أبناء النساء وهو سيد الخلق أجمعين ، والذي اصطفاه رب العزة من كل العالمين، ، ولكنه تواضع نبي أحب أن يعلمه لأصحابه الذين وعوه وطبقوه في حياتهم وكان ذلك مما أسلفنا، وغير ذلك من الأساليب التي علم بها أصحابه عن تواضعه، كما جمع الحمدوني عن تواضع سيدنا عيسي عليه السلام، عندما وقف وضأهم بعد طعام قدمه له، فاستنكروا ما قام به ، فقال: "فعلت هذا لتفعلوه مع من تعلمون "[٢] يعلمهم تعليما تطبيقات فمن رأى نبيه يفعل ذلك فسيكون قدوة له ، ويطبق ما رآه ويصبح لهم التواضع عادة. وعن عمر بن الخطاب عندما التقت به امرأة ويده على المعلى فنادته فوقف لها:فقالت: كنا نعرفك أمير المؤمنين ، ثم صرت عمر ، ثم صرت بعد عمير عمر فاتق الله يا ابن الخطاب ، وانظر في أمور الناس ، فإنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت فقال لها المعلى: إيهاً يا أمة الله فقد أبكيت أمير المؤمنين. فقال: عمر أتدري من هذه ويحك؟ هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه ، فعمر حري أن يسمع قولها ويقتدي به." [٣] من يتحدث ؟عمر ابن الخطاب الذي يخشي الله في كل لحظة، وهو من عرف عنه العدل وتحمل ذنب الحيوان والإنسان كبيراً ويتيما وغيره ، يقف ليسمع وليقتدي بما يسمع من امرأة وهو أمير المؤمنين ، ولكن ليست أي امرأة فهي خولة بنت حكيم.وقصص التواضع كثيرة جمعها الحمدوني عن على بن أبي طالب مع أبنائه، وكذلك بالمقابل عرض قصصاً تحمل بين طياتها الكبر والخيلاء وذكر أناس عرفت عنهم هذه الصفة الذميمة التي يرفضها الدين والمجتمع وأصروا عليها واستكبروا استكبارا فأوردتهم مورد سوء.

---

[١] التذكرة الحمدونية ج٣ ص ٤٩
[٢] المصدر السابق ص٤٩
[٣] التذكرة الحمدونية ج٣

وعادة العرب التي حرصوا عليها الأخذ بالثأر فقد جمع منها قصصا تفوق الخيال و تشعرك بأن الأخذ بالثأر من أهون الأشياء وبقليل من الخطط تنفذ الأمور . ومن ذلك قصة ثأر قيس بن الخطيم لأبيه وجده من قبيلتين مختلفتين؛ عندما عرف ذلك من غلام جرت بينهما مشادة ،وكان ذلك بمساعدة صديق والده حتى أخذ بثأرهما وقد اتضح في القصة الوفاء بالصداقة حتى لو كانت مخاطرة بالروح ، وكذلك الحرص على الثأر الذي يبقى ما بقي الثأر حتى يؤخذ به ويرد صاحبه اعتباره بين قومه ، ويعيش هانئا بما نفذ من قانون مجتمعه الذي يطالبه به حتى لو كان طفلا[1]، وقد وثقها قيس بن الخطيم شعرا في ديوانه، ومعظم القصص كانت تتخللها الأشعار لأن ابن حمدون يأتي بالخبر كاملا. و وقد كانت القصة التي سبق ذكرها من بين مجموعة قصص أصبح أبطالها شخصيات مشهورة مثل، قصة قصير والزباء وغيرها .

ومن القصص التي اهتم بجمعها وكتابتها هي قصص أيام العرب ومنها قصة يوم حليمة، ويوم ذي قار اللذين أوردهما وهما تحملان تفاصيل وتاريخ تلك الأيام بما فيها من أشعار قيلت وكلام جرى على ألسنة أبطاله، وذكر بذلك لكل يوم سببه وتفاصيل حدوثه، جامعا قصصا ربما لا توجد في كتب التاريخ التي تهتم فقط بمن انتصر ومن انهزم ، فتأتي علمية جافة تبحث عن الحقيقة مجردة، ولربما وجدوا الكثير من الحقائق لو أنهم بحثوا في كتب مثل التذكرة الحمدونية، وربما كشفت الأشعار ألغازا كثيرة وقف رجال التاريخ أمامها في حيرة من أمرهم، ولكن الحمدوني بأسلوب جمعه وحرصه على النواحي العاطفية في تلك الأيام وتطعيمه لها بما يرافقها من أشعار جعل لمصنفه القيمة التاريخية الأدبية الشعرية المقدمة في قالب تشويقي مفعم بأساليب الإمتاع .

[1] انظر التذكرة الحمدونية ج٧ ص٣٧٧ و انظر ديوان شعر قيس بن الخطيم – تحقيق د. ناصر الدين الأسد - دار صادر- بيروت ١٩٦٧ ص١٧٩

الفصل الرابع الخطب والرسائل

المبحث الأول:الخطب

للعرب القدح المعلى من الخطب والرسائل بل هم من انفرد بها وقد أثبت ذلك علماؤهم؛ فهذا الجاحظ يعطي هذا الحق للعرب والفرس ، ولكن الفرس في حديثه لا يأتون بمعنى إلا بعد طول فكرة ، ليخلو بذلك ميدان الخطابة للعرب فقط ،ليس هذا فحسب بل ضمن كل الفروع الأدبية عندما قال: " وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال كأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكر ولا استعانة"[١]. ودعم ذلك بذكر مواضع ارتجالهم وبديهتهم تلك المواضع التي يركز فيها المتكلم فقال:"إنما هو يصرف همه إلى الكلام أو إلى رجز يوم الخصام أو عندما ينتح على رأس بئر أو يحدو ببعير أو عند المقارعة والمناقلة " هذه هي المواضع التي تمثل حياة العربي كاملة بين سلم وحرب وخصام ومصالحة ، وكذلك في أفعالهم اليومية من بئر في حالة الإقامة وحداء ببعير في حالة سفر أو عند الحروب وما إلى ذلك .... إذن خطابتهم من مواقف حياتهم كما وضح لنا محاسن القول عند العرب ومدى قدرتهم على ذلك فقال: " تأتيه المعاني إرسالا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ثم لا يعيد على نفسه ولا يدرسه أحد من ولده "[٢] لا يدرسه لأحد من ولده فهذا حقه وملكيته الفكرية في صياغة كلماته .و الذين ينثال عليهم الكلام انثيالا هم فرسان الخطابة : سحبان بن وائل وابنه عجلان وعلي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثم بن صيفي ...وغيرهم كثير فيكاد يكون العرب كلهم خطباء وجميعهم يتمتعون بالقدرة الفائقة النادرة على نسج الخطب ودرر الكلام.

---

[١] التذكرة الحمدونية ج٦ ص ٢٧٠

[٢] المصدر السابق نفسه الصفحة نفسها وانظر البيان والتبيين – أبو عثمان بن بحر الجاحظ – ت عبد السلام هارون ، القاهرة – ١٩٦١- ج٣ ص٢٧-٢٩

وأول هؤلاء الخطباء النبي صلى الله عليه وسلم، والذي مجد كتابه العزيز فن الخطابة وجعلها وسيلة لشد ملك داود عليه السلام ﴿ وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾[1] والتي وضع لها قالبا واحدا حمل صفات خطبه فكانت تبدو بالحمد لله ، نحمده ونستعينه ....الخ تلك الخطب المعهودة.

وما للخطب من الأهمية بمكان في حياة العرب ؛ كانت في افتتاحية الزيارات الرسمية أو في اللقاءات السياسية، أو في اللحظات الحاسمة الحربية، أو في الزواج وغير ذلك من دواعي الخطب. ؛ لذا كان لابد للحمدوني أن يجمع في مصنفه خطباً من عصور مختلفة جاءت موضوعاتها تبعاً لذلك مختلفة أيضاً منها السياسية . والأخلاقية ، والدينية ، والحربية، وخطب قضاء حوائج الناس لدى الملوك وعلى رأس كل ذلك كلام أخطب الخطباء ومن هذا النوع كما قال أنس رضي الله عنه : "خطبنا النبي صلى الله عليه على ناقته الجدعاء وليست العضباء فقال : أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب ، وكأن الذين نشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم ، كأنا مخلدون بعدهم ، قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وأنفق من ما ل كسبه من غير معصية ، ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة[2].....الخ.

فقد ذكر الحمدوني خطب النبي عليه الصلاة والسلام وكل ما فيها من جمل؛ تحمل قاعدة من قواعد إرساء مجتمع آمن يعمه التكافل في مثل الخطبة التي بدأها بلفت نظرنا لعدم العظة من الموت الذي نراه أمامنا، وكأنه سفر ورجوع وليس سفر بلا عودة ، فهو حق على الكل وليس على الأموات دون الأحياء أو على أمة دون غيرها ، ثم بعد ذلك وجه لأسلوب العظة من الموت بأن يهتم المرء بعيبه ويعمل على إصلاحه ، ويبتعد عن الكسب الحرام

---

[1] سورة ص الآية ٢٠

[2] التذكرة الحمدونية ج١ ص٤١ وانظر محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء - الراغب الأصفهاني ـــ دار الحياة –بيروت –ج٤ – ص٤٨٦ وانظر السيوطي - اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة –القاهرة – ج٢ ص ٣٥٨

ويصرف منه في وجوه الخير، وأن تكون في قلبه الرحمة للمساكين وأن يستفيد من أهل الحكمة والفقه بالاختلاط بهم فكل قرين بقرينه، يؤثر فيه ويتأثر به، ووجه كذلك بإصلاح السراير وفيه ابتعاد عن الحقد وما شابه من أمراض القلوب،وإذا عالج الإنسان قلبه من مثل هذه الأمراض ابتعد بشره عن الناس وسلم المسلمون منه ، وفضل من يعمل بعلمه وينفق من فضل ماله ، وكذلك من لم يكثر من الكلام ، وفي النهاية علينا أن نتبع السنة ونبتعد عن البدع ، فما أجمل التوجيهات في هذه الخطبة . وفي كل خطبة من خطبه يرسي ناحية معينة من نواحي المجتمع الإسلامي، ويطهر قلوب المسلمين بطريقة أو بأخرى، ورغم أنه من ضمن الأحاديث الموضوعة ولكنه لؤلؤة من اللآليء لما تحمل من معان جميلة.

ومن أشهر خطبه خطبة الوداع تلك التي وضع فيها سياسة متكاملة للدولة الإسلامية ، فهو يعلم أن لا مجال بعد الآن للإقرار الوقتي بما يراه أو بما يسمعه ، ولا مجال لوضع سنة أو إقرارها بعد سؤال أو بعد موقف يرفع إليه صلى الله عليه وسلم، فكانت بمثابة تذكرة لهم –وهم في جمع هائل العدد– بما قاله أو فعله أو أقره أو أثبته عندما نزل به الوحي، فلم يترك أمر رأى أن فيه إرساء لدعائم دولة الإسلام إلا وذكره في تلك الخطبة مثل التوحيد، و تحريم الدماء والثأر، ورد الأمانات، والتنبه لما يفعل الشيطان، الأشهر الحرم،ووضع أسس التعامل مع القوارير، فذكر ما عليهن ما لهن ووصى بهن خيرا، ووصى بالأخوة، والابتعاد عن الرجوع للكفر والسبيل إلى ذلك الأخذ بكتاب الله، وذكر بقواعد الميراث ، وأشهد الله على ما قال وختم بالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي خطب قضاء حوائج الناس اختلفت أساليب الخطباء وتباينت آراؤهم، منهم من يطيل الخطبة ويأتي بفنون القول فيها، ومنهم من يرى أن الاختصار أقصر الطرق لقضاء حاجته.

ومن ذلك ما رواه محمد بن صفوان الضبي قائلا: " كنت أقوم على رأس سليمان بن عبد الملك، فدخل رجل من حضر موت فقال له سليمان: تكلم ما حاجتك؟ فقال: من كان الغالب على كلامه النصيحة وحسن الإرادة أوفى به كلامه على السلامة... وإني أعوذ بالذي أشخصني من أهلي حتى أوفدني عليك أن ينطقني بغير الحق وأن يذلل لساني بما فيه سخطه علي ، وإن إقصار الخطبة أبلغ في أفئدة أولى الفهم من الإطالة والتشديق في البلاغة، ألا وإن من البلاغة يا أمير المؤمنين ما فهم وإن قل وإني مقتصر على الإقصار مجتنب لكثير من الإكثار . أشخصني إليك وال عسوف ورعية ضائعة . وإنك إن تعجل تدرك مافات وإن تقصر تهلك رعيتك هناك ضياعاً ، وها خذها إليك قصيرة موجزة [1]. فهذا الرجل المجهول الاسم ، والخطيب المفوه قد وضع لنفسه معايير بنى عليها خطبته منها الصدق في القول، والابتعاد عما يثير غضب وسخط الرب من القول، من أجل تحقيق غايته التي من أجلها نظم خطبته تلك بإضافة لما هو أهم من ذلك وهو مدى الفائدة التي يجنيها من الإقصار المفهوم في الكلام دون التلاعب بالألفاظ واستعراض القدرة على الإتيان بفنون البلاغة؛ واضعا بذلك لنفسه سمة مهمة من سمات هذا النوع من الخطب كما ضمنها مدح خفي لعقل وفهم من يخاطبه، ثم ذكر هدفه من الخطبة وأوجزها في ثلاث جمل لا غير كانت لها وقعها في نفس المخاطب تاركا الأمر برمته دون تفصيل وجعل له الخيار في أمرين لا خيار بينهما، فما كان منه ابن عبد الملك إلا أن قام بما ينبغي أن يقوم به.ولو طالت هذه الخطبة ربما أدت لنوع من الملل وأبعدت ملقيها عن المراد.

ومن الخطب الحربية والتي تأتي مليئة بجمل الحماس وبث الروح القتالية في المحاربين خطبة قبيصة بن مسعود الشيباني يوم ذي قار وهو يحرض بني وائل:" الجزع لا يغني من القدر ، والدنية أغلظ من المنية ، واستقبال الموت خير من استدباره والطعن في الثغر

[1] التذكرة الحمدونية ج٣ ص١٩٦ وانظر – المصباح المضي في سيرة المستضيء ابن الجوزي– ت- ابو الفرج بن الزي الجودي – بغداد - ١٩٧٦ -١٩٧٧ –ج٢-ص٥٧ ،٥٨

خير وأكرم من في الدبر ، يا بني بكر حاموا فما من المنايا بد ، هالك معذور ، خير من ناج فرور[1] بعث فيهم الحماس لملاقاة العدو بصبر لأن الجزع لن يفيد شيئا، ثم خاطبهم بما تسير عليه عاداتهم ،من كراهة الفرار من أرض المعركة لذا قال لهم هالك معذور خير من ناج فرور ؛ لأن الأخير لن يستمتع بنجاته بسبب ما عاد به من عار الفرار ومعظم من يقتل هو من يفر من أرض المعركة .

أما خطب الزواج فيها يودع الخطيب صفات من أناب عنه في الخطبة بصدق ، وتأتي فيها كذلك عبارات الفخر من قبل الخاطب؛ ومن ذلك خطبة أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب في تزويج سيد البشر صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين خديجة بيت خويلد؛ إذ ذكر صفاته التي لا تخفى على أحد ، فهو الذي تربى بينهم. ولكن بالرغم من ذلك فقد ذكر فضائل العائلة قائلا : "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل ، جعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكام على الناس ثم أتبع ذلك بأوصافه صلى الله عليه وسلم : ثم إن محمدا بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش؛ إلا رجح به برا وفضلا ، وكرما وعقلا ومجدا ونبلا. فهذه صفات لا يمكن أن تجتمع في إنسان واحد وقد اجتمعت فيه عليه أفضل الصلاة والسلام لأنه نبي، ثم عمد لما يرى البعض أن لابد من توفره وربما اعتبر نقيصة لدى البعض الآخر ألا وهو قلة المال، ولكن كان لأبي طالب حجته الدامغة ، وحقيقة لا ينكرها ذو عقل. فقال في فقر محمد بن عبد الله :" وإن كان في المال ظل زائل وعارية مسترجعة وانه يأتي ويذهب ولا يوزن به المرء، ثم لم يقف عند هذه النقطة كثيرا فعجل بسبب هذه الخطبة: وله في خديجة ابنة خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق فعلي . فكان لسان حاله يقول لهم إذا لكم الرغبة فكل يرغب في الآخر

[1] التذكرة الحمدونية ج٢ ص ٣٩٦ وانظر الراغب الأصفهاني – محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء – مرجع سابق ج٢ ص١٣٥

ولا سبيل غير ذلك لأن المال لن يقف عائقا أمام تلك الرغبة. وإذا لكم الصداق فهو مدفوع لكم مني فماذا ترون بعد ذلك[١]. بنيت خطبته على الصدق .

أما خطبة زواج علي بن أبي طالب رضي الله عنه من فاطمة رضي الله عنها فقد كانت تختلف فمن ألقاها هو نبي الله عليه الصلاة والسلام. وهي تنفيذ أمر من السماء ، لذلك بدأت بإشارة إلى الأمر الإلهي الذي صدر بتزويج فاطمة من علي ، فكانت افتتاحيها تدل على ذلك ثم ختمت بتزويجهما، وليست بخطبتهما كما حدث في زواج أمها منه عليه الصلاة والسلام ، وختمها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالدعاء لهما معا بأن يخرج منهما الكثير الطيب وقد كان .) [٢]. وخطب الزواج كثيرة ومتنوعة من حيث الافتتاحية والصفات التي تسرد عن الخاطب وغير ذلك.

ومن الخطب ما جاء في التهنئة أو التعزية ، ومنها ما تفرد به الوليد بن عبد الملك الذي كان فيها أول من عزى نفسه وهنأها بالخلافة في آن واحد. عندما قام على المنبر وقال:" يالها من مصيبة! ما أفجعها وأعظمها وأشدها وأوجعها وأعمها! ، موت أمير المؤمنين. ويالها من نعمة ما أعظم المنة من الله على فيها! وأوجب الشكر له بها ، خلافته التي تسربلتها[٣]. فهو يعزي نفسه ويعلن عزاءه لقومه وكذلك يهنئ نفسه بأنه أصبح محل ثقة ليخلف أباه في هذا الأمر العظيم.

وكثير غير هذه من خطب التعزية التي تعلى بها المنابر مثل خطب موت ابن عمر بن عبد العزيز وغيره من الملوك والأمراء. مثل "خطبة أم كلثوم بنت على رضي الله عنهما

---

[١] للخطبة انظر نثر الدر - الآبي ـــج١ ص٣٩٦

[٢] الخطبة في التذكرة الحمدونية ج٦ ص ٢٥٤وانظر أحمد زكي صفوت – جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة – البابي الحلبي – القاهرة ج٣ ص ٣٤٤-٣٤٥

[٣] وانظر الأبي – نثر الدر– ج٣ – ص٥٩ التذكرة الحمدونية ج٤ ص١٥٧

في مقتل أخيها الحسين لأهل الكوفة التي أثبتت كل جملة فيها من تأليفها بآية من القرآن الكريم حتى وصفت بأنها تنطق على لسان أمير المؤمنين"[١]

ومن الخطب من يرمي الخطيب من ورائها لهدف معين حتى يترك الافتتاحية المعهودة فيها، وهى أن تبدأ بالحمد لله والثناء عليه. ومن ذلك خطبة أحد الأعراب عندما ولي فقال " اللهم أصلح عبدك وخليفتك إن الأمير أصلحه الله ولأني عليكم؛ وايم الله لا أعرف من الحق موضع سوطي هذا وإني والله لا أوتي بظالم ولا مظلوم إلا أوجعته ضربا . قال: فكانوا يتعاطون الحق بينهم ولا يترافعون إليه[٢] فقد حقق التعامل السلمي بين الناس، وحل قضاياهم بأنفسهم، وعدم ابتداء الخطبة بما عهد به من الحمد والثناء على الله؛ حتى يبعث في نفوس السامعين الخوف فتقع كلماتها وقعاً مقلقاً. وتوجههم لما يريد خطيبهم . فهو كما أسلفنا من العرب أصحاب هذا الفن يصوغونه جملا على حسب ما ترمي له أفكارهم دون مراجعة أو تمحيص، أو تردد أو تفكير.

المشهورون في هذا الفن في الجاهلية كثر؛ نجدهم في قصة خطبة النعمان تلك التي ألقاها على كسرى مع عدد من الوفود وخطبه النعمان بن منذر وعدد فضائل العرب فأنكر كسرى ذلك فما كان من النعمان إلا أن أرسل مجموعة من خطباء العرب المعروفين وهم حاجب بن زرارة و أكثم بن صيفي التميين ، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين وخالد بن جعفر وعلقمة بن ابن علاتة وعامر بن طفيل العامريين، وعمرو بن الشريد السلمي وعمرو بن معدي كرب الزبيدي والحارث بن ظالم المري فيمثل هؤلاء فن الخطبة الذي أخذ رايته في هذا الجمع؛ أكثم بن صيفي بخطبته الشهيرة التي قال في بدايتها " إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعا ، وخير الأزمنة

[١] انظر التذكرة الحمدونية ج٤ ص٢٦٣ وانظر التعازي والمراثي ابوالعباس بن محمد بن يزيد – المبرد ـــ تحقيق محمد الديباجي – مجمع اللغة العربية – دمشق -١٩٧٦ص٤٦

[٢] التذكرة الحمدونية ج٦ ص٣٠٦

أخصبها وأفضل الخطباء أصدقها .... الخ[1] فجمع فيها الأفضل من كل شيء يرى أنه يخدمه في تلك اللحظة ولم ينس الملوك وأفضلهم باعتباره يقف أمام ملك جبار وضمنها الكثير من الحقائق والحكم ، والنصائح حتى أعجب بها كسرى ، واستمر يحاوره واستمر أكثم في قول الحكم مما يثبت له حق الارتجال في الخطبة ، ودقة في جملها ، وتقدم كل من أعضاء الوفد بخطبة لا تقل عن سابقاتها ، فهو فن العرب الخالص يأتون به حسب ما ترمي إليه أفكارهم ويوجه حسب ما تكون حاجتهم، وظفوه لقضاء الحاجات ولإعلان الزواج ولمشاركة الأحزان ، ولتحقيق الأهداف وغير ذلك كثير .

وإذا تأملنا كيفية ترتيبه لهذا الفصل نجده اختار بعد خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبا أخرى لبعض الصحابة عليهم رضوان الله أجمعين. مثل خطبة سهيل بن عمرو يوم أن قبض النبي عليه السلام وسعد بن أبي وقاص في يوم الشورى، ثم أتى بعده بسلسلة من عشر خطب لسيدنا علي رضي الله عنه في الوقت الذي اختار خطبة واحدة من خطب سيد الخطباء الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.ثم بعد خطب علي اختار خطب للحسن ابنه، ولمعاوية ، ومجموعة خطب أخرى في موضوعات شتى لكل من قس بن ساعدة الأيادي ولجبلة بن حريث العبدي وللعملس وهاشم بن عبد مناف،ثم أعقب ذلك بخطبة زواج علي وفاطمة رضي الله عنهم وقصة ذلك الزواج الميمون ، وسلسلة خطب في مقتل الحسين بن علي ، ثم خطب صلاة الاستسقاء وخطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه هي فازت بوقفة من ابن حمدون لشرح مفرداتها التي استمدت من بيئتهم ثم سلسة أخرى متفرقة لعدد من الخطباء في موضوعات مختلفة، وتجاهل خطب خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يورد خطب أبي بكر ولا عمر وبالنسبة لعثمان أورد خطب مقتله ولم يورد له خطبة ولا قولا ولا موقفا . ثم ختم بنوادر الباب أسوة بأبواب التذكرة الأخرى.

المبحث الثاني : الرسائل

[1] التذكرة الحمدونية ج٧ ص٤٠٩

اهتم العرب في وقت ما بهذا الفن لأسباب كثر ذكرها أبو إسحق الصابي ، عندما سئل عن الفرق بين الشاعر والمترسل، والسؤال في حد ذاته إشارة لتفكير الناس ومقارنتهم هذين النوعين بعضهما البعض، فجاءت إجابته كافية شافية، فذكر أهم سمة فرقت بين الكلام المنثور والمنظوم فقال:" أفخر الترسل هو ما وضح معناه، وأعطاك غرضه في أول وهلة سماعه، وأفخر الشعر ما غمض فلم يعط غرضه إلا بعد مماطلة منه لك، وعرض منك عليه" ثم ذكر السبب في هذا الفرق فقال:" الشعر بني على حدود مقررة وأوزان مقدرة، وفصل أبياتا كل واحد قائم بذاته غير محتاج لغيره..... وهو عيب فيه والترسل كلاما واحدا لا يتجزأ ، ولا ينفصل إلا فصولا طوالا " ثم ذكر لحظة ولادة كل من الرسالة والقصيدة وجعل هذا هو سبب قلة المترسلين وكثرة الشعراء قائلا:" فالشاعر يجمع قريحته وقدرته على كل بيت ..... وله من الوزن والقافية قائد وسائق يقومان له بأكثر الحدود فكأنه إنما يحذوه حذوا، أو يفرغه في قالب مماثل والمترسل يصوغ رسالته متحدة مجتمعة ويضمها من أقطار متراخية متسعة .....فلذلك صار وجود المضلعين بجودة النثر أعز وعددهم أنذر" وبهذا ظهرت أسباب تفضيله كتاب الرسائل على كتاب القصائد. ثم عمد الصابي أيضا لمواضع استعمال كل منهما فكانت في ذلك الوقت أهم من الأشعار لأنها وسيلة من وسائل بناء اقتصاد الدولة، وإرساء دعائمها؛بكتابتهم في جباية الخراج، أو إصلاح فساد أو نهي عن فرقة، أو مجادلة ملة ... الخ. [1] وتشترك مع القصائد في التهنئة وغيرها؛ هنا وضحت سمات الرسائل منها سهولة التراكيب، وأنها تجمع جمعا، لذا منها ما يكون طويلا جدا، ومنها غير ذلك، وربما يحكمها في ذلك الغرض الذي من أجله أرسلت.

لذلك اهتم الحمدوني بفن الرسائل وجمع منها الكثير المتنوع ، مستفيدا من السمات التي أوجزها البعض، وجعلتها قريبة من الشعر ولكنها أبسط منه، وأغراضها أشمل منه لما تحويه من موضوعات في إمكان الشعر أن يتضمنها ولكن الرسائل أكثر سهولة

[1] التذكرة الحمدونية ج٦ ص ٣٥٧

وأسهل نسجا، كما أن الشعراء كثر بكثرة أزمانهم، ولكن كتاب الرسائل ليسوا بتلك الكثرة ، للأسباب المذكورة آنفاٍ .

وكلمة رسائل تشعرك بأن هناك مستقبلا وطرفا آخرا وقد تتوقع أن يكون لها رد ، ومنها من يكون موجها لعدد من المتلقين، ولا يمكن الرد عليها، وسواء هذه أم تلك فقد حاول الحمدوني جهده أن يختار منها على أسس ذكرها قائلا:" وقد اقتصرت على ما تضمن معنى بديعا ، ولفظا فصيحا، أو سيرة معربة، أو قضية معجبة، وتجنبت الإكثار إذ كان استقصاء فنونها واستغراق فصولها يحتاج إلى كتاب مفرد"[1] ما كان بديع وقد وجد ضالته لكثرة الرسائل التي كتبت مكونة خضما عظيما كيف لا؟! وهو في زمن وصل فيه النثر عامة وكتابة الرسائل خاصة إلى القمة وتعدد كتابها،وتباروا في استخدام الألفاظ، وأظهروا قدرة فائقة في ذلك ، وخلدوا مخزونا ضخما من الرسائل التي كتبت كل أغراض الحياة. مهمته كانت سهلة لتوفر فرص الاختيار فهو لا يبحث عن فن نادر، وصعبة لنفس السبب لأن الكثرة تزيد الأمر تعقيدا.

وقد ذكر الحمدوني:" أن القدماء كانت توجز المكاتبات وتختصرها، وتقنع من الألفاظ بمبلغها، وترى الإطالة عجزا والإيجاز إعجازا" فقد استحسن لفن الرسائل الإيجاز دون الإطالة لذا جاءت كتاباتهم مختصرة ، بليغة ، وخير الكلام ما قل ودل ومن هؤلاء يحيى بن خالد البرمكي الذي قال لأولاده: "إن استطعتم أن تكون كتبكم كلها توقيعات فافعلوا[2] لما وجد من فائدة الاختصار وتحقيقه الهدف الذي من أجله كتب دون التعرض لملل الإطالة . وقد أورد الحمدوني كعادته من القرآن ما يقوي به حجته في الاختيار أو الرأي الذي يناقش، وقد وجد الدليل البليغ الموجز في قصة سليمان وبلقيس والكتاب الذي بعثه في قوله عز وجل ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا علي وأتوني

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٦ ٦ص٣١٤

[2] المصدر السابق نفسه ص٣١٤

مسلمين ﴾[1] فهذا سيد الإيجاز ومبلغ الإعجاز ، فقد وصل ما يريد بكلمات عدة ومعنى كبير.

وأفضل ما بدأ الحمدوني به نماذج من كتب أفصح العرب– النبي صلى الله عليه وسلم – تلك الكتب التي أرسلها إلى الملوك والحكام ، وجميعها تحمل سمة الاختصار والبلاغة فقد كتب للعرب أمثال المنذر بن الحارث ملك دمشق قائلا:" سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ، فإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك[2]

فقد حافظ على عنصر الرسالة وبدأها بالسلام، ثم وجه إليه الدعوة إلى الإسلام ، ووضح له عاقبة إذا لم يستجب بأسلوب غير مباشر، وكلمات هادئة تحمل الطمأنينة – أن تؤمن يبقى لك ملكك– أمامه معنى بقاء الملك، ولم يشأ أن يستخدم المعنى المضاد إن لم تؤمن أخذ ملك. بل أعطاه فرصة التفكير في الأمر من جوانبه الخفية والواضحة. كل ذلك في جمل معدودة ولكنها أوفت بالغرض. ولم يميز بين العرب وغيرهم فهذا كتابه إلى ملك فارس يحمل نفس السمة رغم اختلاف اللغة "من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس ، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، ، واشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا، أسلم تسلم ، وإن أبيت فعليك إثم المجوس[3].

تضمنت الرسالة: المرسل منه والمرسل إليه والسلام والغرض كاملا؛ لماذا وجه الرسالة إليه وتوضيح نتيجة عدم استجابته لمطلبها، وفوق هذا المحافظة على مكانته ملكا على قومه دون تعال منه رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام. وهو الأعلى فقد أوجزها في بضع كلمات كانت معظمها لنشر الدعوة الإسلامية وما أعظمه من غرض! كان الإيضاح والفهم من أهم متطلباته، ولكنه حقق ذلك باختصار مستخدما كلماته البليغة، وهذا ما اتصف به

[1] سورة النمل الآية ٣٠-٣١
[2] التذكرة الحمدونية ج٦ص٣١٥
[3] المصدر السابق نفسه ص٣١٥.

القدماء عندما كان رأيهم في الإطالة إنها عجز المتكلم عن بلوغ مراده بكلمات قليلة، وفي ذلك صور من صور البلاغة والإلمام بفنون القول دون إسهاب وإطالة

ولا يعني هذا عدم وجود رسائل طويلة، فقد وجد مثل هذا النوع في زمن كان فن التلاعب بالألفاظ، ومحاولة إظهار القدرة على ذلك كان جل اهتمام الكتاب حتى لو كان فيه نوع من التكرار والإتيان بالمترادفات في كلمات جميلة، مسجوعة معظم الأوقات ، وتكون سطورها حبلى بأنواع كثيرة من الصور البيانية والبديعية الجميلة التي تنم عن قدرة صاحبها.

وكانت الرسائل تكتب لأغراض كثيرة منها النصح والإرشاد، والتخويف من عواقب الفتن، وفي الاحتفال بالمناسبات، أو في شرح قضية، أو إجابة على سؤال وجه لذوي الأمر فيأتي بالإجابة كاملة مفصلة، وبعض الأنواع يأتي في ثوب لا يجمل لا تظهر عليه الزخارف اللفظية الكثيرة، وهذا ما يكتب لسبب علمي صرف.وقد قيل:" ثلاثة تدل على عقول أصحابها:الكتاب والهدية والرسول." [1] فالكتاب يدل علم صاحبه وقدرته على اختيار الألفاظ الذي يدل بدوره على طبعه إذا كان حادا أو هادئا، وعلى رجاحة عقله، ومدى علمه، وعلى مهارته في وزن الأمور هل ليه دبلوماسية في تسييرها أم لا ؟ وكل ذلك من رسوله الذي بعثه وهو كلماته التي أرسلها. والرسول ما هو إلا رسالة شفهية تحمل ما تحمله الرسائل المكتوبة إذا لم تكن معه . وسواء مكتوبة أم شفهية لها أغراض كثيرة منها الرسائل العامة التي تحمل جملها أمورا رسمية، وتناقش الأمور المهمة التي تخص شؤون الدولة وتكتب بأسلوب خاص لأنها تمثل دور السفراء الآن.

ومنها ما يكتب في أمر من أمور الاحتفالات. ومن ذلك النوع ما أمر به المأمون أحمد بن يوسف أن يكتب في الآفاق بتعليق المصابيح في المساجد احتفالا بشهر رمضان الكريم

[1] المصدر التذكرة الحمدونية ج٦ ص٣١٦

فكتب بعد رؤية رآها فنفذ الأول ما أمر به قائلا:" فإن في كثرة المصابيح إضاءة للمتهجدين، وأنسا للسابلة، ونفيا لمكامن الريب، وتنزيها لبيوت الله عز وجل عن وحشة الظلم[١] فأوجز كلامه في فائدة المصابيح دون أمر مباشر بتعليقها فجعل من الرسالة وسيلة إقناع بضرورة المصابيح لفائدتها التي تساعد العباد على العبادة، وتؤنس من يشعر بوحشة الظلام ويحس الإنسان بوجودها بالأمان لأنها تمنع الشكوك التي تأتي مع الظلام.، بسبب وضوح الرؤية.

وهناك ما كتب بغرض استتباب الأمن والعمل على دوام طاعة الأمراء، فكتب عمرو بن مسعدة للمأمون: " الحفاظ على طاعة الجنود وضمان انقيادهم بدفع أرزاقهم فقال: " كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من قواده وأجناده من الانقياد للطاعة على أحسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم والسلام[٢] كلمات قليلة عبرت عن حال جيش بأكمله، وحملت شكوى أليمة، ومع ذلك حققت الغرض منها، وجعلت المأمون يقضي حقهم وأمر بالزيادة في أرزاقهم؛ وقال: " تذكرت إجابة بعض البلغاء عندما سئل: ما البلاغة؟ قال: التقرب من المعنى البعيد، والتباعد من حشو الكلام، والدلالة بالقليل على الكثير ، وهذا كتاب عمرو بن مسعدة قد أتى في حرفين ، وقد وصف حال الجند وطاعتهم[٣]. كلام المأمون يدل على الإعجاب بما وصل من عامله،حتى ربط بينه وبين معنى البلاغة ، ولسان حاله يقول أن هذا العامل بليغ اللسان،وقد عجل بصرف أرزاق الجند لأنه قرأ في الرسالة ما خلف السطور، وفهم أن الجند في طاعتك إلى الآن حتى لو لم تعطهم حقهم، وعند ما زاد أرزاقهم قال حتى لا يتمنوا موتي . ليس هذا فحسب ولكن ما حدث مع الجند ممكن أن يؤدي إلى خروج الجند عليه وهذا ما فهمه المأمون.

ومما كتب في غرض الفتوح ما كتبه طاهر بن الحسين إلى المأمون لما فتح بغداد وقتل محمد الأمين فقال في رسالته: " أما بعد ، فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين

---

[١] التذكرة الحمدونية ج٦ ص٣٢١ وانظر-المحاسن والمساوئ – إبراهيم محمد البيهقى – دار إحياء العلوم العربية بيروت - ص٤٤٣
[٢] المصدر السابق الصفحة السابقة ص٣٢١
[٣] المصدر السابق نفسه الصفحة السابقة

في النسب واللحمة لقد فرق الله بينه وبينه في الولاية والحرمة، ، لمفارقته عصمة الدين وخروجه عن الأمير الجامع للمسلمين ،قال عز وجل:"﴿يا نوح ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾[1] ولا صلة لحد في معصية الله ولا قطيعة في ذات الله . وكتبت إلى أمير المؤمنين وقد قتل المخلوع، ورداه الله برداء نكثه، وأحمد لأمير المؤمنين أمره وأنجز له ما ينتظر من صادق وعده"[2] وختمها بجمل الدعاء ، وما حقق له وكتب له ﴿اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن شاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾[3]

نوه هذا الكاتب إلى العلاقة التي تربط بين الشخصين – علاقة الأخوة – كما جمع بين رأي الشرع في حقوق الله تعالى وبين إقرار أمور الدولة، وذلك بمحاربة العاصين المنشقين في كتاب قصير فصيح، واستدل على ما جاء به من كتاب الله عز وجل واختار الآية التي تتناسب مع المعاني التي كتب فيها؛ مما يقوي وجهة نظره التي تضمنتها الرسالة. وكذلك فعل عندما ختم الرسالة.

ومن الرسائل ما لم توجه لشخص بذاته؛ إنما كتبت رسائل في ظاهرة بعينها، أو مناسبة محددة يقر بها أمورا معينة ويلفت بها أنظار العامة لشيء أصبح ظاهرة يجب التنبيه لها ومن ذلك رسالة عبد الحميد بن يحي في الفتنة ومنها:" ففي طاعة الأئمة في الإسلام ومناصحتهم على أمورهم، والتسليم لما أمروا به حفظ كل نعمة فاضلة ، وكرامة باقية ، وعاقبة مجللة ، وسلامة ظاهرة وباطنة، وقوة بإذن الله مانعة ، وفي الخلاف عليهم والمعصية لهم ذهاب كل نعمة ، وتفرق كل كرامة ، ومحق كل عصمة وهلاك كل سلامة وألفة .... الخ[4]وعدد خلال هذه الرسالة فوائد الطاعة واجتماع الكلمة تحت إمرة الأئمة من

---

[1] سورة هود الآية ٤٦

[2] التذكرة الحمدونية ج٤ ص١٣٧ وانظر – الراغب الأصفهاني – محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء –ج١ ص٣٦٥

[3] سورة آل عمران الآية:٢٦

[4] التذكرة الحمدونية ص٣١٧ وانظر أمراء البيان _ محمد كرد علي– ج١ص١٤٢١دار الثقافة العربية مصر

حفظ للنعم والكرامة والقوة والسلامة في كل الأمور. كما سرد سلبيات الانشقاق والخروج عن الطاعة ، وتفرق الكلمة. وأتى بمطابقة الفوائد من ذهاب النعم والتفرق وذهاب الكرامة وانتشار البدع والضلال وترك السنن ، وانتهاء المنافع مما يجلب الضرر، وينتشر الباطل والجور والفتن ، ويقتل المسلم أخاه المسلم وتتفشى الضغائن بين أبناء الأسرة الواحدة وما إلى ذلك من السلبيات التي أكثر منها مقارنة بالفوائد ، وله رسالة مشابهة ولكنه كتبها في الطاعة. ومثل هذه الرسائل هي ما تشابه اليوم المقالات الصحفية التي تنبه أولي الأمر لشيء قد أصبح ظاهرة، فتدق كلماتهم نواقيس الخطر.

ومن المكاتبات الجميلة ما كتبه الصابي عندما نقل بختيار ابنته المزوجة بأبي تغلب ابن حمدان فقال : " وقد توجه أبو النجم بدر الحرمي – وهو الأمين على ما يلحظه ، والوفي بما يحفظه ..... نحوك بالوديعة ، وإنما نقلت من وطن إلى سكن ، ومن مغرس إلى معرس ، ومن مأوى بر وانعطاف ، إلى مثوى كرامة وإلطاف ... الخ[1] واستمر هذا الكاتب يجمع بين ما كانت عليه وما ذهبت إليه دون أن يقلل من شأن هذا أو ذاك ، مع إضافة الكثير من المدح لهذا الزوج ثم ختم بجمل الدعاء العديدة، وقد ظهرت فيها براعة الكاتب في استعمال الألفاظ المطابقة مع السجع الجميل ، وأخفى طلب حسن الرعاية لفلذة كبده خلف الكلمات ففهم المتلقي ما يجول بخاطره، وقد تلقى ردا عليها لا يقل عنها فنا وبراعة ومعان جميلة ، وجمل سجع رنانة – كما كانت الرسائل في ذلك الوقت– أفرحت تلك الرسالة قلب الأب الذي فارق فلذة كبده.

أما النوع الآخر فهو الرسائل الإخوانية، وهي رسائل الصداقة ، وما يكتب بين الأخوة وهذه حفلت بها أجزاء التذكرة الحمدونية،وكتبت في كثير من المناسبات كالتهاني بالأعياد ، وبالمواليد ، والزواج ، ورسائل العتاب، ورسائل التعزية وغيرها من موضوعات الحياة.

---

[1] المصدر السابق- ص٣٣٦

وقد جمعت في متونها الكثير من الموضوعات الجادة والطريفة، ومن هذا النوع ما كتبه علي بن نصر الكاتب لصديق له وقال في مطلعها:" قد عرفت أيها الأخ الدهر وتبدله، والزمان وتنقله....الخ وقد عدد فيها مطابقا الصفات غير الحسنة في الزمان ، مثل مقبل حتى يعرض وغيرها مثل انبساطه وانقباضه، وعطائه وحرمانه، وعدله وجوره ثم عدل بعد ذلك للحديث عن العاقل وكيفية تعامله مع الزمان ، والمنتصر في معركته مع الدهر هو من حباه الله بأخ . ثم سرد صفات هذا الأخ الذي يعين على نوائب الزمان واستدل بشعر المتنبئ في بيته الذي ينصح فيه بعدم الشكوى إلى الخلق: (من البسيط)

لاتشك يوما الى خلق فتشمته *** شكوى الجريح إلى الغربان والرخم[١]

وسرد بعض أخباره ودليل شعري على ما حدث له ، ثم يختم رسالته تلك بتذكيره بعدم نشر ما حكاه في رسالته .

ومن رسائل الأخوان أيضا ما كتبه شقيق صاحب التذكرة الحمدونية ؛ وهي الرسالة التي قدم لها بمدح أسلوب أخيه من باب الإنصاف؛ بأنه قريب من القدماء في أسلوبه بدليل رسائله. وهو أبي نصر الحسن ابن الحسن بن حمدون. عن تاج الدولة أبي طالب بن طاهر إلى أبي عبد الله أحمد بن علي بن المعمر ، وقد بدأها بالدعاء للمخاطب وأسرته بطول البقاء والعلو والمسرة و أعقب ذلك بجمل المدح والثناء، ، وقد جاءت الرسالة مليئة بضروب البلاغة مسجوعة الجمل سجعا مختلفا بين كل مجموعة من الجمل، وتخللتها الكثير من الاستعارات مثل "يقسم للمعاني التي ركبت في جسد الكلام روحا"[٢] وغيرها كثير من الصور البيانية والبديعية على أسلوب ذلك الوقت في كتابة الرسائل .

[١] التذكرة الحمدونية ج٦ ص ٣٧٢
[٢] التذكرة الحمدونية ص٣٥٧

وأخذ موضوع الهدايا والشكر عليها نصيبه الأوفر من الرسائل التي تحمل في سطورها العديد من فنون الكلمة وتراكيبها البديعة واستعمال صنوف البيان من: تشبيه واستعارة ومن ألوان البديع التي ملئت بها سطور الرسائل :السجع والطباق والمقابلة إذ كانت الجمل المسجوعة سمة من سمات كتابة الرسائل، وكانت المقابلة والطباق والجناس من الأساليب التي اتبعوها وعكسوا المعاني التي يرمون إليها من خلالها ، أما الجناس كان هو ما يعلن وصول الرسالة بموسيقاه الجميلة التي تشد الأذن لسماع كلمات الرسالة مهما كانت طويلة. وكانت لا تقرأ جملة من الجمل إلا بها نوع من أنواع البلاغة بالإضافة لصور المدح لمن وجهت له الرسالة، كما ضمنها الكتّاب العديد من الأشعار. منها ما هو من تأليف كاتب الرسالة، أو من تأليف غيره ويأتي به من باب الاستشهاد. مثل تلك الرسالة التي كتبت مع هدية أرسلت في يوم نيروز، وقد حفلت هذه الرسالة بشتى التراكيب البلاغية .وكانت الهدية عبارة عن أقلام فقال صاحبها وهو أبو القاسم الحسين بن علي المغربي فبدأها بمعلومة تعكس جانب من جوانب الحياة الاجتماعية في قوله:" للناس– أطال الله بقاء الأستاذ الجليل–عادة في مثل هذا اليوم بتهادي الأقلام،وقد كان يجب أن يكون هذا الفعل محظورا إلا عليه، وممنوعا إلا منه لأن الأقلام إذا أهديت إليه قد أعطيت قوس البلاغة باريها،وأعلمت أفراس الكتابة مجريها، وأنصفت هذه الآلة ولم تظلم وأكرمت هذه الأداة الخطيرة ولم تهتضم " فقد افتتحها بالمعلومة والدعاء للمهدي إليه، وهذه ظاهرة واضحة في الرسائل كما جعل فيها المدح بتسليم الممدوح قوس البلاغة لأنه فارسها، وذلك بتحكمه في كلماتها، وبه كانت في مكانة الكرم ليس الإهانة.... الخ وتخللت هذه الرسالة من أشعار ابن عنمة:(من الخفيف) :

أنت خير من ألف ألفٍ من النا *** س إذا ما كَبَتْ وجوه الرجال

عندك البرَّ والتقى وأسى النَّف *** س وحملٌ لِمُضْلِعِ الأثقال

وصـلات الأرحام قد علم اللـ *** ـه وفك الأسرى من الأغلال[1]

ومن المناسبات التي جمع مادتها الحمدوني فيما يخص هذا الباب،ما كتب إلى مترجح بين الطاعة والمعصية، وما كتب في الطاعة،وما كتب في الأزمات وفي انفراجها،وما كتب في البخل، و في لفت الانتباه لتصرف ما، وفي الأوصاف وغير ذلك كثير مما كتبت فيه الرسائل ورددوها بعض الأحيان، وقد تفاوت طول الرسائل فمنها ما جاء في فقرة قصيرة ومنها ما وسع صفحات عديدة.

ومن كتاب الرسائل الذين ورد ذكرهم في التذكرة الحمدونية بعد النبي عليه السلام وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين هم: أبو نصر بن حمدون ، وأبو الحسن علي بن نصر الكاتب،وأبو اسحق الصابي، وابن العميد ، وأبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، وأبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني وعبد الله أبو القاسم ابن محمد الخوارزمي وعبد الحميد بن يحيى.وغيرهم وقد اهتم بها كثيرا، وأخذت من كتاب ابن حمدون حيزا كبيرا شمل أنواعا عديدة من المكاتبات ومختلف الموضوعات منها ما ذكرها باسمها مثل الإغريضية والبتراء ومنها ما كتب بموضوعاته وهذا ما جاءت عليه معظم الرسائل.وقد بثها في متون أخبار مصنفه بثا كثيرا ومنها ما جمعه في باب من أبواب التذكرة الحمدونية وجعله تحت عنوان المكاتبات والرسائل وبدأه مثل غيره من الأبواب بخطبة الباب، وأعقب ذلك بمقدمة في المكاتبات والرسائل وضح فيها منهجه في هذا الباب مما سبق ذكره، ثم قدم نماذج الرسائل التي شملت مختلف الموضوعات منها ما كانت على سبيل الجد ومنها ما كان على سبيل المداعبة بين الأصدقاء،، وضمنها من مقامات الحريري المقامة الوبرية، وجعل مقامته الأربعين مع مقامة بديع الزمان الهمذاني إلى ابن فارس ضمن باب النوادر

[1] التذكرة الحمدونية ج٦ - ص٣٧٥

وكذلك ذم الجاحظ للكتاب وهذه جمع الجاحظ فيها المكاتبات التي كانت فيها أمورا غير محمودة ، ومما قال في ذلك:" ما قولك في قوم أول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي خالفه في كتابه"[1] وما إلى ذلك من مثل هذه الأمور.

فقد كان بابا كبيرا في مادته ، مفيدا بموضوعاته ، مليئا بما يمتع قارئه من صنوف الكتابة العديدة، وتقف من خلاله على قدرة الكتاب في تلك الأزمان على التعاطي مع كلمات الضاد بكل مهارة والسباحة في بحرها، بمنتهى البراعة، فقد كان علمهم وإلمامهم بهذا العلم ومفرداته بحر لا ينضب.فقد كان جهده واضحا في اختياراته المتنوعة التي نجح في أن يمتع ويفيد بها القارئ.ولم يقصر ما بذل من جهد على هذا النوع من النثر الفني إنما ضمن تذكرته بعض المناظرات الأدبية وهذا ما نحن بصدده في الصفحات القادمة .

الفصل الخامس: المناظرات الأدبية

مما جمع الحمدوني في مصنفه من أنواع النثر المختلفة هي المناظرات الأدبية وما تنطوي عليه من آراء نقدية تأتي عفو الخاطر دون تفصيل فيها أو برهان، أو وجود معيار لتفضيل قول على قول، وتكون أحيانا بمثابة سرعة بديهة وتتبع حجة والرد عليها، ومن ذلك تلك المناظرة الارتجالية التي كانت بين معاوية ابن أبي سفيان وعبدالله بن عباس عندما بدأها معاوية بسؤال لرجال قريش قائلاً يابني هاشم بم تفخرون علينا؟ أليس الأب واحد ؟

[1] التذكرة الحمدونية ج٦ ص٤٣٢

والأم واحدة؟ والدار واحدة؟ فكان الموضوع كما بدا واضحاً موضوع فخر وتفاخر وأن معاوية يرى ألا تفاخر ولا تفاضل لبنى هاشم على بنى حرب.ولكن قابله ابن عباس بالرد على كل كلمة قالها موضحا سبب الفخر عليهم قائلا:" نفخر عليك بما أصبحت تفخر به على سائر قريش، وتفخر به قريش على الأنصار، وتفخر به الأنصار على العرب، وتفخر به العرب على العجم. برسول الله صلي الله عليه وسلم بما لاتستطيع له إنكاراً ولا منه فراراً. بدأ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة دامغة هي: فخر بني هاشم على غيرها من الأسر المكية. ومن ثم وسع دائرة الفخر قليلاً ومازالت محصورة فى قريش حيث أعطى راية الفخر للمهاجرين على الأنصار، فمنهم انحدر صلى الله عليه وسلم، وبينهم ترعرع وبهم بدأ دعوته، فكانوا نواة الرسالة الأولى سابقا، ومصدر الفخر لاحقا. وبنفس القدر يفخر به الأنصار خارج قريش بما قدموه له، حيث آووه حين أبعده الكفار، وأمنوه حين اشتد خوف الرعيل الأول من المسلمين، وبسطوا أيديهم وبايعوه في الوقت الذي قبضت الأيدي عن تلك البيعة المباركة،ووسع دائرة فخره لتشمل العرب وتعظمهم على العجم، فليس للعجم طرف في ذلك ولا فخر لهم في شيء. وليس أعظم منه فخرا استحوذ عليه ابن عباس في تلك اللحظة فما موقف معاوية آنذاك؟!.

معاوية سرعان ما استسلم وقال صدقت يا ابن عباس ثم عدد أسباب أدعى أنها سبب في حبه لابن عباس أحدها: قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان رد ابن عباس على هذه بأنها: واجب على كل مسلم وليس سببا يخص معاوية ولا شئ يتفاضل به على ابن عباس. والثاني أنه رجل من أسرته، وقد أثبتها له ابن عباس وزاد عليها أن معاوية وصولا للرحم. والثالث أنه لسان قريش وقد قبلها لنفسه ابن عباس، وأشرك معاوية فيها واعترف له بالفضل والشرف لكونه لم يصف بها نفسه ووصف بها ابن عباس، والرابع أن: أباه كان خلا لأبيه. وهذه أيضاً لم ينفها ابن عباس وذكر فضلاً للعباس على أبي سفيان

بن حرب وذلك عندما أجاره وأوصله إلى النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة فتح مكة، وكان سبباً في إسلامه.إلى هنا ويبدو أن ابن عباس استطاع الرد ولم يستسلم لمعاوية.

استمر معاوية وقد ذكر لمناظره أربع قد كانت في نظر معاوية أخطاء غفرها لابن عباس وهي في قوله:" عدوك علي بصفين فيمن عدا" وقد رد عليها ابن عباس ولم ينفها، بل قدم دليل صحة ما قام به مفتخرا، ثم كان الخطأ الثاني الذي ادعى معاوية غفرانه قائلا: "إساءتك في خذلان عثمان فيمن أساء" وقد ناظرها ابن عباس بأن الخذلان الحقيقي كان من هو أمس رحما منه و أنه كان يكف عنه أهل الحجاز. وذكر معاوية الثالثة:" سعيك على عائشة في من سعى" وقد رأى ابن عباس لو أن عائشة قرت في بيتها كما أمرها ربها رضي الله عنها لما صدر من ابن عباس ما صدر في حقها، وكانت الأخيرة من معاوية في نفي زياد عن معاوية وذلك عندما بحث عن نسبه لأبي سفيان وقد قابلها ابن عباس بحجة قوية هي قول النبي صلى الله عليه وسلم:" الولد للفراش ، وللعاهر الحجر" واعترض عمرو ابن العاص على قول ابن عباس لمعاوية، ولكنه سمع من ابن عباس ما لم يتمنى أن يسمعه من أحد يوما ما.

فقد كان ابن عباس قادراً على الرد.وهو أن ابن العاص دخل بين العظم واللحم والعصا واللحاء، وكان ذلك بداية مناظرة أخرى طرفاها عمرو بن العاص وعبدالله بن عباس، وكانت كلماتها قاسية رادعة مستدلاً بآيات الله عز وجل،وموضحا أين هو مما تحمل هذه الآيات من معانٍ وألحقها بكلام الشعراء ذاكرا وجه الشبه بين معاني الأبيات و ابن العاص وفي ذلك وقف عند علاقته بمعاوية ورجع سببها للعداوة لله والحسد القديم لأبناء عبد مناف ، وأخذه للتاريخ وما حدث من ابن العاص للنبي صلى الله عليه وسلم ، ونتيجة عمله، وعندما أراد ابن العاص الكلام كان قد أقر معاوية في تلك اللحظة بقوة ابن عباس خاتما تلك المناظرة الحادة بينهما دون أن يجبره علي شئ وذلك بقوله: " والله ما أنت من رجاله فإن

شئت فقل، وإن شئت فدع "[1] ولا أخاله قال شيئا بعد أن صنف بأنه ليس من الرجال القادرين على الرد على ابن عباس، لتنتهي المناظرة بما قدم ابن عباس من أجوبة دامغة ، وأدلة لا تقبل النقاش جمعت ما بين الآيات الحكيمة والأحاديث الشريفة، وأبيات الشعر التي لا يختلف في معانيها اثنان كيف يستطيع الرد على من كانت حجته القرآن الكريم ، والحديث الشريف؟! هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان ابن عباس عالما بدقائق الأمور التي تتعلق بمعاوية وابن عباس، الشيء الذي حال دون الاستمرار في المناظرة .

ومناظرة أخرى جرت بين كسرى والنعمان وبين كسرى وبعض رجال النعمان وقد نوه الحمدوني لأنها مصنوعة وقد أوردها لما فيها من حجج قوية سجلت لصالح العرب .

وقد كان قد بدأها كسرى بهجوم لفظي لاذع ووصف العرب بالذل والمهانة والفقر والهمجية وبأنهم يفتخرون بأشياء لا قخر فيها، وبالتالي لا فخر للعرب على غيرهم بأي حال من الأحوال ،ومع هذا وذلك يحاول العرب في نظره أن ينزلوا فوق مراتب الناس و قال ذلك أمام جمع من الوفود التي وردت عليه، وقد رد عليه النعمان كما جاء في الخبر رداً حصيناً، ولابد له من ذلك لأنه بين يدي ملك ، وقد بدأ بأفراد أمة كسرى في المجد على حسب ما بدأ به كسرى ، ولاخيار له في ذلك ، فليس له بد من أن يمجد الملك ويأمن جانبه وبعد ذلك جعل العرب فوق أمة اليمن التي قارن كسري بينها وبين العرب رافعا قدرها عليهم، ومجموعة أخرى من الأمم وسبب ذلك العز والمنعة في نظر كسرى حسن الوجوه وألوانها وبأسها وسخائها. وهذه التي جعلها كسرى سبباً لذلهم فقد قلبها النعمان سبباً لعزهم، ثم بدأ بإثبات كل صفة لهم فعز العرب سببه أنها لم تزل مجاورة لآباء كسرى الذين دوخوا البلاد ... ولم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل فقرن عزهم بعز الفرس وفرق بين عز العرب وعز الفرس بكل بلاغة، فجعل حصون الفرس سبب لعدم محاولة الاقتراب منه لمنعتها ولكن أثبت ضمنيا الشجاعة الكبرى للعرب عندما جعل حصونهم ظهور خيولهم ومهادهم الأرض

[1] انظر التذكرة الحمدونية ج٩ ص١٨٠

وسقفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر، فهذا مبلغ الشجاعة فلا مانع لهم من عدوهم إلا قوته أما حسن الوجوه والألوان، فقد جعل صحتهم تحفظ وراء الحجارة والطين بما فيهم كسرى وأمته التي يفخر بها على غيره من الناس، وهذا إثبات قوى للفرق الذي ذكره كسرى مفضلا به الأمم الأخرى على العرب .

ورده على الأنساب بأن العرب يعرفوا نسبهم وتسلسله ليس حصراً على جماعة منهم وإنما كل من سئل عن ذلك استطاع أن ينسب نفسه وغيره، وهذه مفقودة في غيرهم من الأمم وعدد فوائد ذلك وهى: حفظ النسب وإحاطة الحسب ودقة في النسل ثم رد على أكل العرب لحوم الإبل لأنها أفضل ممتلكاتهم وأجلها فقد احتقروا ما دونها لعدم قدرة تلك الأنواع على ما تقدر عليه الإبل بها يشترون ذكرهم ويكرمون بها ضيوفهم وذكر طيب لحمها ومميزاته .

وذكر قدرة العرب على الشعر والأمثال وحسن الكلام وعفة النساء، وهذا ما فقد عند غيرهم من الأمم والأجناس. وثم أتي على الدين فأثبت ذلك بالأشهر الحرم وليلة محرم والبيت المحجوج ،وشريعة يحترمها كل منهم في تلك الشهور ويتركون عادة الثأر من أجلها حتى لو قابل قاتل أخيه أو أبيه. وجاء النعمان على صفة الوفاء وما يترتب على الحرص عليها حتى لو كانت مجرد إشارة. ثم رد على قوله بوأد بناتهم فقد أثبتها على بعضهم (يفعلها من يفعلها) وذكر السبب الذي جعله ميزة خلقية للعرب على غيرهم. أما صفة الملك رد عليها بأن الأمم الأخرى ينحصر ذلك في أهل بيت واحد وإنما العرب فإن ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين، مع أنفتهم من أداء الخراج والوطء والعسف وصفات العز والملك التي توفرت في معظم العرب جعلت حكمهم غير ملوكي، ولم يفته كذلك أن يؤمي– بإشارة لكسر– بأن العرب تأنف من الخراج وغيره حتى لا يفكر بما يعقده من صفقات. ويفرض عليهم خراج أو غيره في أي يوم من الأيام ووصف لكسرى كيف صار لها ملك وماذا حدث له ؟ وما دور العرب الذي قدموه له ؟ . فأعجب به كسرى في

الخبر ،وحسمت المناظرة لصالحه؛ وذلك لشدة بلاغته ومدى قوة حجته، وصلابة قدرته على إرتجال المعاني في الرد على الوصف المفاجئ الذي باغته به كسري. وقد جاءت كلماته جزلة، فصيحة ،وأوصافه واضحة مثبتة بالدليل وذلك الإعجاب إنما استسلام لما جاء به النعمان في حديثه وإثبات لحق العرب ،وتغير مفهومه عن أمة العرب التي كانت سبب زوال حكمه في تالي الأيام .

ثم تتابعت مناظرات العرب من الرجال الذين أرسلهم النعمان لمقابلة كسرى ومخاطبته فقدم كل منهم موضوعا مختلفا، عن غيره في معان ارتجالية، وجمل رصينة وردود محكمة سريعة لما يتفوه به كسرى ويباغتهم به أثناء الكلام،دون توقف للتفكير في الكلمات، واختيار الأفضل منها وأعطوه إجابات مسكتة لكل سؤال يسأله فجأة أثناء الحديث. فجاء تقبله لتلك المناظرات ما بين الاستسلام والمدح، وما بين التهكم الذي يدل على انقطاع الحيلة في متابعة الكلام معهم. وكان الرجال أقدر على الرد المفحم وأسرع في الإجابة الدامغة من كسرى، وقد انطوت إجاباتهم على الفخر بشجاعتهم وطعانهم وقوة حججهم وكلامهم [1].

تكون وفد متابعة المناظرة من عشرة رجال هم الأفضل لدى النعمان في فن المناظرات والخطب. وزودهم بنصائحه التي جمعها من خبرته في التعامل مع الملوك، وكان أولهم خطيب العرب وحكيمهم أكثم ابن صيفي الذي لم يجد كسرى بدا من التسليم له.

ودار ت كلماته حول الزمان وخير الأشياء وخير الملوك ، فقد كانت خطبة توقع لها المناظرة من كسرى ولكنه لم يجد بدا من عدم الاستمرار في الحوار معه،وعندما حاول أن يقلل من شأن الختام، جاءه رد أكثم عاجلا مفحما، وتبعه حاجب بن زرارة ، فكان جل كلامه عن العرب ومدى تعاملها الطيب مع من يحسن تعاملهم ولسان حاله يقول لكسرى ها نحن ما دمت تحفظ لنا مكانتنا .

---

[1] التذكرة الحمدونيةج٧ ص٤٠٤

أما الثالث فكان الحارث بن عباد ، وكانت كلماته أشد استفزازا لكسرى فبدأ في محاورته ومناظرته، ولكنه كان فحلا في رده؛ مما جعل كسرى يسأل عنه رفاقه فأثبتوا ما لم يتوقعه كسرى، وأجبره على الاعتراف بتمايز هذا الوفد الذي دخل عليه .

وكان الرابع خالد بن جعفر الكلابي

قدم فهم العرب للكلام في حضرة الملوك فاعترف له كسرى بالعقل والسمو والفضل والنبل . وهكذا توالت كلماتهم التي تقدم بها كل من علقمة بن علاثة وقيس بن مسعود الشيباني وعامر بن طفيل ، عمرو بن معد كرب الزبيدي ، والحارث بن ظالم ، وكل ما حاول كسرى مناظرة أحدهم في الموضوع الذي يتقدم به يجده أقدر على الإفحام، وأبرع في نسج الكلام ، والرد السريع ، فأثبتوا للعرب حق الفصاحة ، والحديث بدبلوماسية كفتهم شر تفكير كسرى في أمتهم بالطريقة السيئة التي كان يعرفهم بها ونجحوا في تغيير المفهموم الذي كان في مخيلته عنهم .

وأورد الحمدوني مناظرة بين رجلين من رجال العرب هما عامر بن طفيل وعلقمة بن علاثة، من بطنين من بطون قبيلة بني كلاب، وخبرهما مشهورا ، وكان عامر فارسا مشهورا وكان قيصر إذا قدم عليه أحد العرب سأله عن علاقته بعامر وإذا وجد هناك علاقة ؛ أكرم مقامه ، وعندما حدث ذلك مع ابن علاثة غضب مما أدى إلى حرب بين البطنين ، واستمر الحال بالمناظرة الفعلية بينهما. كأن يقدم هذا شيئا فيقدم الثاني أكثر منه، وتكررت مواقف عامر الكريمة التي زادت من حنق ابن علاثة عليه ، وأصر على مناظرته، فبدأت بأن عدد عامر صفاته وهي: "أنه أركب منه في الحماة ، وأقتل منه للكماة ، وخير منه للمولى والمولاة." تفاخر عليه بأنه أسرع في النجدة، وكثير القتل للفرسان المسلحين، أفضل منه لمن يحتاج أو تحتاج. فإذا افتخر عامر بالشجاعة والنجدة للمولى والمولاة ، فقد فخر عليه علقمة

بأخلاق فاضلة أخرى يرى أنه أفضل منه في البر والوفاء ، فرد عليه عامر مفتخرا بالكرم فرد عامر :" والله إنك لكليل البصر ، نكد الذكر ، وثاب على جاراتك بالسحر .فقال له بنو عمه إنك لن تطيق عامر . وبدؤوا بالبحث عن طريقة أخرى لكسب هذه المناظرة إلى جانبهم.فمن خلال رد علقمة على عامر ترى أنه ترك سبيل الفخر بصفاته ووصف خصمه بضدها مثل قوله: "إني لوفي وأنك لغادر"[1] ،وأصبح يصف بصفات هي عيوب خلقية أكثر من أنها صفات مكتسبة لسبب أو لأخر وأنها ليست تنقص من قدر عامر شيئا ، ماعدا وثبه على جاراته ، وإذا كان يتصف بهذه المذمة لكانت سببا قويا لقتله، أو لقيام حرب بين البطون. مما يدل على انه أسلوب ماكر وكاذب اتبعه علقمة ضد عامر ، وإذا كان ما قاله صحيحا ما قال له بنو عمه أنك لا تطيق عامر ، ولما بحثوا عن أسلوب آخر لهزيمته. واستمرت المناظرة حتى بت فيها هرم بن سنان الذي حل هذه الأزمة بين الاثنين دون أي إثارة فتن وأحقاد ، ولم يخبر بمن المفضل عنده من الرجلين حتى لعمر بن الخطاب عندما سأله عن ذلك ؛ لخوفه على أن تعود الحزازات مرة ثانية ،فكتم ذلك السر، حتى وصفه عمر بن الخطاب:" بأنه نعم مستودع السر"[2] ، وبقي سره فيما استودعه إلى أن قبر معه، وبقي الخبر والشعر الذي ألف من قبل الشعراء الذين شهدوها.

وبذا قد جمع الحمدوني كل الأنواع الأدبية الشعرية بأغراضها المختلفة ، والنثرية بأقسامها المتعددة، أرفقها أحيانا قليلة بتعليقه ونقده البسيط، وأحيانا أخرى بنقد وتعليق الآخرين؛ مما وجده في أضابير الكتب التي قرأها،واختار منها،وفي موضع آخر يكتب بدون تعليق ويترك الأمر لمن يقع الكتاب بين يديه قاصدا أوبمحض صدفة . كما أنه صدق في تنفيذ خطة المصنف التي أعلن عنها في المقدمة في أغلب صفحاته، فجزاه الله خير الجزاء بما أثرى به المكتبة العربية.

---

[1] التذكرة الحمدونية ج٧ص٣٩٩

[2] التذكرة الحمدونية ج٧

الخاتمة

وتتضمن :

نتائج البحث :

الآن ومن بعد هذا الاستعراض لما حواه كتاب التذكرة الحمدونية فقد توصلت للنتائج التالية :

- الحمدوني مؤلف له مكانته في دنيا الأدب وإن كان غير معروف لدى الكثيرين .
- كتاب التذكرة الحمدونية عبارة عن عدة كتب بين دفتي كتاب واحد .
- لم تظهر شخصية الحمدوني في مصنفه إلا لماما .
- للحمدوني أسلوبه الذي حمل خصائص عصره ولكنه لم يستخدمه إلا في افتتاحيات أبوابه .
- اكتفى الحمدوني باختيار ونقل المادة ، إلا القليل من النقد .
- حوى الكتاب كل الأنواع الأدبية مرتبة وفق المادة التي حوتها
- جمع الكتاب الغث والسمين كما ذكر أحد النقاد
- لم يلتزم الحمدوني بما ذكره في مقدمة مصنفه بأنه سيفتتح كل كتاب بآية ويتبعها بحديث حيث خلت بعض الأبواب من ذلك وكذلك خلت بعض أبوابه من النوادر وجاءت خاتمة للفصل كما في الباب السابع عشر .
- لم يحالف الحمدوني الحظ في التبويب الدقيق للكتاب ؛ إذ جعل لكل باب خاتمة من النوادر ولكنه جعل للنوادر بابا منفصلا وكان بإمكانه الاكتفاء بما ختم به الأبواب

من تلك النوادر أو أن يجمعها في باب واحد في نهاية المصنف . يوجد في التذكرة الحمدونية أبواب متقاربة الموضوعات وكان من الأجدى جعلها في باب واحد كالأبواب التي تحدث فيها عن الأخلاق الكريمة .وكذلك التقسيم لفصول

- لم يتبع الحمدوني التسلسل الزمني أو المكانة الدينية عند ما تحدث عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حيث قدم سيدنا علي بن أبي طالب وأبناءه الميامين رضي الله عنهم أجمعين على أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وكان لأحاديثهم نصيب الأسد بالمقارنة مع بقية الصحابة بما فيهم الصديق والفاروق رضي الله عنهما بسبب تشيعه لآل البيت.
- لم يقف الحمدوني مفكرا أمام اختياراته من الأحاديث التي استشهد بها حيث تضمنت الأحاديث الموضوعة والضعيفة أسوة بالصحيح منها .
- أتى ببعض الأشعار دون توثيق مع معرفته بقائلها في معظم الأحيان .
- إذا تهيأ الوضع الآمن للحمدوني لجاء ترتيب الكتاب مختلفا .
- عاش الحمدوني فترة عصيبة من حياته كانت السبب في تجميع هذا المصنف .

التوصيات

أولا :

كان جل اهتمام الباحثين منصبا على المادة الشعرية ودراستها وتمحيصها في الوقت الذي لم يجد النثر ما وجد الشعر من اهتمام ؛ لذا أوصي بإعطاء النثر حقه كاملا من الدراسة والبحث أسوة بجناح الأدب الآخر .

ثانيا :

أدب المحاضرات مجال خصب للدراسة المفيدة الممتعة ، فأدعوا رفاق الدرب للبحث في هذا المجال

ثالثاً:

لم يسدل ستار البحث في كتاب التذكرة الحمدونية، فما زال الباب مفتوحا لمزيد من البحث ؛ فأوصي بذلك .

فهرس الآيات القرآنية

م	اسم السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
١	سورة البقرة الآية 237	٢٦٨
٢	سورة البقرة الآية 261	٢٧٤
٣	سورة آل عمران الآية ١٨٠	٢٧٢
٤	سورة النساء الآية 57	٢٦٨
٥	سورة الأنعام الآية 94	٢٦٨
٦	سورة هود الآية ٤٦	٣٠٩
٧	سورة يوسف الآية 111	٢٧٤
٨	سورة إبراهيم الآية ٨١	٢٧٧
٩	سورة الحجر الآية 85	٢٧١
١٠	سورة النحل الآية ٨١	٢٤٥
١١	سورة الإسراء الآية 37	٢٧٢
١٢	سورة الإسراء الآية 34	٢٧٢
١٣	سورة النمل الآية 47	٢٧٦
١٤	سورة ص الآية 44	٢٧٥
١٥	سورة ص الآية ٢٠	٢٩٧
١٦	سورة النور الآية 40	٢٥٧
١٧	سورة الإسراء الآية ٣٤	٢٧٢
١٨	سورة مريم الآية 12	٢٧٣
١٩	سورة طه الآية ٩٨	أ
٢٠	سورة الحج الآية (١و٢)	٢٦٨
٢١	سورة الحج الآية ٢	٢٦٨
٢٢	سورة النور الآية 40	٢٥٧
٢٣	سورة النمل الآية 47	٢٧٦

٢٤	سورة النمل الآية ٣٠و ٣١	٣٠٦
٢٥	سورة القصص الآية ١٥	٩٥
٢٦	سورة القصص الآية ١٩	٩٦
٢٧	سورة القصص الآية ٧٦	١٨٦-٢٤٤
٢٨	سورة الزمر الآية٧٣	٢٧٣
٢٩	سورة الزخرف الآية ٦٧	٢١٢
٣٠	سورة محمد الآية ٣٠	٢٤٧
٣١	سورة الفتح الآية ١٠	١٧٨
٣٢	سورة الحجرات الآية 88	٢٧٢
٣٣	سورة المنافقون الآية ٤	٢٤٠

فهرس المصادر والمراجع

اولاً : المصادر

م	المصدر
1	الأعشى ميمون بن جندل المسمى الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشيين – الآخرين طبعة لندن سنة ١٩٢٧م باعتناء المستشرق رودلف جيبر
2	أوس بن حجر – ديوان شعر – تحقيق وشرح د– محمد يوسف نجم – دار صادر- ط3 1979م
3	البحتري – ت– حسن كامل الصيرفي –ديوان شعر – دار المعارف – مصر 1948 –م
4	البحتري – ديوان الحماسة– ضبطها – لويس شيخو اليسوعي – المطبعة اليسوعية– بيروت 1910 م
5	جرير – ديوان شعر ٠ ت. د.محمد نعمان د أمين طه -دار المعارف– القاهرة ١٩٦٩م
6	الحادرة الذبياني –إملاء أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي –ت د. ناصر الدين الأسد – دار صادر – بيروت ١٩٧٠م
7	الحسين بن مطير الأسدي – ديوان شعر –جمعه وقدم له د . حسين عطوان– دار العودة– بيروت ١٩٤٨م
8	الخنساء (أنيس الجلساء) تحقيق أنور أبو سويلم – دار عمان ١٩٨٨ م
9	ابن الرومي –ديوان شعر – تحقيق د. حسين نصار– دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٨٣م

10	زهير بن أبي سلمى – ديوان شعر – صنعه الإمام أحمد بن يحيي بن زيد الشيباني– دار الكتب المصرية – القاهرة 1944م
11	سعيد الحسن بن الحسين السكري –شرح ديوان الهذليين– حققه عبد الستار فرج – راجعه محمد محمود شاكر – دار العروبة – مصر
12	الشماخ بن ضرار الذبياني – ديوان شعر – تحقيق د– صلاح الدين عبد الهادي – دار المعارف - القاهرة
13	عبد الله بن الدمينة – ديوان شعر – ثعلب ومحمد ابن حبيب– تحقيق راتب النفاخ – مطبعة المدني– نشر دار العروبة 1959م
14	العرجي – عبد الله بن عمر بن عمرو – شرحه وحققه خضر الطائي ورشيد العبيدي ، بغداد 1970
15	عروة بن أذينة – جمع وتحقيق الدكتور يحي الجبوري – أستاذ بجامعة بغداد وجامعة قطر – ساعدت على نشره جامعة بغداد ١٩٧٦م
16	علي بن الجهم – ديوان شعر – ت خليل مردم بك – دمشق ١٩٤٩م
17	علي بن دعبل الخزاعي– تحقيق محمد يوسف نجم– دار صادر– بيروت– ١٩٦٥م
18	قيس بن الخطيم– تحقيق ناصر الدين الأسد –دار صادر – بيروت 1967
19	كثير عزة – جمع وشرح د. إحسان عباس-دار الثقافة – بيروت 1971
20	لقيط بن يعمر الأيادي– ديوان شعر – تحقيق عبد المعيد خان – مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان 1971م
21	المتنبي – تحقيق عبد الوهاب عزام ' شرح أبو البقاء العكبري – لجن التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٤
22	مجنون ليلى قيس بن الملوح بن مزاحم العامري – جمع وشرح وتحقيق عبد الستار أحمد فراج – مكتبة مصر 1960

23	المعتز – ديوان شعر – تأليف – أبو بكر محمد بن يحيي الصولي– ت يونس أحمد السامرائي– منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية ١٩٧٨
24	النابغة الذبياني – ديوان شعر – ت محمد طاهر عاشور– الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٦م
25	نواس - ديوان شعر – أبو– تحقيق د– بهجت عبد الغفور الحديثي دار الرسالة- بغداد 1980م
26	نواس –– ديوان شعر – أبو – ت أحمد عبد المجيد الغزالي بيروت 1953م
27	ابن هانيء الأندلسي– ديوان شعر – دار صادر – بيروت 1952م
28	أبو هلال العسكري – ديوان المعاني – نشر مكتبة القدسي– القاهرة – ١٣٥٢هـ
29	يزيد ابن الطثرية – صنعه حاتم صالح الضامن – ١٣٩٣هـ ١٩٧٣ م– دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع (مطبعة أسعد) بغداد

ثانياً : المراجع

م	المرجع
١	إبراهيم علي أبو الخشب – تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني – الهيئة المصرية للكتاب – فرع الإسكندرية – ط١ ١٩٩٨م
٢	إبراهيم محمد البيهقي – المحاسن والمساوئ– دار صادر – بيروت -١٩٦٠م
٣	أحمد أمين –ظهر الإسلام – دار الناشر- بيروت
٤	أحمد زكي صفوت – جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة – البابي الحلبي – القاهرة ١٩٩٨م
٥	أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زادة – مفتاح السعادة– مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد- الدكن - الهند ١٩٧٧م
٦	اسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني – زهر الآداب وثمر الألباب – أبو - دار الجيل للنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ط٤ ١٩٧٢م
٧	إسماعيل الشافعي العجلوني – كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس – باعتناء أحمد الفلوس – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٧٩م
٨	بكر أحمد بن ثابت بن مهدي البغدادي – التطفيل – أبو - بعناية بسام عبد الوهاب الجابي – دار ابن حزم الجفان والجابي للطباعة والنشر ط١ ١٤٢٠هـ
٩	أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي المعروف بابن حجة – ثمرات الأوراق –أبو – دار الجيل- بيروت ١٤١٦هـ
١٠	جرجي زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي – دار مكتبة الحياة – بيروت لبنان ط١- ١٩٨٣م
١١	جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي – الأذكياء من الفقهاء والمفسرين والرواة والمحدثين والشعراء والمتأدبين والكتاب والمعلمين وطوائف تتصل للغفلة بسبب متين –دار الآفاق الجديدة – بيروت -١٩٤٩م

١٢	حاتم السجستاني – المعمرون والوصايا – أبي – ت عبد المنعم عامر – دار إحياء الكتب العربية- القاهرة ١٩٦١م
١٣	مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي- العبر في تاريخ من عبر- ٧٤٨هـ - دار الكتب العلمية بيروت لبنان .١٩٨٥م
١٤	الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف(اليوسي) – المحاضرات في الأدب واللغة- دار الفكر – بيروت١٩٨٢م
١٥	حمزة حسن الأصفهاني – الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ت عبد المجيد قطامش – دار المعارف مصر ١٩٧١ و١٩٧٢م
١٦	حيان التوحيدي – البصائر والذخائر – أبو - ت وداد القاضي – دار صادر بيروت – ١٩٨٤م
١٧	حيان التوحيدي- الإمتاع والمؤانسة –أبو - دار صادر- بيروت –ط١
١٨	ابن الدبيثي – تاريخ ابن الدبيثي – ذيل مدينة السلام – ت بشار عواد معروف – بغداد ١٩٧٩م
١٩	الراغب الأصفهاني – محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء – مكتبة الخانجي – القاهرة ١٣٣٦هـ
٢٠	زكي مبارك - النثر الفني في القرن الرابع – دار الجيل – بيروت
٢١	زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري – ت بشار عواد معروف – بيروت ١٩٨١م
٢٢	سعد منصور بن الحسن الآبي – نثر الدر – ت محمد علي قرنة وآخرون – القاهر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م
٢٣	شهاب الدين أحمد عبد الوهاب النويري– نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب ج٤ – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان- ١٤٠٨هـ
٢٤	العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان– وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان –أبو- ت إحسان عباس – دار صادر- بيروت ١٩٧١م
٢٥	العباس محمد بن يزيد المبرد – التعازي والمراثي – ت محمد الديباجي – مجمع اللغة العربية – دمشق ١٩٧٦م

٢٦	عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سايق الدين المعروف بجلال الدين السيوطي – الجامع الصغير في حديث البشير - القاهرة ١٩٦٩م
٢٧	عبد الرحمن السيوطي جلال الدين – اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة – دار المعرفة – القاهرة ١٩٦٥م
٢٨	عبد الحميد بن يونس (وآخرون) دائرة المعارف الإسلامية -راجعها د. محمد مهدي علام – الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة تصدر باللغة العربية - ١٩٧١م
٢٩	عبيد القاسم بن سلام – أبو- الأمثال – ت عبد المجيد قطامش دار المأمون – دمشق – ١٩٨٠م
٣٠	عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – البيان والتبيين أبو- ت- عبد السلام هارون – القاهرة – ١٩٦١م
٣١	عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – المحاسن والمساوئ – أبو – دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع
٣٢	علي المحسن بن علي التنوخي – الفرج بعد الشدة –أبو – ت- عبود الشامجي – دار صادر – بيروت – ١٩٧٨م
٣٣	عماد الدين الأصبهاني –الكاتب – خريدة القصر وجريدة العصر – القسم العراقي – ج١ – مطبوعات المجمع العلمي العراقي – ١٩٧٦م
٣٤	عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي – العقد الفريد – القاهرة – مطبعة لجنة التأليف والترجمة-١٤٠٤هـ
٣٥	عمر رضا كحالة – معجم المؤلفين –تراجم مصنفي الكتب العربية – مؤسسة الرسالة – بيروت -١٩٨٤م
٣٦	ابن أبي عوف - التشبيهات ت عبد المعين خان – كمبردج – ١٩٥٠م
٣٧	غرس النعمة أبي الحسن بن هلال الصابئ – الهفوات النادرة والسقطات البادرة- دار الأوزاعي للطباعة والنشر والتوزيع- ١٩٦٠م
٣٨	الفرج الأصفهاني – الأغاني – أبو – ت- وإشراف لجنة من الأدباء – دار الثقافة – بيروت ١٩٦٠م- ج (١-٢٥)

٣٩	الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – أبو - المصباح المضيء في خلافة المستضيء ت ناجية عبد الله إبراهيم – مطبعة الأوقاف للطباعة والنشر – بغداد – ١٩٧٦م
٤٠	الفضل أحمد بن طاهر أحمد طاهر طيفور – بلاغات النساء – أبو- صححه وشرحه أحمد الألفي – القاهرة ١٩٦٥م
٤١	الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري – مختار الأغاني – أبي ت زهير شاويش –- المكتب الإسلامي للطباعة- ١٩٦٤م
٤٢	الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي – شذرات الذهب – أبو- دار الكتب العلمية – القاهرة ١٣٥٠هـ
٤٣	القاسم الحسن بن بشر الآمدي ٣٧٠هـ– الموازنة بين أبي تمام والبحتري – أبي – ت السيد أحمد صقر ط ٤ دار المعارف
٤٤	القاسم محمود بن عمر بن محمد – أحمد الخوارزمي الزمخشري – ربيع الأبرار ونصوص الأخبار - أبو- ت سليم النعيمي – بغداد ١٩٨٢م
٤٥	أبي القاسم علي بن عبد المحسن التنوخي– نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة – دار صادر بيروت ١٩٩٦م
٤٦	لجنة من الأساتذة – المعجم الوسيط- إشراف صلاح الدين الهواري – دار ومكتبة الهلال – بيروت
٤٧	المبرد – الكامل في اللغة والأدب – ت محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة – القاهرة ١٩٥٦م
٤٨	المرزباني – معجم الشعراء ت عبد الستار أحمد فراج – دار إحياء الكتب العربية – عيسىالبابي الحلبي – القاهرة ١٩٦٠م
٤٩	الموفق بن أحمد المكي– مناقب أبي حنيفة- دار الكتاب العربي بيروت – ١٩٨١م
٥٠	محمد بن أحمد بن كنعان – تاريخ الدولة العباسية وما وافقها من ممالك – القسم الثاني- خلاصة تاريخ بن كثير – مؤسسة المعارف للطباعة والنشر – بيروت- لبنان ١٩٦٥م
٥١	محمد بن حسن الحاتمي – حلية المحاضرة في صناعة الشعر – ج١- تحقيق

	د.جعفر المتاني – دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٩م
٥٢	محمد بن الحسن بن علي بن حمدون – التذكرة الحمدونية ج(١-٩) ت إحسان عباس وبكر عباس – دار صادر بيروت
٥٣	محمد شاكر أحمد الكتبي – فوات الوفيات والذيل عليها – ج٢- تإحسان عباس دار صادر – بيروت ١٩٥٦م
٥٤	محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة- الشعر والشعراء – دار الثقافة بيروت – ١٩٦٩م
٥٥	محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة – عيون الأخبار دار الكتب المصرية١٩٦٩م
٥٦	محمد عبد المنعم خفاجة – الآداب العربية في العصر العباسي الثاني –مكتبة الكليات الأزهرية – حسين أمبابي وشركاه- ١٩٨٤م
٥٧	محمد صديق حسن القنوجي – سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية –موسوعة مصطلحات أبجد العلوم- تقديم وإشراف – رفيق عجم- مكتبة لبنان – ناشرون ١٣٠٧هـ
٥٨	محمد علي كرد- أمراء البيان- دار الآفاق العربية – مصر- ١٤٢١هـ ج١
٥٩	محمد ناصر الدين الألباني – ضعيف الجامع الصغيروزيادته – المكتب الإسلامي- بيروت – ١٤١٠هـ
٦٠	مصطفى الشكعة – مناهج التأليف عند علماء العرب- دار العم للملايين – بيروتط٤ ١٩٨٢م
٦١	مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الشهير بالملا كاتب الحلبي والمعروف بحاجي خليفة – كشف الظنونعن أسامي الكتب والفنون – دار الكتب العربية بيروت – لبنان
٦٢	منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي – يتيمة الدهر- أبي- ت محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة الحسن – مصر القاهرة ١٣٧٥هـ
٦٣	منصور بن محمد بن أحمد الأزهري – تهذيب اللغة- دار المعرفة للطباعة

	للنشر والتوزيع –ج٤- ٢٠٠١م
٦٤	ابن واصل الحموي- تجريد الأغاني- ت حسين وإبراهيم الأبياري – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة- ١٩٥٥م
٦٥	ياقوت الحموي- معجم –الأدباء – ت- أحمد فريد الرفاعي - دار الكتب العلمية القاهرة – ١٩٣٨م ج٦

فهرس الأعلام

م	
١	الاسم وأرقام الصفحات
٢	إبراهيم الصولي:١٣، -٨٥
٣	أبراهيم بن سفيان الزيادي:٣١،
٤	إبراهيم: ٩٥ -١٦٢
٥	إبراهيم بن إسماعيل(حمدون): ٧٣
٦	إبراهيم الموصلي:٩٥ ١٢٧ - ١٦٢-٢٢٣
٧	أم الحويرث:١٦٦،
٨	أكثم بن صيفي:١١٧
٩	النعمان:٣٧-٦٣-٢١٠- ٢٤٣-٣٠٢-٣١٧-٣١٨-٣١٩-٣٢٠
١٠	القاهر أبو منصور:٦٢
١١	ابرويز:٩٥
١٢	أزدشير ٩٥
١٣	أدهم العبدي: ٣١
١٤	الأنباري:١٦
١٥	بلال: ١١٣
١٦	الأصفهاني: ٤٤، ١٩٤-٩٠-١٣٧- ١٣٨-١٩٣
١٧	الأصمعي: ١٧
١٨	أحمد بن ثابت البغدادي: ٢٣- ٤٠-١٣٩
١٩	أحمد طارق كركي:٧٦
٢٠	أحمد بن طولون:٩١-٩٢
٢١	أحمد بن العاقولي:٧٦
٢٢	أحمد بن يوسف:٣٠٨
٢٣	أحمد بن يحيي التلمساني(أبو حجلة)٢٤٩

٢٤	إحسان عباس:٧٨-١٠٥- ١٢٧-١٣٨-١٣٩
٢٥	الأبيرد الرياحي:٢١١
٢٦	أسحق ابراهيم الموصلى:١٦٣
٢٧	أسماء بنت خارجة:٢٤٦
٢٨	أبو اسحق إبراهيم الحصري القيرواني:٥٢
٢٩	أسامة بن مرشد بن منقذ:١٤١،٣٦
٣٠	الأشتر:١١٤ - ١١٧
٣١	الأقرع بن معاذ: ٢٠٠-٢٠٧
٣٢	البخاري:٩٠
٣٣	أبو بكر أحمد بن ثابت البغدادي: ٤٠- ١٣٩
٣٤	أبو بكر الصديق:٦٢، ١١٣، ١٢١
٣٥	بهروز(الخادم) ١٠١
٣٦	البيهقي: ٤٣-١٣٦
٣٧	تاج الدولة أبي طالب بن طاهر :٣١١
٣٨	ثعلب:١٦
٣٩	الثعالبي:٢٥-٥٦
٤٠	جحظة:١٦
٤١	الجاحظ :٤٣-١٢١-٢٩٦-٣١٤
٤٢	ابن الجوزي: ٤١-٤٢-٨٠-٩١-١٤٠
٤٣	الحسن البصري: ١١٣-١٢٤-١٣٤-٢٨٥
٤٤	أبن حجر العسقلان: ٨٠- ٩٠
٤٥	الحجاج :١١٤، ١٢١،١٢٢،١٧٧
٤٦	الحسين بن علي:١٢٠ -١٣١-٣٠٣-٣١٢
٤٧	الحسن بن علي :١٣٨-١٨٤-١٩١-٢٧٨-٢٩١

٤٨	أبو حنيفة:٩٢
٤٩	الحسن بن محمد بن الفضل(الراغب)١٣٨،٣٥
٥٠	أبو الحسن علي الماوردي:٤٤- ١٣٩
٥١	أبو حيان التوحيدي:١٦ -٣٤-٩٦ --١٣٨
٥٢	أبو الحسن علي بن محمد بن بويه:٩٣
٥٣	أبو الحسين الراوية:٢٥٢
٥٤	الحسن بن موسى العمادي الأندلسي: ٢٥ -١٤١
٥٥	أبو حمدون أبو سعد بن حمدون :٧٦-٧٩
٥٦	ابن حمدان :٢٨٤
٥٧	الحمدوني:٥٢ -٥٥ -٥٨-٦٢-٦٣-٦٨-٧٣-٧٥-٧٧-٨١-٨٢-٨٥-٨٦-٨٧-٨٩-٩١-٩٣-٩٤-٩٩-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥-١٠٦-١٠٨-١٠٩-١١١-١١٣-١١٤-١٤٢-١٤٤-١١٨-١٢٩-١٣٣-٢٩٣-٢٤٠-٢٤٢-٢٤٤-٢٤٥-٢٤٦-٢٤٧-٢٤٨-٢٥٦-٢٦٠-٢٦٢-٢٦٢-٢٦٦-٢٦٧-٢٦٩-٢٧٠-٢٧١-٢٧٢-٣١٤-٣١٥-٣١٧-٣٢١-٣٢٢
٥٨	الحارث بن عباد::٣٢٠-٣٠٢
٥٩	الحارث بن ظالم المري::٢٩٢-٣٠٢-٣٢٠
٦٠	الحريري :٣١٤
٦١	حماد بن سابور بن المبارك(الرواية):١٧
٦٢	حمزة بن عبد المطلب:١٧٧
٦٣	حاجب بن زرارة::٣٢٠
٦٤	الخوارزمي:١٣-٤٤-٣١٣
٦٥	الأخضر الحربي:١٧٣
٦٦	خديجة بنت خويلد:٣٠٠
٦٧	خالد بن جعفر::٣٠٢-٣٢٠
٦٨	ابن دريد:١٦

٦٩	ابن خارجة ١٥٦-١٩٥-٢٤٦
٧٠	جبلة بن حريث العبدي :٣٠٣
٧١	الرسول صلى الله عليه وسلم:٩١-١١١-١١٢- ١١٧--١٣١-١٣٢-١٩١-٢١٠-٢٤٧-٣٠٠-٣٠١---٣٠١-٣٠٣-٣٠٧-٣١٤-٣١٥-٣١٦
٧٢	الرشيد:٩٥
٧٣	الزجاج:١٦
٧٤	الزاهد محمد بن محمد الحافظي:٢٥
٧٥	أبو زيد محمد بن أبي طالب القرشي:١٧-٣٩
٧٦	الأسدي:١٧١
٧٧	زبدة: ، ١٧٣
٧٨	ابن حمدون ٤٦-٥٨-٦٣-٧٢-٩١-٩٦-١٠٠-١٠٥-١٠٦-١٠٩-١١٠-١١٤-١٢٦-١٢٧-١٢٨-١٣٦-١٣٧-١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤١-١٤٥-١٧٣-١٨٦-١٨٨-١٩٠-١٩٤-٢٠٦-٢٧٢-٢٨٢-٢٩٤-٢٩٤-٣١٣
٧٩	الزبير بن العوام:٢٠٩
٨٠	زفر بن الحارث:٢٣٠-٢٣٣-٢٣٤
٨١	زكي مبارك:٢٦٦
٨٢	الزمخشري ٤٤
٨٣	أبو سعد منصور بن الحسن الآبي - ١٣٩
٨٤	سهل بن محمد السجستاني:٣١ ،
٨٥	سليمان بن يسار:١٩٥
٨٦	أبو سعد الحسن:٧٦ ، ٧٩
٨٧	سلمى بنت حفص:١٥٧
٨٨	السفاح:١٧٨،١٧٧،١٣٤،١٣١، -٢٣٤

٨٩	سعد ابن أبي وقاص: ١٥٧ ،٢٩١،٢٨٦
٩٠	سعيد بن المسيب:١٤٤-١٧٣ -١٩٥- ٢١٢
٩١	سليمان عليه السلام : ٣٦-١١٢- ١٩٥-٢٩٨- ٣٠٦
٩٢	سليمان بن عبد الملك: ٢٠٨،٢٩٨
٩٣	سحبان بن وائل:٢٩٦
٩٤	سكينة بنت الحسين:٢٥٧ -٢٥٨
٩٥	سهيل بن عمرو::٣٠٣
٩٦	سهل بن هارون: ٩٦، ١٢٢
٩٧	الضحاك: ٩٢-٢٢٤-٢٣٥
٩٨	الشريف الرضي: ١٢٤
٩٩	الشيخ علي دده:١٤٢
١٠٠	شمس الدين أبي المظفر(ابن الجوزي): ٨٠
١٠١	ابن الشجري: ١٦-٩٦
١٠٢	ابن الصباغ:٣١،
١٠٣	صاعد الأندلسي:٩٤
١٠٤	صلاح الدين الصفدي :٧٩
١٠٥	ابن طباطبا:١٢١
١٠٦	الطبري:٩٣
١٠٧	عاتكة بنت معاوية: ٢٢٠-٢٢١
١٠٨	عاتكة بنت نفيل:٢١١
١٠٩	عائشة بنت أبي بكر الصديق:١٢١-
١١٠	عامر بن طفيل :٢٠٥ -٣٠٢-٣٢٠-٣٢١
١١١	العباس بن الفضل بن الربيع:١٩٢ ،٢٨١
١١٢	العباس بن المأمون:١٩٢

١١٣	عبد الله بن جدعان:٢١٠
١١٤	عبد الله بن عباس ٣١٥:- ٣١٦- ٣١٧
١١٥	أبو عبد الله عبد الملك الغارفي ٩٨
١١٦	ابن عبد البر القرطبي:٣٦-٨٩
١١٧	عبد الحميد الكاتب: ١٢٢
١١٨	عبد الرحمن بن الحارث بن هشام:١٩٥
١١٩	عبد الرحمن الناصر:-١٣٢،١٣٤
١٢٠	ابن عبد ربه:١٥ -٢١- ٣١-٥٦- ٥٧- ١٣٧
١٢١	عبدالعزيز بن زاره:٢٨٥
١٢٢	عبد الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الخراني ٤٩
١٢٣	أبو عبيدة بن معمر بن المثنى: (ابن الحائك) ٣١
١٢٤	عتبة بن أبي سفيان : ١٢٠-١٨٦-١٨٧
١٢٥	أبو عثمان بن بحر بن محبوب ٤٣، ١٣٦
١٢٦	عثمان بن عفان: ١١٣
١٢٧	عجلان بن سحبان:٢٩٦
١٢٨	عروة بن الزبير: ١٩٥
١٢٩	أبو علي عبد المحسن التنوخي: ٢٢-٣٢-٣٣-٣٩
١٣٠	علقمة بن علاثة:٣٠٢-٣٢٠-٣٢١-٣٢٢
١٣١	عمر بن عبد العزيز :٩١
١٣٢	عمرو بن جرموز:٢٠٩
١٣٣	ابن العميد:٣١٣
١٣٤	علي بن أبي طالب:١١٣-١١٤-١١٥-١١٧-١٢١-١٢٤-١٢٩-١٣٢-١٣٣-١٣٤-١٣٩-١٩١-٢١١-٢٧٩-٢٨٤-٢٨٦-٢٨٧-٢٨٩-٢٩٢
١٣٥	علي عباس السفاح: ١٧٧،١٧٨
١٣٦	عمر بن الخطاب :٦٢-١١٣-١٦٣-٢١٠-٢١١

١٣٧	عمرو بن معد كرب المعدي :٣٠٢-٣٢٠-٢٥٠
١٣٨	عمرو بن العاص:٣٠٩-٣١٦-٣١٧
١٣٩	غرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابئ:٢٦-٣٢-٤٠-٤١-١٣٩-٢٣١-
١٤٠	أبو الفضل جمال الدين بن مكرم:١٩-٤٨-٤٩
١٤١	أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد: ١٦-٢٤-٣٩
١٤٢	الفتح بن حاقان: ٥٦
١٤٣	أبو الفضل االعباس بن سليمان:٤٨-٥٢
١٤٤	فاطمة بنت إسماعيل محمد الهزارمردي: ٦٤ ،١١٠
١٤٥	الفضل بن الربيع: ١٩٢
١٤٦	الفضل بن مروان:١٥٠-١٩٤
١٤٧	الفضل بن سهل:١٩٤
١٤٨	أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني:٣١٣
١٤٩	أبو القاسم بن الخسين بن علي المغربي:٣١٢
١٥٠	القالي:١٦ -٥٦-٩٦
١٥١	القاسم بن محمد بن أبي بكر:١٩٥ ،
١٥٢	ابو القاسم اسماعيل بن الفضل (الجرجاني):٧٥
١٥٣	أم قرفة:٢٧٨
١٥٤	قبيصة بن مسعود الشيباني ١١٠
١٥٥	فاطمة بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام(الزهراء) :١٢١-١٣١
١٥٦	قيس بن مسعود:٣٠٢
١٥٧	قيس بن مسعود الشيباني:-٣٢٠
١٥٨	قطام صاحبة بن ملجم:٢٥٥
١٥٩	كسرى:٣٤،١١٤-

١٦٠	محمد ابن قتيبة:١٥ -١٦ -٣١ - ٥٦-،٥٧ – ٢٤٧-٢٥٦
١٦١	المبرد:١٥، ٢١، ١٢٢، ٢٧٦
١٦٢	محي الدين محمد بن علي (ابن عربي)٣٧ -١٤١
١٦٣	محمد بن عبد الصمد بن محمد العاملي: ٣٨-١٤٢
١٦٤	محمد بن محمود : ٦٣
١٦٥	أبو المظفر: ٣٦
١٦٦	أبو منصور عبد الملك محمد الثعالبي:٢٥- ٥٦
١٦٧	المفضل الضبي١٧-١٧٧ - ٢٩٨
١٦٨	المأمون:١١٤، ١٢١، ٢٣٤،٢٥١،٢٥٢
١٦٩	ابن المعتز:٢٨٨
١٧٠	أم المعتصم ٩٥
١٧١	المعتصم:١٩٢-٢٣٢
١٧٢	معاذ:١١٣-١٥٠
١٧٣	معاوية ابن أبي سفيان:١١٤- ١٥٠ -١٨٦
١٧٤	المنذري:١٢٦
١٧٥	محمد بن حبيب: ١٨٧،
١٧٦	موسى بن جعفر:٧٥
١٧٧	موسى ٩٥
١٧٨	محمود بن محمد بن الأروام ٤٩
١٧٩	محمد بن عبد الله:٣٠٠
١٨٠	محمد الأمين:٣٠٩
١٨١	مسلم بن الوليد:٩٠
١٨٢	المقتفي:٩٢، ٦٣، ٦٥
١٨٣	النيسابوري:٤٤

١٨٤	النعمان بن منذر:٣٠٢
١٨٥	أبو نجم بدر الحرمي:٣١٠
١٨٦	ابو نصر الحسن بن الحسن بن حمدون :٣١٣
١٨٧	أبو هلال العسكري: ١٧١ ،
١٨٨	هرم بن سنان:،٢١٠
١٨٩	ابن واصل الحموي:٢١- ٣٧-٤٧-٤٨-٤٩-٧٣-١٤٢
١٩٠	اليوسي: ٢٠- ٢٣-١٣٦
١٩١	يوسف بن عمر: ٦٣
١٩٢	يحي بن حيان النخعي:١٥٤

فهرس الأماكن والبقاع

م	أسم المكان
١	البصرة ٢٠٩، ٢٢٩
٢	بغداد:١٨٣،١٧١،٥٦ ،٢١٩، ٢٢٢، ٣٠٩
٣	خراسان:٥٢
٤	الجزيرة العربية:٥٢
٥	الحجاز:٢٩٢، ٣١٦
٦	الشام:٥٥
٧	صقلية:٢٠٥
٨	طيء١٥١
٩	العراق:٥٢
١٠	عمورية:٢٤٠
١١	فارس:٥٢
١٢	قرطبة :٦٥
١٣	القادسية:١٥٧
١٤	الكاظمية:٧٩
١٥	الكوفة:٢٤٨
١٦	المغرب :٥٥:
١٧	مصر:٥٥
١٨	مكة:٣١٦،٢٩٢
١٩	الموصل:٦٤ ،٦٥ ،٩٣

فهرست الموضوعات

م	الموضوع	رقع الصفحة
1	المقدمة	1
2	أدب المحاضرات ، نشأته ،وتطوره	9
3	تمهيد عن: مناهج التأليف عند العرب	11
4	أدب المحاضرات	18
5	معنى أدب المحاضرات	19
6	دواعي تأليف المحاضرات	21
7	فوائد أدب المحاضرات	26
8	أنماط التأليف فى أدب المحاضرات	29
9	التأليف بالموضوعات	30
10	كتب التأليف بالشخصيات	39
11	التأليف بالتضاد	43
12	المحاضرات الدينية	44
13	مختصرات المحاضرات	47
14	أدب المحاضرات بين المشرق والمغرب	51
15	عصر الحمدوني– ترجمته–ترتيب الكتاب وتبويبه	59
16	الحياة السياسية	6٢
17	الحياة الاجتماعية	65
18	الناحية الأدبية والعقلية والدينية	70
19	ترجمة الحمدوني	٧٤
20	صفاته	٧٤

21	أعماله	٧٦
22	آثاره	٧٦
23	مصادر الحمدوني في التذكرة الحمدونية	٨١
24	المصادر غير المصرح بها	82
25	المصادر المصرح بها	89
26	كتب التفسير	89
27	كتب المغازي والتاريخ و السير	91
28	الأمم السابقة	93
29	كتب التراجم	95
30	كتب الأدب ودواوين الشعر	96
31	المصادر الخاصة- (السماعات)	98
32	المشاهدات	101
33	ترتيب الكتاب	104
34	تبويب الكتاب وترتيبه	107
35	منهج الحمدوني وأسلوبه في الكتابة	129
36	أثر كتب المحاضرات السابقة في كتاب التذكرة الحمدونية	١٣٦
37	الكتب التي اثر فيها كتاب التذكرة الحمدونية	١٤١
38	التذكرة الحمدونية وصناعة الدواوين المفقودة	١٤٣
39	المادة الشعرية في كتاب التذكرة الحمدونية	١٤٧
40	الرواية الشعرية	149
41	توثيق الشعر ونسبته	١٥٠
42	مناسبة القصيدة	١٥٦
43	اختلاف الرواية	١٦٩

44	شرح المفردات	18٠
45	تعقيبات الحمدوني وملاحظاته	191
46	اسم الشاعر ونسبه	200
47	هوية الشاعر	204
48	بيئة الشاعر	216
49	علاقة الشاعر برجال عصره	228
50	مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية في حياة الشاعر	233
51	نقد الحمدوني	238
52	نقد الآخرين مما أورده الحمدوني	248
53	النثر الفني	265
54	القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف	267
55	الحكم والأمثال والمواعظ	277
56	القصة القصيرة	290
57	الخطب والرسائل – الخطب	296
58	الرسائل	304
59	المناظرات الأدبية	315
60	الخاتمة	323